

حصار كنيسة المهدي
وقائع تنشر لأول مرة

محمد موسى مناصرة
مركز الحارس للدراسات والإعلام
بيت لحم

الطبعة الثانية

بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لحصار كنيسة المهدي - بيت لحم

دار الجرملق
للطباعة والنشر والتوزلع

حقوق الطبع محفوظة لصالح الدار
ببب لحم - شارع القدس الخللل
هاتف: 050637286

الأراء الواردة فب هذا الكتاب لا تعبب بالضرورة
عن آراء دار الجرملق إءارة وعاملبن.

الإهداء:

إلى روح والدي موسى عطية ووالدتي خضرة سكر
وإلى صانعي الأغاني لأيام المستقبل حيثما كانوا

الكتاب - المفارقة:

تزوج فريد بين الأمانة البحثية والمرثية المفجعة

رام الله - بقلم حسن عبد الله

- 1 -

أسئلة كثيرة تواردت وتسارعت في ذهني عندما استمعتُ إلى صديقي محمد مناصرة، وهو يعبرُ عن رغبته في أن اكتب تقديمًا للطبعة الثانية:-
وأول هذه الأسئلة:

هل يستطيع كاتبٌ مثلي، أن يضعَ تقديمًا رصينًا مضبوطًا بقواعدَ وأصولِ التقديم حينما يُقدِّمُ لكتاب نُسجت حروفُه وجمَلُه من أعصاب صديق قديم؟
هل يستطيعُ كاتبٌ مثلي، أن يكبح جماحَ انفعاله الذي اعتصره حدُّ البكاءِ أو أن يكبحَ جماحَ فرجه المنطلقِ على سجيته في مهرجانِ النشوة، يتحسَّنُ روحَ صديقه وهي تعطي مادةَ الكتاب من روحها؟!

أما السؤالُ الثالثُ والأخيرُ الذي أدونُه في هذا التقديم، وليس الأخيرَ بالطبع في التدايعاتِ الذهنية للأسئلة:

هل بمقدوري الكتابةُ دون استرجاع شريطِ الذكريات التي جمعتني بالكاتب، في نهاية السبعينات في معتقل الخليل، وفي بداية الثمانينات في جامعة بيت لحم، وسهراتنا الجميلة في بيت ساحور، وعمَلنا المشترك في المسرح الفلسطيني، وكيف كان الواحد منا يتحول فجأةً إلى ناقد صارم "يبحث عن أخطاءٍ وثغراتٍ في محاولات الآخر الشعرية؟!!"

ذكرياتٌ، كان معظمها في بيت لحم، هذه المدينة العتيقة ضاربةً الجذور في التاريخ البعيد.....

بيت لحم الشجيرة الحزينة..... وبيت لحم المتحفزة دائما لكي تفرح، فيكون الجلادون لها بالمرصاد، يقتلون فرحها جنينا في عمقها...
وبيت لحم... المدينة التي دارت أحداث الكتاب على "مسرحها"، بعد أن حوصرت كنيسة المهد، ولم تشفع لها مكانتها ولا قيمتها الدينية والمعنوية... ولم يشفع لها رجال الدين المسيحيون، الذين احتجزوا مع المقاومين.

- 2 -

لقد كان ل (مناصرة) السبق في نشر وقائع وحيثيات وأسرار حصار كنيسة المهد، الأمر الذي شكّل إدانة لأطراف محلية وعربية ودولية، لم يحركها "صلب" القيم والمواثيق والأعراف الإنسانية والاعتبارات الدينية على مرأى ومسمع العالم وبالبث الحي المباشر من خلال الفضائيات، بحيث كان "صلبا" وقتلاً وتنكيلاً متلفزاً مستفيداً من كل تقنيات العصر.

كتاب حبره دمّ ودموع وآهات أمهات الشهداء...

كتاب حبره من الغيظ المكظوم في صدور أقرباء المبعدين وهم يتتبعون عملية اقتلاعهم ونفيهم....

كتاب وثائقه شهادات للبعض ولوائح اتهام للبعض الآخر...

كتاب سوف يصرّ كثيرون على أن يكون جسما حيا نابضا في مكباتهم، بينما سيتمنى قليلون أن يتلاشى من الوجود وتتحول كل كلمة فيه إلى نسي منسيا.

- 3 -

عزيزي مناصرة:

لقد كنت في طرحك جريئاً

وكنت اقتحامياً ومغامراً

وكنت متمرداً لدرجة جعلتني أخشى عليك من عواقب هذا التمرد.
وكنت أيضاً شاعراً شفافاً... كنت صبياً عاشقاً، ما زالت تبحث عن فتى أحلامها
الذي حصده رصاصهم.

كنت بقوة "طرزان" وهو يمتطي أسداً في الغابة...
وكنت بانكسار طفل، لم يذهب صباح يوم مكفهر إلى روضته، لأن جثمان والده قد
سُجّي أمامه في غرفة يتيمه مثله، بعد أن قتله جنود مصنوعون من حديد.

- 4 -

ومن يدقق ويمعن النظر في الكتاب، يجد أن أسلوبين تعايشا في هذا العمل:-
أسلوب الشاعر الذي يختار كلماته بدقة ويضبط إيقاعاته، فتكسر جمالية النص
جمود العملية البحثية، وترطب رشاقة التعبيرات صنمية الأرقام والاقتباسات.
وأسلوب العجري، الذي يركض بين الفصول بأسمال ممزقة "يركض حزينا مصعوقا،
لأن العسوس صادروا ربابته وعلبة تبغه" صادروا خصر رفيقته الرهيف وشامتها
وخلخالها.

- 5 -

كتاب مناصرة... ليس مجرد كتاب وأرقام وبيانات وصور وتصريحات ومقابلات، بل
انه صرخة مدوية...

لقد صرخ الكتاب البحث أو الكتاب الوثيقة متسائلاً:-
كم مرة يجب أن يجوع المسيح ويمشي حافياً على المسامير؟!.
وإلى متى ستظلّ الدماء تنز من كفيه وقدميه؟
وإلى متى سيظلّ ينادي في بيت لحم مطالباً بالخبز للجوعى والعدل
للمظلومين.....!؟؟..... فتأتي المجنزرات وتلاحقه في الحواري، ويطاردُه

الجنود من زقاق إلى زقاق، توصلد في وجهه الأبواب ولا يجد خياراً في نهاية الأمر، إلا اللجوء طالباً الحماية حيث وُلد، فيكون الحصار قاسياً لدرجة الموت، معيباً لدرجة العار.

وبعد الحصار... تشتد المداولات... وتتزاحم المساومات، وتعقد "الصفقة" وتكمل فصول الرواية "يستشهد مناضلون ويطرُد مناضلون" ويولد بعدَ شهرٍ من المأساة هذا الكتاب، حاملاً في أحشائه مرارة التجربة...

- 6 -

تمر الأيام والشهور وسوف تمر السنوات، لكن الأسئلة تبقى هي الأسئلة.

لماذا عندما تفرض علينا المساومة نخرج من الصفقة خاسرين.....؟

ولماذا الخسارة هي عنوان صفقاتنا؟

ولماذا هي خلاصتها ومحصلتها.....!؟؟!

ولماذا تخوننا أقدامنا عندما نساوم، وتميد الأرض تحت أقدامنا...؟

نقع... نذبح بصفقة الخسارة، لأننا لا نقدّر ثمن تضحياتنا...

ففي كل مرة نوكد بأننا سنتعلم من الدرس، ثم في أول تجربة آتية، نعود..... لنبيع

بخسارة!!!

حررت بتاريخ: 2003 / 6 / 22

هذا الكتاب

بقلم عيسى قراقع

هذا الكتاب للزميل محمد مناصرة، يحاور الحريق المفجع الذي اندلع في مدينة الملائكة، مدينة بيت لحم في الثاني من نيسان من العام 2002، في أشع حرب تشنها حكومة إسرائيل على المقدس في الحياة.

عشرات المجنزرات الثقيلة، مئات الجنود ورجال القنصاة يحاصرون العذراء في مهدها، يفتشون عن أطفال بيت لحم، ليقودوهم إلى مذبحه أخرى، حيث يعود هيرودوس من جديد، ليصطبغ بلاط ساحة المهد المقدس بالدماء.

كانت السماء ساخنة محشوة بالقنابل والحديد، والموت يقفز من كل شباك وحرارة وزقاق ... جرى كل ذلك فيما كان العالم ينظر إلى نزيه المسيح مشدوهاً على خشبته، ينتظر كي يتدخل أحد ليووقف المجزرة.

أربعون يوماً والقناص يصطاد المحاصرين، شهداء يسقطون في حصار الجوع والماء والدواء، ولا أحد سوى دعاء الأمهات وانتظار مفاجأة من السماء..

انه الملك الصهيوني في شارون، جاء إلى بيت لحم ليهدم ميلاد الحياة والسلام في هذه البلدة التاريخية، وليحطم عاصمة الدين المسيحي، لعلّ مستوطنات "هارجوم" و "افرات" تكون البديل.

ولعلّ المسيح يرحل ولا يعود.

ولعلّ مستوطنة جيلو تنزل عن جبل بيت جالا لتصير هي المكان، فقد كان يستقره صمود هذه المدينة والأخضر في الزيتون والأجل في الصلاة ..

أراد شارون أن يهدم بالإرهاب أسطورة بيت لحم التي تحدث عنها الأنبياء والرحالة والملوك، ويجفف ماء ينابيعها المتدفقة في ترابها وبين صخورها من الخضر حتى تقوع ...

وها هي المجزرة تدكّ كل شيء، تدمر البيوت وتغتال الصلاة...

أربعون يوماً وثمانية شهداء وعشرات الجرحى ولا طعام سوى أوراق الشجر ونبات الخبيزة والملح، وحرارة الشرايين في برد نيسان ..

ولم ترفع بيت لحم راية الاستسلام، قاومت حتى آخر جسد ظلّ معلقاً على سطح المنازل، ولا أحد سوى أيادي الراهبات تسعف الجرحى والمرضى في المغارة. هذا الكتاب القيم يأخذنا إلى المعركة في شوارع وحارات بيت لحم، مع المحاصرين، لنكتشف وحدة بيت لحم والدفء الإنساني والوطني العظيم الذي قدمه الرهبان ورجال الدين المسيحي خلال حصار الكنيسة، رافضين تسليم المحاصرين لجيش شارون قائلين:

هذا هو بيت الله، هذا هو بيتهم الفلسطيني.

لقد أراد شارون في حربه على مدينة المسيح أن يدعس على وحدة الروح في هذه البلدة، ويستهدف جيلاً استيقظ على الاحتلال والذل وانعدام السيادة والكرامة .. جيل خلع ثوب العبيد فانتفض على الهزيمة طالباً الحرية والحياة الكريمة. وبرغم أعمدة الدخان والخراب .. لم تتحول المدينة إلى مدينة أشباح كما أراد ملوك إسرائيل، ظلت جنين تفيض فرحاً في عروق بيت لحم.... وظلت بيت لحم تفيض صموداً في حي القصبية في نابلس، فخرجت التوابيت وخرج الجرحى من باب كنيسة المهد، كان أولهم قارع الأجراس ..

إلى أين يذهبون؟

إلى القبر أو المعتقل..؟

وعندما نقرأ هذا الكتاب، تتوهج الذاكرة وهي تحاول أن تستوعب مشهد المبعدين إلى أوروبا وغزة، ومشهد الأمهات لا يستطعن توديع أبنائهن المغادرين .. ذاكرة تجادل حالها في رحلة المفاوضات الفاشلة التي جرت حول المحاصرين .. استنزاف طويل ..

والقناص لا يهدأ، يده على الزناد والموت يملأ الجدران، ويلطخ ثوب العذراء الأبيض. وبيت لحم... لم تقل كلمتها بعد ..

لم تفتش عن لحمها المدعوس في الشوارع ..

لم تنبش وجع الشهداء والجرحى.

لم تطلق صرختها الأخيرة حتى الآن ..
لماذا سيق رجالنا بهذه الطريقة؟؟
لماذا تركتم المحاصرين وحدهم بين الجوع والموت والرصاص؟؟
إن هذا الكتاب للزميل مناصرة، يوثق ملحمة لمدينة قررت أن تنتصر، وأن تظل على
موعد مع أبنائها في المنفى، والمعتقلات المشحونة بزيت قناديل الكنيسة، وبنور
الحياة.

تمهيد

" كل شيء أعطب أو خرب أو تكسر أو احترق داخل الكنيسة يمكن إصلاحه أو تعويضه أو إعادة ترميمه أو بناؤه، ولكن خسارتنا الكبرى التي لا تعوض، هي فقداننا ثمانية إخوة مناضلين، ذهبوا ولن يعودوا ولا سبيل لتعويضنا عنهم، استشهدوا بالرصااص الإسرائيلي في قلب الكنيسة وهم في حماها ودون مراعاة لقدسيتها وما ترمز إليه". قال الأب إبراهيم فلتس راعي كنيسة القديسة كاترينا التي تشكل جزءا رئيسا من مجمع كنيسة المهد حيث ولد يسوع المخلص.

وربما كان الأب فلتس يلمح إلى أن حصار كنيسة المهد لم يكن هو الأول في تاريخها وقد لا يكون الأخير، مثلما لم يكن المحاصرون هم أول الذين احتموا بالكنيسة. فقد شهدت كنيسة المهد منذ أن كلف الإمبراطور الروماني قسطنطين أمه القديسة هيلانة في عهد الرهبنة ببناء الكنيسة الأولى في القرن الثالث ما بين (326 / 340) ميلادية، العديد من الكوارث والحروب، وأول الكوارث التي حلت بها عندما هدمها السامريون في ثورتهم الثالثة ضد البيزنطيين ودمروها تدميرا كاملا سنة (529) ميلادية في عهد الإمبراطور جوستنيان الذي أنجز إعادة بنائها بعد أربع سنوات من هدمها.

وشهدت كنيسة المهد محاولات عديدة لاقتحامها وإخراج المحتمين بها أو لتخريبها ونهبها أو لتدميرها على مر التاريخ ، وفي العديد من حقب السيطرة الفارسية أو البيزنطية، لتحظى في الحقبة الإسلامية بالاستقرار والأمن والازدهار، فتتجدد معاناتها من جديد مع بداية الحروب الصليبية لتحظى بهدوء قصير في الحقبة الأيوبية ثم تدهمها المعاناة ثانية في الحقبة المملوكية حيث هدم ما تبقى من أسوارها خلال هذه الحقبة.

ولئن تميزت الحقبة العثمانية بإنصاف المدينة ثانية، إلا أنّ القهر تجدد بالاحتلال البريطاني لفلسطين حيث احتل الجيش البريطاني مبنى الكازانوف الذي بناه قديما الإخوة الفرنسييسكان لراحة وإقامة الزوار أثناء قدومهم للتعبد والحج

وفي أوائل الثلاثينات من القرن الماضي، تمركزت قيادة الجيش البريطاني في الكازانوف، وأنشأت في ساحة كنيسة المهدي معسكرا من الخيام لجنود الاحتلال البريطاني، ومنه كان العسكر ينطلقون لملاحقة الوطنيين ورجال المقاومة. وقد ظلّ المعسكر البريطاني جاثما على صدر الكنيسة حتى بداية ثورة العام 1936 الشهيرة بالإضراب الكبير فاضطرت قيادة الموقع للانسحاب تحت وقع الهجمات التي شنّها الثوار ضد وجودهم في بيت لحم. وما أشبه اليوم بالبارحة، ها هم المحتلون الإسرائيليون ومجنزراتهم قد جعلوا من ساحة كنيسة المهدي معسكرا ومحطة للانطلاق ضد المقاومة، ويحاصرون الكنيسة الوادعة محاولين اغتيال الصفاء والسلام فيها وقتل الذين اعتقدوا بان هيبتهما ستردع الجناة عن أفعالهم.

وهم تحقيق السلام والبناء في ظل الاحتلال

هذه المرة، في التوغل الرابع للقوات الإسرائيلية واحتلالها محافظة بيت لحم، كانت الدبابات الإسرائيلية المسرعة نحو قلب المدينة تدوس على أسفلت الشوارع كل الاتفاقات التي وقعتها الحكومات الإسرائيلية السابقة مع **منظمة التحرير الفلسطينية**، وتحديدًا مع القوى البيروقراطية والطفيلية المتنفذة في أجهزتها.

ومن سوء حظ الشعب الفلسطيني أنه في سياق بناء وإنشاء **السلطة الوطنية الفلسطينية**، نشأت العديد من مراكز القوى وجماعات الـ (VIPs) التي عُدها إلى بعضها مهام متابعة تنفيذ الاتفاقات والمفاوضات مع حكومات الاحتلال الإسرائيلي، وبعضها أوكلت إليها المهام الرئيسية في إدارة **المؤسسات المدنية للسلطة الوطنية الفلسطينية**، أو **كلفت ببناء الأجهزة الأمنية الفلسطينية**.

ويمكن القول بأن القاسم المشترك بين مراكز القوى وجماعات المصالح تلك، هو الاعتقاد أن بإمكانها تحقيق السلام مع المحتلين قبل نيل الاستقلال، مخالفة بذلك كل قوانين التطور الاجتماعي، ومحاولة أن تصنع قانونها البراغماتي الخاص. لقد جَهدت جماعات المصالح ومراكز القوى ومجموعة المستشارين المحيطين بالرئيس ياسر عرفات طوال السنوات الماضية، في تعميم ثقافة التخلي عن المقاومة والنضال، مسقطاً من حسابها الحاجة لاستكمال مهمة التحرر الوطني وتأمين الاستقلال والحرية للشعب الفلسطيني قبل توفير الأمن للذين يسلبون الشعب استقلاله وحرية، فلا هي حققت الأمن للعدو، ولا تحقّق السلام والاستقلال لشعبنا، ولم تحصد هذه الجماعات ومراكز القوى سوى الوهم أن بإمكانها التأسيس للاستقرار والتنمية مع وجود الاحتلال الإسرائيلي.

لقد فاوضت جميع شعوب الأرض التي كافحت لنيل حريتها كي تستقلّ وتحرر أولاً، ثم فاوضت أعداءها الذين تخلصت منهم كي تبني معهم أو مع غيرهم علاقات التعاون والسلام.

أما في حالتنا الفلسطينية، فقد فاوضت قيادات المرحلة التي لم تتمتع الغالبية بينها بآية شرعية، سوى الشرعية الممنوحة لها إما من الرئيس ياسر عرفات، أو استمدت شرعيتها من الدعم الذي حظيت به من هذا الطرف العربي أو ذاك وخاصة من مصر،

أو حظيت بشرعية ودعم إسرائيلي، فأُملت على القيادة الفلسطينية ، أو استمدت شرعيتها من دعم على المستوى الدولي، واتفقت جميعها على قاسم مشترك وحد عملها وهو بناء السلام أولاً مع الاحتلال، وعلى أمل كاذب بلن يقود ذلك إلى الاستقلال فيما بعد.

نعم، لقد اعتقد البعض بيننا أن الاحتلال كالسيارة، واعتقد بان الله حباه بان يكون الميكانيكي الذي سيقوم بتفكيك أجزاء السيارة في الكراج الخاص به، باتفاق جزئي هنا وآخر هناك، بمكسب هنا ومكسب هناك، إلى أن تتراكم المكاسب والاتفاقات الجزئية، فينتهي بنا الأمر وإذا بالسيارة - الاحتلال - بدون عجلات أو أبواب أو صندوق أو مقود.

نعم ... هكذا فكّر هذا البعض من القادة، ويرغم كل الفشل الذي حصده أصحاب هذا المنهج، فهم يواصلون الانتقال من عاصمة لأخرى، ومن فضائية لأخرى، يبيعوننا بضاعتهم الفاسدة ودون ذرة ماء في وجوههم، يصرون حتى اللحظة، على تمثيل الشعب والنطق باسمه!!.

إن بناء السلام الدافئ والحميم الذي نشأ بين الاحتلال من جهة، مع جماعات آل (VIPs) من جهة أخرى، والذين تحولوا مع الوقت إلى جنرالات للمال ، أو جنرالات للكلام، أو خبراء ومحللين سياسيين في الفضائيات العربية لإخفاء خبيثهم وفشلهم في تحقيق ما وعدوا شعبهم به.

هذا السلام الحميم المزيف، صاحبه في نفس الوقت، استمرار الاحتلال الإسرائيلي في إبقاء السيطرة الإسرائيلية الكاملة على جميع الموارد الطبيعية للشعب الفلسطيني، واستمرار سياسة مصادرة الأراضي وإقامة المستوطنات الإسرائيلية عليها. ولم تتردد حكومات إسرائيل المتعاقبة، في المس بالمقدسات الإسلامية والمسيحية في إطار عملية تهويد القدس العربية، ومواصلة الاحتلال اعتماد نهج ملاحقة ومطاردة كل الوطنيين الفلسطينيين المخلصين لقضايا الاستقلال والحرية والسلام العادل.

لقد استمرت حكومات إسرائيل المتعاقبة في تنفيذ سياسة المس بحقوق الإنسان الفلسطيني في الحياة، والمس بحقوقه في العيش بحرية وكرامة في بلده، حارمة إياه من

حقه في العمل، ومن حقه في الحركة والتنقل والأخطر من كل ذلك حرمانه من أن يكون له هوية وأن يكون فلسطينياً.

كذلك فقد استغلت إسرائيل إلى أقصى حد الاتفاقات الموقعة ومنها **اتفاق باريس**

الاقتصادي، لتدمير الاقتصاد الفلسطيني، وتدمير ما كان قد تحقق لصالحه عبر السنين في مجال التأسيس للبنية التحتية، لتحقيق الإلحاق الاقتصادي الكامل للأراضي الفلسطينية بالاقتصاد الإسرائيلي، وهو الأمر الذي انعكس بوضوح في مؤشرات العجز في الميزان التجاري لصالح الاقتصاد الإسرائيلي سنة بعد أخرى.

وحسب دائرة الإحصاء المركزية الفلسطينية - إحصاءات التجارة الخارجية، بلغت مؤشرات العجز عام **1997** ما يزيد بقليل عن **(1.4)** مليار لصالح إسرائيل، وارتفعت لاحقاً إلى أن وصلت نسبة العجز لأرقام خيالية مع حلول العام **2000**، أي بواقع **(1.8)** مليار بحسب ما صدر من تصريحات على لسان وزير التموين في السلطة الوطنية الفلسطينية، **أبو علي شاهين** في لقاء خاص.

ميل شعبي صادق نحو السلام

يخطئ من يعتقد بأن الاتجاهات الانفعالية السلبية للشعب الفلسطيني تجاه الجماعات المتنفذة في صنع القرار في **السلطة الوطنية الفلسطينية** سببه اعتمادها السلام كخيار استراتيجي كما يظن البعض، أو لأنها اعتمدت منهج الحوار والمفاوضات لحل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.

وليست بنا حاجة هنا لسرد الوقائع والتذكير بأن جماهير الشعب الفلسطيني قد أكدت في أكثر من مناسبة أو حدث، الرغبة الصادقة في دعم الميل نحو السلام، وتمت ترجمة ذلك بشعارات إقامة **الدولة الفلسطينية المستقلة** إلى جانب إسرائيل، وفي حدود الرابع من حزيران خلال الانتفاضة الشعبية عام **1987** قبل بدء العملية السلمية نفسها.

وأكد الشعب دعمه غير المحدود للسلام، ولإستراتيجي ة إقامة **الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس** إلى جانب دولة إسرائيل، وفي حدود الرابع من حزيران، ودعمه للقيادة الفلسطينية، وتحديدًا للرئيس ياسر عرفات في محاولاته كسر الحصار الذي فرض على **منظمة التحرير الفلسطينية والقيادة الفلسطينية** في أعقاب حرب الخليج، وهو الحصار الذي استهدف ليس فقط مكان **منظمة التحرير**، بل ومكانتها، ودورها، وحتى مصادر دعمها المالي بالحجر على أموالها، بما في ذلك الحجر على مقتطعات العمالة الفلسطينية في الدول العربية.

ولهذا لم يكن مصادفة أن أيد الشعب قرار المشاركة في **مؤتمر مدريد** للسلام، برغم الإجحاف الذي ميّز صيغة المشاركة الفلسطينية فيه، وأيدَ فيما بعد اتفاق **أوسلو** الذي رأى فيه الشعب ما رأته **القيادة الفلسطينية** وتحديدًا أيدَ ما رآه **ياسر عرفات**، بأنه فرصة لعودة **منظمة التحرير الفلسطينية** كي تلعب دورها السياسي الدولي والشرق أوسطي، خاصة وأن محادثات واشنطن، كانت قد بلغت منتهاها منذ الجولة الثامنة للمفاوضات وليس في الجولة التاسعة كما بدت الأمور في حينه.

ورحب الشعب لاحقاً بإنشاء **السلطة الوطنية الفلسطينية**، وقدم كل ما في وسعه من دعم لمشروع بناء **السلطة الوطنية** كطريق نحو **الدولة الفلسطينية** والتخلص من الاحتلال.

لقد طوّر الشعب وبنى اتجاهاته الانفعالية السلبية تجاه هذه الجماعات، وتحصيل حاصل للأسف، تجاه **السلطة الفلسطينية** كمشروع، ليس لأنه مسكون بهذه المشاعر، بل لأنه وإن كان قد فرِحَ وخرج للشوارع محتفلاً بإنشاء **السلطة الفلسطينية**، وكان صادقاً في فرحه بتسلمها لمواقع وصلاحيات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة، فهو مثل أي شعب آخر، يحكم على الأمور بنتائجها، وعلى أساس الممارسة التي ميّزت علاقة السكان الجدد للمباني التي خلفها الاحتلال في هذه المحافظة أو تلك مع شعبهم.

وبمقدور أي منصف الاجتهاد والقول دون تردد، أن الأسباب الرئيسة لمشاعر الشعب السلبية تجاه جماعات المصالح ومراكز القوى، وتجاه الفئات البيروقراطية والطفيلية التي استحوذت على النفوذ في **السلطة الوطنية الفلسطينية**، يمكن تصنيف دوافعها على النحو التالي:

أولاً: بسبب الهدف الذي حشرت هذه الجماعات نفسها فيه، أو قبلت بأن تحُشر بين قضبانها، والتمثل بموافقتها على صنع ما زُعمَ انه السلام، وقبل تحقيق حق تقرير المصير والاستقلال.

ثانياً: إن هذه الجماعات بمن فيها الوفد الفلسطيني المفاوض لم تتوقف عند تقديم التنازلات الخطيرة التي قدمت في **اتفاق باريس (1994/4/29)** و**اتفاق القاهرة (1994/5/4)**، ولاحقاً في الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي بشأن المرحلة الانتقالية في الضفة الغربية وقطاع غزة، والذي أطلق عليه اسم **اتفاق طابا (1995/9/28)**، حيث وافق المفاوضون - غير الأكفاء في حينه- في **مفاوضات طابا**، على خطأ رئيس يفعل فعله حتى الآن في إلحاق الأذى بشعبنا وبقضيتنا الوطنية عموماً. فبدلاً من أن يذهب الوفد إلى **المحادثات** للتوقيع على استلام الأراضي التي ستسحب منها إسرائيل حسب **اتفاق اوسلو**، وقع في الفخ الذي نصبه الإسرائيليون له، بأن وافق الفريق الفلسطيني على مطلب الوفد الإسرائيلي بتقسيم نفسه إلى قسمين:

الأول: مدني للتفاوض في الصلاحيات المدنية في غزة وأريحا.

الثاني: فريق أمني للتفاوض على الشؤون الأمنية.

هذا مع العلم بأنه في اتفاق اوسلو، جرى الحديث عن انسحاب إسرائيلي وليس عن إعادة انتشار، وبالتالي فإن الصلاحيات في المناطق التي تتسحب منها القوات الإسرائيلية يفترض بان تكون من اختصاص الفلسطينيين وحدهم. وهكذا سجّل المفاوضون الفلسطينيون على أنفسهم بحسن نية تجاه الطرف الإسرائيلي ولعدم الكفاءة كما قلنا السابقة الأولى في نهج التنازلات بالموافقة على إبقاء 40% من أراضي قطاع غزة في أيدي الاحتلال الإسرائيلي، الأمر الذي شكّل الأرضية والحافز الدائم للإسرائيليين، وسابقة لابتزاز المزيد من التنازلات من القيادة الفلسطينية على مدى المفاوضات لاحقاً.

إن من الصعب علينا نسيان كيف تباهى وتبجح شمعون بيرس في كلمة موجهة للمكتب السياسي لحزب العمل الإسرائيلي وهو يشرح ما جرى مع الرئيس ياسر عرفات في طابا قائلاً:

- لقد احتفظنا بالسيطرة على (80%) من مصادر المياه و (73%) من الأراضي وبحقنا في الإشراف الأمني على (97%) من أراضي الضفة الغربية . وكل ذلك كان مخالفاً حتى لاتفاق اوسلو على علاقته.

وثالثاً : لقد أوهم المسؤولون في السلطة الوطنية الفلسطينية أنفسهم بأنهم أصحاب سيادة، وحاولوا التصرف مع شعبهم على هذا الأساس برغم ما سببه ذلك من تعارض مع شعبهم وقواه الوطنية.

إن المشكلة الأكبر، هي أن بعضهم لا يزال يمارس هواية الخداع حتى الآن، محاولاً تسويق وهمه الخاص على الشعب، مطالباً إياه باحترام هذه السيادة، مُغفلاً واقعا بأن الشعب بات يدرك أكثر من أي مراقب يُطلّ علينا عبر الفضائيات، بأنه رغم كل ما نقل من صلاحيات مدنية للسلطة الوطنية الفلسطينية ، لم يغير ذلك من حقيقة أن وضع الضفة الغربية وقطاع غزة القانوني باعتبارهما أراض محتلة.

إن بقاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية يفرض على الشعب موضوعياً استنهاض الهمم لمواصلة الكفاح والنضال من اجل حريته واستقلاله.

وبالعكس من ذلك، اسقط المسؤولون الفلسطينيون من حسابهم حقيقة انه طالما الاحتلال الإسرائيلي يمارس وظيفة واحدة من وظائف الحكم، فان صفة الاحتلال لا يمكن نفيها عنه.

وبالرغم من كل الاتفاقات التي أبرمت، فقد استمر الاحتلال الإسرائيلي في السيطرة الكاملة على المعابر والحدود، واحتفظ بيده السيطرة على الأمن الخارجي والداخلي والعلاقات الخارجية، والصحيح أن الاحتلال استمر في السيطرة على جميع الموارد والمصادر الطبيعية للشعب الفلسطيني، مثلما استمر في اعتداءاته على حقه في الحياة ومصادرة أراضيه وهدم بيوته وإغلاق المحافظات وفرض الحصار عليها "كل ما دق الكوز في الجرة".

رابعاً: إن الاستخفاف بمخاطر الوهم الذي حاولت جماعات المصالح في السلطة الوطنية ترويجه على الشعب، قد شجع هذه الجماعات وخاصة في الأجهزة الأمنية على انتهاج سياسات فعلت فعلها في شق الصف الوطني وإلحاق الضرر بالوحدة الوطنية، والضرر ببناء الثقة بين الشعب والسلطة.

وبسبب ما رافق تجربة السنوات الماضية من أخطاء وفساد إداري ومالي شمل كل ميادين الحياة، فلم تستطع جماعات المصالح ومراكز القوى تقديم قوة مثال، لا في الإدارة، ولا في السياسة، وفرضت حصارها الخاص المعروف لكل فلسطيني في الداخل والخارج حول الرئيس ياسر عرفات، لتكون صاحبة القرار في أية معلومات يمكن إدخالها عليه أو حجبها عنه.

وحول هذا الموضوع نشرت شبكة الانترنت للإعلام العربي تقريراً للصحفي عيسى الشرباتي في الخامس عشر من أيار 2002، وفي سياقه فان عضو المجلس التشريعي حاتم عبد القادر وعضو الحركة العليا في فتح قد اتهم هذه الجماعات المحيطة بالرئيس عرفات بممارسة الفوضى والتسيب والخداع وقال يُشخص الوضع:

- إن هناك مستشارين يقومون بخداعه طول الوقت.

وزاد عبد القادر موضحاً أكثر:

- إنني أحمل الرئيس عرفات المسؤولية عن كل ما جرى ويجري.

ولا حاجة للتذكير بان جماعات المصالح ومراكز القوى المحيطة بالرئيس ياسر عرفات تلتف حوله كالحزام المتين، قد رفضت كل الدعوات المخلصة للإصلاح والداعية لتصويب الأمور.

ولم تتردد جماعات المصالح ومراكز القوى أيضا في ممارسة نهج انتهاك حقوق الإنسان، وعجزت بالنتيجة عن تحقيق أي تقدم على صعيد استكمال مهمات التحرر الوطني مثلما عجزت عن تحقيق أية نجاحات على صعيد ساحة البناء في الميدان الاجتماعي، وهما المهمتان اللتان تداخلتا في الحالة الفلسطينية بصورة فريدة. فكان لا بد وأن ينتفض الشعب من جديد للتذكير بقضيته وبحقوقه في الاستقلال، فجاءت محاولة أرئيل شارون لاقتحام ساحات الحرم القدسي وتحولت إلى الشرارة المنتظرة للانتفاض، ليس فقط ضد الاحتلال، بل والحقيقة أن الشعب أيضا، استهدف التطهر من كل ما علق بمسيرته من قوى طفيلية خلال السنوات المنصرمة.

التوغل الإسرائيلي الرابع وإعادة احتلال بيت لحم

بدأت بيت لحم في الساعة الأولى من فجر الثلاثاء الثاني من نيسان 2002 كشجرة وحيدة في صحراء، حين بدأ توغل الدبابات الإسرائيلية وهي تعرف بتجربتها الرعب

القادم إليها متسللاً في هدير الدبابات المجنزرة، تفضحه مصابيح الإنارة التي علقها الأوروبيون على أعمدة الكهرباء العالية في إطار مشروع بيت لحم ألفين التتموي. الشوارع خلت حتى من القطط التي تعودت في مثل هذا الوقت زيارة الحاويات الموزعة في الشوارع، فهربت واختبأت معتقدة بأنها قد تكون مشمولة في قوائم المطلوبين الملاحقين.

غريب أمر هذه المدينة، والأغرب ما يجري فيها. ففي شارع الجبل، وعلى محاور الجامعة، ومدخل حي "راس فطيس"، كانت هناك العديد من فرق المقاتلين من كتائب شهداء الأقصى، ومقاتلي حماس، و الجهاد الإسلامي، وجبهة التحرير العربية، والمخابرات العامة، والاستخبارات العسكرية، و قوات أل"17"، و قوات الشرطة البحرية، والمقاتلين من قوات الأمن الوطني الذين أشيع بأنهم رفضوا تسليح أسلحتهم لمسئولهم حسب التعليمات التي أعطيت لهم قبل يومين أو ثلاثة من الاجتياح الإسرائيلي، لم يعد بالإمكان رؤيتهم على أطراف المدينة أو محاورها الخارجية!.

أين ذهب المقاتلون؟

هل انسحبوا من مواقعهم كما جرى أثناء توغل قوات الاحتلال الإسرائيلي الثالث هذا العام، ليل التاسع من آذار الماضي لمدينتي بيت جالا والدوحة و مخيم ي عايدة والدهيشة، حيث قرر المقاتلون تفويت الفرصة على المحتلين الراغبين بتدمير المخيمين المجاورين لبيت لحم، فانسحبوا منها دون مقاومة، وبخلاف ما جرى أثناء التوغل الإسرائيلي الثاني، حتى أن الغزاة المحتلين لم يجدوا مطلوباً واحداً في المخيمين أثناء مداهمتهما لإجراء عمليات الاعتقال.

كان الليل في جميع أنحاء محافظة بيت لحم لونه اسود، ولا يقف في وجهه سوى ضوء المصابيح في مدن الخضر و بيت جالا و الدوحة ومخيمات الدهيشة و عايدة و العزة، و فقط في فضاء المدينة بيت لحم، كان لون الليل ابيض، وبدا أن منڈنة مسجد عمر بن الخطاب و جرسية كنيسة المهد في حالة استنفار، بلا سكينه، وتحاولان الاقتراب للتوحد معاً والنجاة من عدو جائع للتخريب والتدمير.

مرّت دبابات **المركفاة** والآليات المجنزرة حاملة الجنود بجانب بيتي الكائن في **إسكان أبو ارقاق/ شارع الجبل**، جوار مهبط الطائرة المروحية **للرئيس عرفات** ، الجالس على قمة **جبل أنطون**.

كم شعرت بالجبن والخجل، لا أدري، هل لأنها المرة الأولى التي لا أجدني في المواجهة بل حبيس البيت، أم بسبب سيل الذكريات الخاص بالانتفاضة الأولى الذي اندلق فجأة مع رؤية الدبابات الإسرائيلية.

يومها، في بدايات **الانتفاضة الأولى** ، كان الرئيس **ياسر عرفات** يجتمع على مدار الساعة مع مستشاريه وقيادات **منظمة التحرير الفلسطينية في تونس**، لمعرفة ما يحدث في **جباليا وقطاع غزة ومخيمات بلاطة و قلنديا وبيت لحم**، ولمعرفة من يقفون خلف الأحداث والمظاهرات؟.

وعلى صعيد المحتلين أيضا، كانت هيئة الأركان الإسرائيلية هي الأخرى لا تنام محاولة معرفة ما يحدث، ونشط المدعو **أيهود يعاري** للوقوف على حقيقة البداية ولحظات الانتفاضة الأولى، وزارنا مرات عديدة في جريدة **الطلیعة المقدسية** حيث كنت أعمل حينذاك، دون أن يساعده أحد، أو يقدم له أية معلومات، ولم تقدم له حتى أسماء المصادر التي يمكنه الاعتماد عليها، وذلك كي لا يتم تصويب أية معلومات خاطئة لديه، وبالتالي تصويبها لدى أجهزة الأمن الإسرائيلية بشأن البداية الأولى للانتفاضة نظرا لارتباطاته المعروفة بأجهزة الأمن الإسرائيلية.

لقد كتب يعاري ما كتبه كتأريخ مزور لبدايات الانتفاضة أو مشوش وغير عميق، والمستمد في معظمه من بيانات المخابرات الإسرائيلية أو من اعترافات مشوشة تم انتزاعها من بعض المناضلين، أو من بعض المعتقلين الذين حاولوا تحقيق كسب شخصي أو فتوي لفصائلهم على حساب غيرهم.

حدث ذلك فيما كنت وآخرون من أبناء شعبنا أيام **العمل السري في غزة**، ولم يحن الوقت للكشف عن أسمائهم ويحتاج ذلك لاستشارتهم- المهمشين منذ أن تسلمت القوى البيروقراطية والطفيلية مراكز النفوذ وزمام الأمور في **السلطة الفلسطينية** مثلهم مثل جميع الأبطال الحقيقيين الذين لم يعد لهم مكان للمنافسة مع **جماعات المصالح** -

نتابع مجموعات الشبان الذين توجهوا قبل الفجر لوضع المتاريس الأولى، وإشعال الإطارات على أهم ثلاثة محاور لحركة العمال في قطاع غزة، هي مدخل الشجاعية الشرقي، ومفرق بلدة بيت لاهيا ، وقبالة مخيم جباليا قرب مباني الإدارة المدنية الإسرائيلية في الجهة الشرقية من المخيم.

في ذلك الفجر الزاهي، أقل من عشرة شبان تمكنوا من إعادة السيارات التي تقل العمال لإنجاح الإضراب العام والمظاهرات التي جرى التخطيط لها مباشرةً وعلى الفور مساء اليوم الذي تم فيه دفن الشهداء في أعقاب المسيرة التي تلت عملية الدفن، حيث توجه الحشد الشعبي من المقبرة وعبر الطريق ما بين بركة أبو راشد ، وسط مخيم جباليا ومعسكر الجيش الإسرائيلي، والتي تم تفريقها في حينه بالعيارات المطاطية والغاز المسيل للدموع عندما بلغت محيط المسجد قبالة معسكر جيش الاحتلال.

كما كنا نتابع في نفس الوقت أيضا، وبعد استراحة الفجر، عملية ت وزرع البيان الأول الذي مطلعته "أخي أختي هل أرحبتم الجيش اليوم" والذي وقّع باسم القيادة الوطنية في قطاع غزة التي كان على رأسها د. حيدر عبد الشافي، وهو البيان الذي لم يعد الأول وزورت المعلومات حوله مثلما زورت أشياء كثيرة تتعلق بالانتفاضة السابقة، ومثلما زوّرت أشياء كثيرة في حياة شعبنا وكفاحه.

تلك التفاصيل النائمة في الوجدان الشعبي، تتطلب جهدا كتابيا آخر لتوثيقها، ولعل الساعات التي انكبّ خلالها ثلاثة أشخاص يقرأون كتاب جون ريد الشهر عشر أيام هزّت العالم ، وهم يفتشون على العبارات الأكثر عاطفية ووجدانية للتأثير في الشعب ولاقتناص أي موقف شبيه يمكن دراسته وتحليله واستخلاص الموقف الكفاحي المناسب منه وتثبيتها في البيان.

ولعل تلك الساعات وحدها، وانفعالات المشاركين تحت ضغط الوقت وضغط القادة عليهم بالاستعجال، تحتاج إلى كتاب خاص يرسم ملامح البطولة المخفية، ويوضح جمال المبادرة حين تجيء في وقتها المناسب.

ما علينا، صعدت إلى الطابق السابع غير المسكون في البناية ، أرقب حركة واتجاه تقدم الدبابات المرعبة ، وسط احتجاجات من زوجتي وطفلي الصغيرة أماندا ، ابنة

الثماني سنوات التي تلتصق وتتوحد مع جسمي ولا تريدني ستمتراً واحداً خارج البيت ، بسبب ما تعانيه من رعب وخوف تأسس لديها مما شاهدته خلال الانتفاضة الحالية من أهوال تسبب بها المحتلون.

توغل إسرائيلي باستخدام جميع المحاور

كان رتل من الدبابات الإسرائيلية يتقدم من الجهة الجنوبية الشرقية ، ويهدر من محور العبيات باتجاه بيت لحم، وحيث دفن الشهيد حسين عبيات قائد كتائب شهداء الأقصى الذي كان أول الذين اغتالتهم " الأباتشي " الإسرائيلية في بيت لحم ، قادمة من معسكر الجيش الإسرائيلي الكائن في قاع جبل هيرودس ، وكأن التاريخ يعيد نفسه، فمن هذا الموقع انطلق فرسان و جنود هيرودس يجمعون الأطفال في بيت لحم والبلاد المجاورة لها ممن لم تتجاوز أعمارهم السنَّين لقتلهم علَّ المولود الجديد يسوع المخلص يكون بينهم.

دبابات وآليات أخرى كانت تتقدم من الجهات الغربية ، من موقع الارتباط العسكري الفلسطيني والإسرائيلي في **بيت جالا** ، ورتل من مدينة **الدوحة** ، وكذلك من مدخلي مدينة **بيت ساحور** في الجهة الشرقية ، ومن جهة **القدس** مدخل **بيت لحم** الشمالي ، عدا عن تلك الدبابات التي شقت طريقها من الجنوب عبر مدينة **الخصر** فمخيم **الدهيشة** وعبر قرية **ارطاس**، لتصطف وتنتظم الساعة الخامسة من صباح يوم الثلاثاء الثاني من نيسان لا اقل من **(250)** دبابة وآلية مجنزرة على جميع مداخل البلدة القديمة في **بيت لحم**.

لم يكن بين الساعة الواحدة فجرا ، ولحظة اصطفاة الدبابات على أبواب المدينة في الساعة صباحاً ، سوى قعقة الجنازير وهديرها الذي امتزج بصوت المروحيات والرشاشات الإسرائيلية من نوع **(250)** والرشاش **(500)**، الذي شبه المواطنون طلقاته بـ **شاكوش الباجر** وهو يضرب الصخر في المحاجر، ضجيج زلزل المباني وطير الطيور التي جنت محلقة بلا اتجاه في سماء المدينة، ولم يبدُ هناك أو تُسمع حتى اللحظة، أية مظاهر مقاومة من قبل المقاتلين المدافعين عن المدينة.

لحظات ما قبل المواجهة

مع ساعات الشروق الأولى ما بين الساعة الخامسة والسابعة صباحا، بدأت مروحيات **الآباتشي** الإسرائيلية بالتجوال في سماء المدينة دون أن تغادرها لحظة واحدة. وفي مقابل ذلك، أتضح بأن جميع المدافعين عن المدينة لا يتجاوز عددهم **(300)** مقاتل بمن فيهم المقاتلون من بعض أجهزة السلطة الوطنية و الفصائل الوطنية. شباب المقاومة تزودوا بأسلحة خفيفة **كلاشنيكوف** وعددها قليل ، أو **M16** التي تشتري من السوق السوداء في إسرائيل، وكثير منها مشكوك في جودتها. توزع شباب المقاومة على مختلف مفارق البلدة القديمة وبين حواريها الضيقة، في الفواغرة وفي الفراحين وحي التراجمة السريان وحي النجاجة وحي الحريزات وهناك في العناترة شرقا وغيرها من الأحياء العتيقة، تلفهم محبة الأهالي ودفنهم المقدم مع

الطعام وأباريق الشاي والقهوة والطعام وقناني المياه وحركة الصبايا حسان المدينة والعجائز والكهال والشيوخ الذين اختلطوا مع المقاتلين. وفي جميع الطرقات، في المنارة والسوق القديم وشارع الفواغرة وفي شارع بولس السادس كنت ترى عشرات الأطفال تتراوح أعمارهم ما بين 10-15 عاما، جميعهم قدموا من مخيم الدهيشة يتراکضون مسرعين، والمقاتلون فقط، كانوا على علم بحركتهم وسبب ركضهم من زقاق لآخر، ومن حي لآخر. كان كل طفل منهم يحمل على كتفه ما نسميه في بلادنا خريطة، وهي أكياس صغيرة محشوة بعبوات محلية تدعى كواع جمع كوع، يصنعونها من زوايا أنابيب المياه، وتُحشى بالبارود أو الكبريت والمسامير، ويوزعونها على المقاتلين المنتشرين على جميع المحاور بانتظار المواجهة، يتراکضون بين الحواري دون توقف كما لو كانوا في سباق مع الزمن. في هذه الأثناء المشحونة بالعواطف والنبيل، وأجواء التوحد بين المقاتلين والأهالي، أعدّ فرن السالزيان عجة خاصة خلال الليل، خصيصا لخبزها وتوزيعها على شباب المقاومة المستعدين للمواجهة.

الهجوم الإسرائيلي الشامل ومواجهته

الساعة السابعة والنصف، بدأت القوات الإسرائيلية تقدمها من كل مدخل يقود إلى قلب المدينة وهي تطلق نيران رشاشاتها في كل اتجاه. بدأت المواجهة بين شباب المقاومة ببنادقهم الخفيفة في مقابل دبابات متطورة ومزودة برشاشات ثقيلة على برجها، رشاشات تعمل باستخدام التكنولوجيا الحديثة دون الحاجة إلى أي جندي لاستخدامها، كانت نيران الرشاشات تحصد كل شيء في الشوارع والطرقات.

- انه حقا جيش مجنون لحكومة مجنونة انه جيش بلا أخلاق.

قال عيسى قراقع رئيس نادي الأسير الفلسطيني وعضو لجنة الإقليم في حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح.

وأضاف:

- لقد حشدت إسرائيل قوى عسكرية مبالغاً فيها مستخدمة أسلحة متطورة وآليات عسكرية حديثة ومروحيات أباتشي، وهي تعرف أن بانتظارها في المواجهة، مجرد عدد محدود من المقاتلين الذين لا يحملون سوى بنادق خفيفة ونصفهم معه عدد محدود من الطلقات، وبعضهم معه من الطلقات بعدد أصابع اليد فقط، انه إرهاب رسمي حكومي يهدف ليس لتحقيق نصر عسكري، فهو أمر محسوم لصالح جيش الاحتلال، بل هو إرهاب يهدف إلى كسر الروح الفلسطينية الراضية للاحتلال، وهو هدف لن يتحقق لإسرائيل طال الزمان أو قَصُر.

ومع ذلك تمكنت مجموعتان للجهاد الإسلامي من إعطاب ثلاث دبابات إسرائيلية في اللحظات الأولى من التوغل حسب ما تداوله شباب المقاومة فيما بينهم. دبابتان منها أعطبت في طلعة العين من الجهة الجنوبية التي تقود لساحة كنيسة المهد، وثالثة أعطبت بجانب مدرسة ترسانة الثانوية، حيث تراجع القوة الإسرائيلية في هذا المحور إلى الخلف حتى مفرق دائرة المياه ومقر الحكم المحلي والارتباط المدني على طريق بيت ساحور، وتم إيقاف تقدم القوات الإسرائيلية في المحورين. ويذكر بان مجموعات الجهاد الإسلامي كانت قد توزعت على امتداد الثلث الشرقي من شارع بولس السادس بما في ذلك ساحتي المنارة وكنيسة المهد وبعضهم شوهد على المحور الغربي للبلدة القديمة إلى جانب المجموعات المقاتلة الأخرى وخاصة كتائب شهداء الأقصى التي كانت تغطي غالبية المحاور في المدينة.

المواجهة والمقاومة

على محور قوس الزرارة - المنارة

احتدمت المواجهة أكثر فأكثر عندما حاولت قوة من الدبابات الإسرائيلية التقدم عبر شارع راس فطيس باتجاه ساحة المنارة المطلة على ساحة كنيسة المهد، هادفةً الالتفاف على المقاتلين في البلدة القديمة ومحاصرتهم ما بين ساحة المدبسة غرباً

وساحة المنارة شرقاً، حيث كانت تتقدم آليات عسكرية أخرى بما فيها الدبابات من جهة المدبسة.

علقت دبابة إسرائيلية مُهاجمة أمام قوس الزرارة بسبب ضيق الطريق، فتقدمت قوة مشاة وسط نيران كثيفة وبمظلة حماية من مروحية إسرائيلية أطلقت نيرانها كالمطر على امتداد المسافة ما بين جنود المشاة الإسرائيليين مروراً بساحة المنارة وصولاً إلى ساحة المهد.

ومع ذلك تصدى المقاتلون في الموقع من قوات الأمن الوطني ، وكتائب شهداء الأقصى ، والمخابرات العامة للجنود الإسرائيليين المشاة ، وأوقعوا بهم إصابات بالغة أكدها أهالي الحي وأرغموا القوة الإسرائيلية على التراجع. وجهُ امرأةٍ بيضاء كان يطل مخترقاً أدخنةً القنابل الإسرائيلية السوداء والخضراء في الموقع، إنها أم عمر المالحية - نسبة إلى بلدة المالحة الواقعة جنوب غرب القدس التي هاجرت منها عام 1948 - وحسب المقاتلين ، كانت تجول من بيت قديم لآخر ، وتحط من سطح على سطح، لتحطّ معلوماتها عن حركة الإسرائيليين في أذن المقاتلين قالت:

- تعطلت الدبابة تحت قوس الزرارة ، وتقدم الجنود المشاة وحاصروا الشباب في حوش المحمص الذي كان بدون مخرج، فاستمات الشباب وردوهم وحمل المحتلون العديد من المصابين وحضرت سيارات الإسعاف العسكرية ونقلتهم من أمام مدرسة راهبات مار يوسف.

لا توجد كلمات قادرة على وصف المشهد، أكثر من ستة وثمانين مقاتلاً حوصروا في التقاطع ما بين **حوش المحمص** وزقاق رفيع يخترق **حارة السريان**، وقسم كبير منهم حوصروا في **حوش المحمص** المطل مباشرة على **ساحة المنارة** وولجوا أحد المنازل التي كان فيها رب الأسرة **فتحي الجواريش** وأبناؤه العشرة عدا أبناء بنته التي كانت في ضيافته.

سأل المقاتلون صاحب البيت:

- **ألا يوجد مخرج؟**

أجابهم بالنفي:

- لا.

وأضاف:

- **اتكلوا على الله واهدوا، وما يحصل لأولادي يحصل لكم لا تخاطروا بأنفسكم.**

رفض المقاتلون الاستشهاد بهذه الطريقة، فقرروا استخدام كل ثقب يطلُّ على **الحوش**، واستخدام نوافذ البيت الضيقة التي تعلو بعشرين سنتمترًا أبواب البيت العتيق، والانتفاع من زقاق ضيق مواربٍ للطريق يقود لأحد بيوت **الحوش**، ودافعوا عن أنفسهم بقرار مباغته الإسرائيليين بهجوم مضاد ومفاجئ بالتعاون مع شباب المقاومة في الجهة المقابلة، في الزقاق الخاص **بحارة السريان**.

في تلك اللحظة المصيرية، مفارقات الزمن هي سيدة الموقف، قفز **نضال العبيات** إلى شرفة قديمة آيلة للسقوط، ولكنها تطل من فوق على تقدم الجنود الإسرائيليين، وفاجأهم بفتح النار تجاههم، وهو أول من باغت الأعداء بين المقاتلين بنيران كثيفة كما لو كان ينفث غضب الشعب على المحتلين.

وتبعه شباب المقاومة يمطرونهم بوابل من الرصاص من **حوش المحمص** ومدخل زقاق **حارة السريان** فأصابوا من أصابوا ودحروا تقدم الجيش الإسرائيلي الذي بلغ **ساحة المنارة**، فيترجعون حتى **قوس الزرارة**، وسمعت أصوات الجنود وهم يستغيثون ويطلبون المساعدة في نقل جرحاهم وأربعة قتلى بحسب شهادة أهل الحي مع العلم بان مصادر الجيش الإسرائيلي أشارت فقط لوجود الجرحى ونفت وجود قتلى في الواقعة.

المواجهة على محور المدبسة وزقاق بير حمدين

وفي الجهة الغربية من البلدة القديمة، تقدمت الدبابات الإسرائيلية بهدير مجنزراتها وورصاص رشاشاتها الكثيف من ساحة المدبسة باتجاهين.

قسم من الآليات تقدم عبر شارع الفواغرة والآخر واصل طريقه عبر شارع بولس السادس شرقاً لإتمام الحصار على البلدة القديمة.

التقدم من الجهة الغربية جرى بالرغم من إيقاف تقدم الدبابات الإسرائيلية حتى الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً في ثلاثة محاور ، هي طريق العين إلى الجنوب من ساحة المهدي ، وطريق مدرسة تراسنطه القادم من بيت سآحور ، وكذلك وقف تقدم الدبابات عبر شارع راس فطيس.

وعلى مدخل زقاق بير حمدين الذي يصل شرعي الفواغرة وبولس السادس وهو في الأصل حدود السور القديم لمدينة بيت لحم من الجهة الغربية، والذي كان أن أمر الظاهر ببيبرز سلطان المماليك بهدمه عن آخره ، وهدم أبراجه سنة 1263 ميلادي . وتحول السور في بعض من أجزائه إلى جدران للبيوت والمنازل، فلم تعد تظهر من

ملامحه الأثرية الجميلة، سوى نوعية الحجارة، وحجمها، وقوة المبنى، والهندسة الفريدة التي تتبدى للناظر إليه في هذا الحوش أو ذاك على أطراف البلدة القديمة في بيت لحم.

أمام هذا الزقاق شهدت المدينة أشرس المعارك بين المحتلين المزودين بأحدث وسائل القتال وبرشاشات تعمل على مدى الثواني، والمشغلة باستخدام التكنولوجيات الحديثة، فيما كان المقاتلون من كتائب شهداء الأقصى و الاستخبارات العسكرية وقوات الشرطة البحرية وجبهة التحرير العربية وبعض المقاتلين من الأمن الوطني يدافعون عن المدينة بأسلحة خفيفة، ولكن، بإرادة قوية.

أغلبية شباب المقاومة أفرغوا ما في جعبته م من الرصاص وانسحبوا يبحثون عن يزودهم ببعض الرصاصات، أو بعضهم انسحب لمساعدة من يقذفون العبوات المحلية الصنع الكوع من على الأسطح باتجاه الدبابات.

كان المهاجمون جيشاً تقدّم كما لو كان متجها لساحة حرب، فيما كان المقاتلون بالطرف الآخر الفلسطيني يؤدون واجبا ودورا لا تنطبق عليه أية مواصفات عسكرية، فلا هم بجيش، ولا هم حتى مقاومة منظمة لها هيئع أركان أو هيئع تنسيق.

ومع ذلك، تمكن شباب المقاومة في موقع **بير حمدين** من إصابة ثمانية جنود إسرائيليين وبينهم ثلاثة أو أربعة قتلى حسب شهود العيان. ولحظتها فجر الجنود الإسرائيليون قنابل دخانية بلون أخضر حجبت موقع الجرحى الإسرائيليين عن الرؤية، وعلى الفور ما أن غطى الدخان الأخضر موقع المواجهة، تدخلت سيارات الإسعاف الإسرائيلية مسرعة لنقل المصابين. وجاءت للموقع على الفور مروحيات إضافية ليرتفع عددها إلى أربع مروحيات **أباتشي**، جنّ جنونها، فأخذت تطلق النار برشاشاتها الثقيلة تحرث كل سنتمتر في شارع **بولس السادس** ما بين **المدبسة** ومفرق **زقاق بير حمدين** وشارع **الفواغرة** ومنطقة **السوق القديم**.

ليس هذا وحسب، بل تقدمت الدبابات وأطلقت إحداها قذيفة مدفعية أصابت زاوية الجدار الشرقي للزقاق، فارتدت شظايا القذيفة المنفجرة المتطايرة وقطع الحجر المتناثرة لتصيب الشاب **فضل محمد ناجرة** المنتسب لقوات (أل 17) الذي كان يحتمي بالجدار المقابل مدافعا عن بلده، بإصابات خطيرة في كتفه الأيسر ومساحة صدره كلها، وبأعجوبة ولطف من **الرحمن** كتبت له النجاة حيث حمله احد زملائه ليصل به إلى السوق ويعود للمواجهة.

والشئ بالشئ يذكر، كان يقف في نفس الزاوية التي تعرضت للإصابة بالقذيفة شاب آخر لم يصب بأي أذى بالرغم من أن ارتفاع موقع الإصابة عن رأسه لا يزيد عن متر واحد فقط لم يتمكن من الرؤية بسبب الغبار والأتربة والشظايا المتناثرة وصوت عطل أذنيه عن عملها، وأحس بجسمه للحظات بأنه ليس تحت السيطرة.

وسائل الاتصال لدى المقاتلين

وكم كانت الحاجة لوسائل الاتصال، فقد كانت المعلومة بالنسبة للمقاتلين ذات بعد مصيري، ومع ذلك لم يكن السبيل إليها سوى ما يخرج من الفم للأذن، ونقلها بوساطة حسناوات الأحياء القديمة وشارات بأيدي ربات البيوت والعجائز والكهال الذين اكتشفوا

أنهم وان كانوا لا يملكون السلاح، ولكنهم يؤدون دورا كبيرا في المعركة بنقل المعلومات للمقاتلين عن حركة وتقدم الجيش المحتل.

لقد تحول الأهالي في البلدة القديمة إلى شبك ة اتصال غير سلكي ة ودون استخدام الأقمار الصناعية، شبكة بشرية من لحم ودم يُقاوم ان، تتطير من حوله اشطايا الرصاص أو شطايا متطايرة من حجارة لم يفتتها الزمان ولا تقلبات الطقس فهزمها الرصاص.

ولكن، كلما كان قصف المروحيات يشتدُ عنفاً، كان الأهالي وهم مصدر المعلومات الرئيس للمقاتلين، يغيبون عن الشوارع والأسطح التي أصبحت هدفا لرمية المروحيات التي اغتصبت فضاء المدينة وأسطح المنازل وأرضها وأهلها ومقدساتها المسيحية والإسلامية.

ومع اشتداد المواجهة في البلدة القديمة، كان الوجد يتزايد في نفوس المقاتلين خاصة من كتائب شهداء الأقصى وهم الغالبية بين المقاتلين ومن سيقدمُ مهر الدم للحرية في هذه المعركة، فهم يواجهون جيشا كبيرا يتقدم نحوهم بغضب وكراهية، فيما يعلو السؤال بينهم وسط أصوات القذائف "من معه رصاص زيادة يا إخوان"، أو تسمع آخر من شباب المقاومة وهو يصيح: "أعطوني مخزن يا شباب" !.

غياب جسم قيادي للمقاومة

ويزيد من الوجد انكشاف الحقيقة للمقاتل عواد عواد الذي لم يستشهد خلال هذه الساعات من المعركة، بل استشهد فيما بعد في الدفاع عن المقاتلين الذين حوصروا داخل كنيسة سانتا ماريا، والتحق بأخيه محمود عواد الذي كان قد استشهد في الاجتياح السابق للمدينة في السابع عشر من آذار 2002، أثناء تصدّيه للدبابات الإسرائيلية في محيط فندق الشبرد في شارع جمال عبد الناصر، لتُرفَّ أمهما شهيدين فاخرتُ بهما محافظة بيت لحم على بسالتهما وشجاعتهما وإخلاصهما المتفاني للوطن والحرية.

كان **عواد عواد** أحد القادة المدافعين عن محور زقاق **بير حمدين** الذين يصدون تقدم القوات الإسرائيلية عبر شارع "**بولس السادس**" من الجهة الغربية ، محاولين إفشال محاولة

حصار المقاتلين في البلدة القديمة، وفيما كان يطلق رصاصاته بحرص واقتصاد أيقن خطورة غياب هيئة قيادية تقود العمل وتؤمن الاتصالات مع المحاور الأخرى وتوفر الإمدادات للمقاتلين.

وجعَ فَتَحَ جروحاً عميقة في نفس المقاتلين أيضاً، لعدم وجود قيادة ميدانية تدير المعركة، وترعى مقاتليها بالنصح، أو الرأي، أو بخطة سديدة.

وتأوه عواد وهو يقول لأصدقائه إبراهيم عبيات وجهاد جعارة ويسألهم:

- ألم يقولوا لنا بأنهم شكلوا لجنة خاصة بالميدان ولماذا لم ننشئ على الأقل هيئة تنسيق بديلة لتأمين المعلومات بين المحاور؟.

وفي أوج المواجهة، كلما كان هجوم المحتلين يزداد شراسة، كانت الحاجة تتزايد من اجل المعلومة.

انكشف أحد الأخطاء الرئيسة في المواجهة مع الاحتلال، وهو الفصل التعسفي الذي جرى بين **شباب المقاومة** والطامحين لاستكمال مهام التحرر الوطني من جهة **والسلطة الفلسطينية** من جهة أخرى، وهو الفصل الذي لم يكن أصلاً بحاجة لمزيد من الأسباب كي يزداد اتساعاً بينهما.

فمنذ أن بدأت الانتفاضة في نهاية أيلول من العام **2000**، ومع ظهورها نشط تجار السلاح يعرضون أسلحتهم على شباب المقاومة، لا بل وانضم بعضهم للمقاومة نفسها، فبرز السلاح كعامل إغراء يستدرج الشباب المنتفضين لحباله.

ولسوء الحظ، فمن جهة، لم تكن هناك تجربة كافية وخبرة نضالية لدى الشباب الذين حملوا السلاح، ومن جهة ثانية، لم تتدخل القيادات العسكرية جدياً ولا القيادات

السياسية في مختلف القوى بالنصح والإرشاد أو بالتوعية لهؤلاء الشبان وتبصيرهم بأبعاد ذلك، ومردوده السياسي على الطابع الشعبي للانتفاضة، ولم يقدم لهم أحد أية معارف أو خبرات بأبعاد ذلك الميل لحمل السلاح على كامل نهج المقاومة.

لقد انسحبت الغالبية الساحقة من **القيادات السياسية** للفصائل الفلسطينية والقيادات العسكرية في **السلطة الوطنية الفلسطينية** عن أداء دورها تجاه هذه الظاهرة الجديدة التي على قداستها ونبيل أصحابها شباب المقاومة، فإنها كانت بأمس الحاجة لتشخيصها والتداول بشأنها.

وكلما كان الميل لحمل السلاح يتزايد، كانت تترسخ القناعة بأننا لم نستفد شيئاً، ولم نتعلم شيئاً من تجاربنا الماضية في الأردن عامي **70 - 1971**، ولا من تجاربنا في جنوب لبنان وبيروت عام **1982**، ولا حتى من تجاربنا في الكفاح المسلح في قطاع غزة الغنية بالدروس وبالعبء ما بين الأعوام **1967 - 1971** وبقيّة الأراضي المحتلة منذ عام **1967** وحتى اليوم.

ومن سوء الطالع. إن صوت **الكاتب** في الاجتماعات الموسعة لممثلي قوى المجتمع التي عقدت في مقر **التنظيم في بيت لحم**، وفي غيره من المقرات خلال شهر تشرين أول من العام ألفين، وهو الشهر الأول من الانتفاضة الجارية، والداعي لعدم **عسكرة الانتفاضة**، لم تستقبله أية أذن.

وكذلك الحال كان بالنسبة لعضو المجلس المركزي الفلسطيني **فؤاد رزق** وأحد قادة **حزب الشعب** في المحافظة الذي أعرب هو الآخر عن رأيه في تلك الاجتماعات محذراً من مخاطر **عسكرة الانتفاضة** على المشاركة الشعبية في الانتفاضة، ومن مخاطر **العسكرة** على الاتجاهات الانفعالية لشباب المقاومة والمواطنين.

وطالب **رزق** بتشخيص الظاهرة ودراستها وإدارتها بما يخدم متطلبات النضال الوطني والوحدة الوطنية، وضمان استمرار المشاركة الشعبية في الكفاح المتنامي ضد الاحتلال، ومع ذلك لم يصغ إليه احد.

وحتى عندما حاول **عبد الجواد صالح** عضو المجلس التشريعي في وقت لاحق إسماع صوته حول الموضوع بوساطة وسائل الإعلام المحلية والعربية، وأيضاً الدكتور **حيدر عبد الشافي**، لم ينصت لهما أحد.

كان سحر السلاح يملك الجاذبية الأكثر تأثيراً في نفوس الشباب من تأثير كل الدروس وتجارب النضال السابقة.

و فقط، كان يمكن للدعوات من أجل تطوير أساليب وأشكال العمل الجماهيري أن تتجح، ويكون لها مردودها، لو لم تقف القوى السياسية، وخاصة تلك التي تدرج تحت إطار منظمة التحرير الفلسطينية، أو تلك الجماعات المنتفذة في السلطة الفلسطينية موقفا انتهازيا من الظاهرة، في إطار مساعيها إما للكسب الفئوي، أو للمزيدة على الآخرين، أو في إطار مساعيها لتعزيز مواقعها ومركزها التفاوضي في الصراع مع الآخرين، وليس بالضرورة أن يكون مفهوم الآخرين هنا، هو الاحتلال. وفيما كانت تتشكل مجموعات المقاومة المسلحة، كانت في المقابل تتراجع مشاركة الجمهور في الانتفاضة لدرجة فقدت الانتفاضة طابعها الجماهيري، وفي هذا الوقت بالذات، كانت تنشط في المقابل في محافظتنا مثلما في المحافظات الأخرى، ظاهرة تجارة السلاح.

وتبعاً لذلك، بدأت تظهر وتترسخ ظاهرة حمل السلاح في شوارع المدن، ونجم عن هذه الظاهرة تدريجياً، ازدياد ملحوظ في الهوة بين السلطة الفلسطينية والشباب الراغبين في المقاومة المسلحة، والذين آمنوا بان السلاح وحده هو الطريق لخلاصهم من القهر والظلم الذي يعانونه مع شعبهم من المحتلين الإسرائيليين. وهكذا، ويوما بعد يوم، لم تعد السلطة الفلسطينية وهياكلها العسكرية والمدنية جزءاً فاعلاً في الحياة العامة، وتواصل فقدانها لمكانتها الاعتبارية في نظر الشعب، وفقدت المفاهيم مثل سيادة القانون أية معان أو دلالات لها على الأرض.

موقف قيادة المنطقة في السلطة الوطنية الفلسطينية

كانت قيادة المنطقة في المحافظة قد عمّمت قراراً لجميع أفراد الأمن الوطني ، والى قادة الأجهزة الأمنية بشكل عام يومي 30 - 2002/3/31 قبل التوغل الإسرائيلي، ويقضي القرار بعدم المواجهة ، وطالبتهم بجمع أسلحتهم وتسليمها لمسئوليهام، وتجتهد أوساط عديدة في تفسير هذا الإجراء، ومن ذلك:

أولاً: هناك من يقول بأن القرار قد تم استناداً لموقف قيادي عام اتخذ على مستوى الضفة الغربية كلها بعدم المواجهة مع القوات الإسرائيلية.

ثانياً: آخرون قالوا بأنه لا أساس من الصحة في هذا الادعاء، وانه لم يكن هناك أي تعميم بذلك.

ثالثاً: فريق ثالث زعم بأن **قيادة المنطقة** تلقت معلومات بأنها لن تمس في حال عدم تصديها للقوات الإسرائيلية، لأن هدف المحتلين - حسب المعلومات لدى هؤلاء - هو المساس بالمقاومة وبالمطوبين فقط، وليس **بأجهزة السلطة الوطنية!!**.

هذه الادعاءات، جرى ويجري تداولها في الأوساط الشعبية وشخصيات فاعلة في صفوف المقاومة دون تأكيد أو نفي من قبل الأوساط الرسمية.

رابعاً: ليس هذا وحسب، بل إن فريقاً من شباب المقاومة ومسؤولين في أوساط التنظيم صرحوا بأنه كانت هناك خطة عسكرية للمواجهة، اتفق بموجبها بين مختلف قادة الأجهزة العسكرية والأمنية وقيادات التنظيم، وخاصة قادة وكوادر قوات كتائب شهداء الأقصى، وفي صلب الخطة الإصرار على المقاومة والنضال وحماية المدينة بيت لحم.

ويضيفون:

- إن من ضمن ما اتفق عليه في الخطة على سبيل المثال، حجم القوات الموزعة على مختلف المحاور والمفارق، والاتفاق على تحديد دور كل جهة في المواجهة، وتأمين وسائل الاتصال والإسناد للمقاتلين على هذا المحور أو ذاك.

ويقولون:

- **إن قيادة المنطقة** أدارت ظهرها لخطة المواجهة مع العدو، وكل ما فعلته أنها حصرت اتصالاتها الهاتفية فقط، مع بعض المقاتلين من أفراد الأمن الوطني الموزعين على مختلف المحاور، ليس من غرفة عمليات خاصة بإدارة الصراع، بل من **ساحة باب الدير**، حيث كان العديد من القادة في **السلطة الوطنية الفلسطينية** يتبادلون الرأي حول أفضل بيت أو مكان في المدينة يلجأون إليه.

هذه الأمور مجتمعة، وجود خطة عسكرية متفق عليها مع قادة الأجهزة، وقادة كتائب شهداء الأقصى، وعدم الالتزام بها، والأمر بجمع السلاح وعدم المواجهة، والادعاء بأن قيادة المنطقة طالبت أفراد الأمن الوطني بارتداء اللباس المدني، واللجوء إلى منازلهم، أو بيوت أصدقائهم، أو بيوت معارفهم طلباً للحماية، بشير حتى اللحظة نقاشات واسعة في أوساط المواطنين وشبان المقاومة والجنود في مختلف الأجهزة الأمنية.

ويتزايد النقاش ويتمحور حول ما إذا كان قرار قيادة المنطقة بعدم المواجهة للقوات الإسرائيلية إيجابياً أم سلبياً؟!.

فهل كان هناك حقاً وفعالاً خطة عسكرية متفق عليها بين قيادة المنطقة في السلطة، وقيادة التنظيم وكتائب شهداء الأقصى؟

وهل يعقل بان يقبل أو يُقدّم قائد عسكري في السلطة على وضع خطة عسكرية مع جهات أياً كانت من خارج السلطة وغير عسكرية؟؟!.

هل اكتشفت القيادة العسكرية في محافظة بيت لحم فجأة بأنه لا جدوى من المقاومة والمواجهة المسلحة مع المحتلين؟

ولكن، حتى لو صحّت هذه الادعاءات المتداولة والمتعلقة بقيادة المنطقة، لماذا يُقدّم قائد المنطقة العسكري على عدم الالتزام بخطة عسكرية كان هو راعيها؟.

لماذا يقوم بخطوة كهذه وهي خطوة خطيرة بكل المقاييس، وأيضاً دون أن يبلغ الطرف الشريك والرئيس فيها، وهم قادة وكادر كتائب شهداء الأقصى الذين تحملوا العبء الرئيس في مواجهة مجموع عمليات التوغل الإسرائيلي للمحافظة، بما في ذلك عبء الدم؟!.

إن هذا الموضوع يثير من جهته الكثير من الأسئلة على نحو:

- هل كان هناك قرار سياسي من فوق طالب قيادة المنطقة بعدم المواجهة والتراجع عما اتفق عليه؟

وإذا كان الأمر كذلك، يُثار هنا سؤال جديد:

- هل مقاومة المحتل الإسرائيلي تحتاج إلى قرار سياسي خاصة عندما يحاول المحتلّ المساس بالكرامة الوطنية؟

- لماذا كان على هذا الكم الهائل من القيادات والكوادر التي تسلمت المناصب ومراكز النفوذ في السلطة الوطنية الفلسطينية أن تنسحب وتتخلى عن ثقافة النضال والمقاومة؟

هذا هو التوغل الإسرائيلي الرابع في المحافظة، وإذا كنا لم نستفد من تجاربنا عبر العقود الماضية في المقاومة، فلماذا لم نستفد من تجاربنا في حالات التوغل الثلاث الماضية؟

لماذا لم نكرس الوقت على مستوى القوى السياسية، ولجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية، للتفكير في الحاجة إلى قيادة مقاومة موحدة كي تتصدى للعدوان على ضوء تجاربنا الجديدة؟

لماذا كان على لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية فقط أن ترعى عمليات توزيع المواد التموينية للمحتاجين، بدلاً من أن تقوم بدورها كقيادة طوارئ وطنية لعمليات المقاومة في المحافظة؟

لماذا لم تلتزم لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية على الأقل بما كان قد تم الاتفاق عليه بين مختلف الأطراف السياسية المكونة للجنة، بان تبتعد عن أداء هذا الدور، وتتركه للجهات ذات الاختصاص في السلطة الوطنية الفلسطينية واللجان الشعبية في الأحياء ومنظمات المجتمع المدني في المحافظة؟.

لماذا التزمت جميع القوى السياسية الصمت إزاء ما حدث خلال التوغل الإسرائيلي وتجاه فعاليات المواجهة العسكرية معه؟

ولماذا تحجم حتى الآن عن المبادرة لتقييم ما حصل؟

ولماذا لم يبادر أي منها للإجابة على السؤال، لماذا جرى الذي جرى؟

وعلى أية حال، فهناك بين الجمهور والقوى السياسية والقيادات العسكرية من أيدّ قرار قائد المنطقة، واعتبره قراراً حكيماً هدّ ف إلى حماية الكادر البشري لقوات السلطة الوطنية الفلسطينية، وحقن الدماء، وهدف إلى عدم منح المحتلين أسباباً إضافية لأعمال التدمير والتكيل بالشعب.

ويستند هذا التقييم إلى إدراك القيادات العسكرية للفارق الهائل في توازن القوى، وعدم وجود أية إمكانيات عسكرية لصد قوات الاحتلال الإسرائيلي، وأنه من الخطأ أن تُدفع المقاومة الشعبية إلى مواجهة مفتوحة مع جيش عسكري كجيش الاحتلال الإسرائيلي.

أما الآخرون، في الجهة المقابلة، شباب المقاومة الذين تعمدت ارض المحافظة بدمهم فرفضوه واعتبروه تخلياً عن الواجب الوطني بالمقاومة، وهو نفس موقف أفراد قوات الأمن الوطني، وشباب المقاومة من باقي الأجهزة الأمنية الذين أصرّوا على المواجهة بغض النظر عن موقف قيادتهم، ورفضوا الإذعان للقرار أو تسليم أسلحتهم وارتداء الملابس المدنية.

جميع هؤلاء نظروا لقيادة المنطقة بأنها انقطعت عنهم، وتخلّت عن واجبها تجاههم في أتون المحنة، وأن موقفها دليل على أن معظم القيادات المتنفذة في مراكز السلطة الفلسطينية، لم تكن عاجزة وحسب عن حماية شعبها، بل ويذهبون لأبعد من ذلك بالتطرف في ادعائهم تجاهها، بان موقفها كان دليلاً على أن عملها على راس الأجهزة الأمنية الفلسطينية لم يتأسس في الأصل لحماية الشعب أو الأمن الفلسطيني حسبما يقولون!!.

إن الجنود من قوات الأمن الوطني الفلسطيني وغيرهم من أفراد القوات الفلسطينية الأخرى، يعيرون على قياداتهم أنها لم تكلف نفسها عناء السؤال عنهم طوال أيام التوغل الإسرائيلي، وجاء في شهاداتهم خلال المقابلات بأنهم تُركوا أسرى للجوع والبرد ووجع الإهمال.

حتى أولئك الذين نفذوا قرار القيادة بتسليم أسلحتهم وتغيير ملابسهم، قالوا بأنه لم يسأل بهم أحد، ولم يحدث أن اتصلت بهم قياداتهم حتى لمجرد السؤال عن أحوالهم، أو لمعرفة كيف يعيشون أو يبيتون - حسبما ادعى العديد منهم - خصوصاً وان معظمهم ليسوا من أبناء المحافظة وأهاليهم هناك، يتوزعون بعيداً في قطاع غزة، أو في العراق وتونس، أو في الأردن أو لبنان.

إن أول اتصال لقائد المنطقة بأفراد قوات الأمن الوطني الذين حوصروا داخل كنيسة المهدي وحسب شهاداتهم، كان فقط، عندما اتصل معهم آخر أيام الحصار كي يطلب منهم إعداد قائمة بأسماء أفراد الأمن الوطني الموجودين داخل الكنيسة للتفاوض بشأنهم.

مصادر هامة في قيادة المنطقة ردت على هذا الادعاء موضحة بأنها كانت على اتصال مستمر مع أفراد الأمن الوطني المحاصرين، ولكن كما قالت المصادر، فالإتصال لم يكن مع الجميع، بل مع أصحاب المراتب العسكرية العالية، والذين برأيها، كان عليهم إطلاع الجنود أو من هم أقل مرتبة عسكرية على ما هو مهم بالنسبة لهم. من جهته العميد أحمد عيد قائد المنطقة، رفض مقابلتنا أو الإجابة والتعقيب على الأسئلة التي قدمت له مكتوبة بشأن كل ما سبق (طالع الملحق 2 أسئلة لقائد المنطقة). وأياً كانت الحقيقة بشأن مختلف المواقف، فالقد كان الواجب الوطني يحتمّ حسم أي خلاف أو نقاش بشأن أساليب المقاومة والمواجهة قبل زمن بعيد، وتحديدًا عند البدايات الأولى للانتفاضة، وهو ما حاول الكاتب معالجته في الاجتماعات الموسعة كما يذكر قادة المجتمع في المحافظة، وحاول معالجته دون جدوى في جريدة الحياة الجديدة الصادرة في رام الله دون جدوى (طالع الملحق رقم 1 " لماذا اندلعت الانتفاضة). لقد كان الواجب - طالما وقعت المواجهة الشاملة- يقتضي التوحد صفا واحدا وتحمل النتائج والتضحيات التي تتطلبها تلك المواجهة، فأى سياق، وحين يصل إلى لحظة المعيار، لحظة انقطاع تدرجه الكمي، يكون من الحكمة أن تتوحد الناس، ويلحظة ما، عليها القبول والمجازفة بالتوقع، بغض النظر عن أية آراء متباينة جرى عرضها قبل وقوع المواجهة الشاملة.

خلو البلدة القديمة من المراكز الطبية

وجع يغوص في النفس أكثر من غوص الرصاص، " أين نذهب بالمقاتلين الجرحى وكيف نساعدهم؟" سأل جهاد جعارة المقاتلين من حوله كما لو كان يعرف بأنه سيصاب لاحقا ويُسلم للنزيف. كل التوقعات التي بنيت على لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية وعلى مؤسسات السلطة الفلسطينية انهارت في نفوس المقاومين مع الساعات الأولى للاجتياح الإسرائيلي للمحافظة، والمشكلة انه لا يوجد نص أو قصيدة للشاعر محمود

درويش قادرة على أن تفسّر هذا الانسحاب الاختياري عن أداء الواجب، أو تقدّم وصفاً لحالة المقاومين وهم يتقدمون بلا ظهر.

وليس فقط أن قيادة **لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية** فشلت وعجزت عن تقديم نفسها كإطار قيادي للشعب، وغاب أعضاؤها عن ساحة الفعل.

بل وأيضاً كشف الهجوم الإسرائيلي عن هشاشة وضعف **السلطة الوطنية الفلسطينية** والخلل في بنيتها المدنية والعسكرية والأمنية، الأمر الذي ربما يفسر هذا الانسحاب الاختياري للمؤسسة الفلسطينية الرسمية.

حسن عبد ربه ممثل حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح في لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية والذي كان عضواً في القيادة الوطنية الموحدة في الانتفاضة السابقة، قال:

- لقد تبين ولسوء الحظ، أن الجميع قد صدّق الخطاب الرسمي عن الجاهزية للمواجهة، لكنكشف في أتون المعركة بأنه لم تكن هناك أية جاهزية، وعلى سبيل المثال، فقد تم حصر الخدمات الطبية بمستشفى بيت جالا، وعند الحاجة لم يكن هناك سبيل للوصول إليه خاصة وإن الجيش الإسرائيلي المحتل تصرف بلا أخلاق أو أي احترام لمبادئ القانون الدولي، إذ كان يطلق الرصاص على سيارات الإسعاف ويمنع أي تدخل لمداواة الجرحى.

وتساءل **عبد ربه**:

- لماذا لم يتم بناء أو إنشاء أي مركز طبي داخل البلدة القديمة لتقديم الإسعافات الأولية أو العلاج اللازم لجرحانا من المقاتلين وسط المدينة وأحيائها القديمة؟.

نعم... لماذا كان علينا أن نفقد الشهيد **عمر شحادة الصلحات** أحد قيادي حزب الشعب الفلسطيني في بيت لحم الذي أصيب في المعركة، وظلّ ينزف لأكثر من خمس ساعات وهو يتلوى ألماً دون أن تقدم له الإسعافات الأولية، أو المساعدة الطبية على وقف النزيف المتدفق من وريده الأيمن؟.

حاولوا تخيل الوجع الذي أصاب **عمر شحادة** والألم الذي أحسّ به قبل استشهاده، وجع ربما كان يمزق نفسه من الداخل قبل أن يمزق جسده، خاصة وأنه كان يكثر من

الحديث وبصوت مسموع عن الحاجة للتخطيط والتنظيم والجاهزية وسد الثغرات والنواقص!.

فأي وجع أحسّ به الشهيد **عمر شحادة** قبل أن يقضي وهو لم يلحظ خلال المواجهة أدنى مستوى من الجاهزية في تقديم الخدمات الطبية للمقاومة. وأيضا، أولم يكن بالإمكان إنقاذ الشهيدة المواطنة **فهميه حسن منصور** لو توفر الدواء اللازم لها في الوقت المناسب؟

صحيح بان الاحتلال الإسرائيلي ظالم كأى احتلال، لكن خبرتنا في الصراع معه بأنه يمنع عنا ليس فقط حبة الدواء، بل وشربة الماء والهواء، فلماذا لم نعطِ لأنفسنا الفرصة خمس دقائق فقط، كي نفكر في الذي يلزم أو لا يلزم للمواجهة؟. كيف لم ندرك حاجات أكثر من عشرة آلاف إنسان من أهلنا في البلدة القديمة ولم نسأل أنفسنا كيف سيكون حالهم تحت الحصار؟؟.

وعن ذلك أجاب **حسن عبد ربه**:

- للأسف لم يأخذ أحد في مراكز صنع القرار في الخدمات الطبية بالاعتبار ، أهمية وجود مراكز طبية مختلفة وسط البلدة القديمة، أو في أحياء المدينة بشكل عام، رغم أن الهجوم الإسرائيلي الحالي، هو التوغل الرابع من نوعه لقوات الاحتلال الإسرائيلي في بيت لحم في غضون فترة قصيرة.

لقد مارست قوات الاحتلال الإسرائيلي جرائم حرب فاقعة لا تحتاج لأي اجتهاد بمنعها جميع الأطقم الطبية من مزاوله أعمالها ومنعها من الوصول إلى مراكز عملها، ليس فقط داخل المدينة، بل ومنعت قوات الاحتلال الأطقم الطبية من الوصول إلى مختلف العيادات والمراكز في قرى المحافظة.

وبسبب الحصار وحظر التجول الذي فرضته قوات الاحتلال الإسرائيلي، لم يكن في الإمكان تأمين وصول الأدوية الضرورية من مخازنها في رام الله إلى محافظة بيت لحم، هذا عدا عن اقتحام القوات الإسرائيلية لمقر وزارة الصحة في المحافظة والعديد من العيادات والمراكز الطبية وإطلاق النار على سيارات الإسعاف.

لقد نكل الجنود الإسرائيليون أثناء اقتحام المحافظة بالأطباء والمرضى وجرى احتجازهم ومنعهم من الوصول إلى مواقع الصدام لنقل الجرحى وتقديم الإسعاف اللازم لهم، مثلما حصل بالنسبة للجرحى والمرضى في أحياء الفواغرة والنجاعة وراس فطيس وساحة المنارة أو منطقة السوق القديم في بيت لحم. وأمام ضغط الحاجة للأدوية والإسعافات الأولية تمكن بعض مقاتلي قوات الشرطة البحرية من الاتصال بأحد المسؤولين السياسيين في التنظيم مقترح ين عليه فتح صيدلية نبيل الواقعة وسط البلدة القديمة، علما بان الرصاص في منطقتها كان يزاحم الرصاص لإيقاع الموت والفتك بالجرحى المقاتلين، فأُذِنَ للمقاتلين بفتحها والانتفاع مما هو متيسر وضروري لهم فيها، وان يعيدوا إغلاقها بوساطة قفل، وهكذا كان.

القتل بدم بارد

وفي هذه الأثناء اشتد القصف الإسرائيلي بالرشاشات وقذائف الأنيرجا نحو شباب المقاومة، فحققوا تقدما باتجاه مواقع المواجهة، وفيما كان المقاومون يتراجعون للخلف . داهم الجنود الإسرائيليون المشبعون بالكراهية والحقد على كل شيء فلسطيني، داهموا زقاق بير حمدين برشاشاتهم والبدء بمسجد الفاروق الواقع في وسط الزقاق حيث سلطوا تجاهه رشاشاتهم ومتفجراتهم ، وأفرغوا فيه الجنون بعينه، لنكتشف بأنهم قتلوا الشهيد عزت يوسف شاهين (60 عاماً) من قوات الأمن الوطني الفلسطيني الذي تبين بأنه قتل وهو على فراش الصلاة.

وبعد جريمة المسجد، ارتكب الجنود الإسرائيليون جريمتهم البشعة بقتل الحاجة سمية عابدة (60 عاماً)، وابنها خالد عابدة (37 عاماً) وهما جالسان في قلب البيت، وظلت جناتمين الشهداء في هذا الزقاق لأيام عدة دون أن تسمح القوات المحتلة بنقلها للمستشفى أو بدفنها، واضطر ابنها سامي إلى حشر أطفاله وزوجته في الحمام كي لا يروا الجثثارئين الملقين على أرضية البيت لأكثر من ثلاثة أيام.

نجاه ثمانية من موت محقق

احتفى ثمانية مقاتلين من كتائب شهداء الأقصى و الجهاد الإسلامي في أحد البيوت المشرفة على الزقاق، فضاق الحصار عليهم باحتلال القوات الإسرائيلية لمدخلي الزقاق من الجهتين الشمالية بولس السادس و الجنوبية شارع الفواغرة ومحاصرة البيت وتسليط الرشاشات نحو بابه، واعتقد الجميع بأنهم استشهدوا.

بادر أحد الشبان في البيت المحاصر إلى إطلاق النار باتجاه قضبان الحديد التي تشكل حماية لأحد النوافذ علّه يقطعها دون جدوى، وفجأة، قام إسرائيليون بإطلاق الرصاص الخارق نحو النافذة باتجاه مصدر النيران، فأصيب المقاتل نفسه بعيار ناري في صدره جراء ذلك، ولكن ربّ ضارة نافعة، إذ قطع الرصاص الإسرائيلي حديد

الحماية للنافذة ، فتأمن الطريق للشباب الثمانية للهرب من نافذة البيت المحاصر إلى سطح بيت مجاور ، ومن سطح إلى سطح حتى نجت المجموعة من موت محقق بوصولها لمنطقة السوق القديم، وحيث كانت تتجمع مجموعات المقاتلين المنسحبة من المحاور الغربية للبلدة القديمة.

انسحاب المقاتلين من المحور الغربي

ما بين الحادية عشرة والنصف ومنتصف النهار أضرر شباب المقاومة للانسحاب لمسافة خمسين متراً من الجهة الغربية للمعركة، مبتعدين عن تقاطع شارع السالزيان مع شارع بولس السادس ومدخل زقاق بير حمدين للاستحكام في الأزقة المحيطة والقريبة من كنيسة سانتا ماريا التي هي جزء من حارة الحريزات وبعضهم تراجع إلى محيط حارة السريان حالياً، التراجمة قديماً.

وعلى امتداد المسافة من مفرق السينما مروراً بساحة المدبسة وصولاً إلى مواقع المواجهة على تقاطع زقاق بير حمدين مع شارع الفواغرة و بولس السادس كانت العديد من الدبابات الإسرائيلية تدوس كل شيء في طريقها وتدمره، سواءً أكان سيارة أو باب متجر.

شقَّ العديد من شبان المقاومة طرقاتاً لهم بالتسلق على الأسطح مستخدمين السلالم التي كانت تُحمَلُ من موقع لآخر، كانت الحياة بالنسبة لهم ربما هي في آخر دورة من دوراتها، ومع ذلك كان الوطن، فلسطين والحرية بالنسبة لكل واحد منهم، قضية تستحق بأن يبقى الإنسان على قيد الحياة في سبيلها.

ومن سطح لبيت إلى سطح وحوش، بلغ المقاتلون المنسحبون منطقة السوق وسط نيران الرشاشات التي كانت تطلقها مروحيات **الأباتشي** من فضاء المدينة المغتصب، فتصيب **البويلرات** وتُطَيِّرُ المرايا الزجاجية شظايا في وجوه المقاتلين وأجسادهم وخزانات المياه وتفجرها حارمة أهل المدينة من مياه الشرب لأسابيع عديدة قادمة.

لحق الجنود الإسرائيليون المقاتلين على أسطح المنازل الأثرية في البلدة القديمة، وكان يمكن صدُّهم واصطيادهم من قبل المقاتلين الفلسطينيين بسهولة بسبب الميزات التي تقدمها أسطح البلدة القديمة لأبنائها، لولا مشاركة الطائرات المروحية في ملاحقتهم.

وعلى أحد الأسطح المتشابكة، سقط الشهيد البطل **خالد جعور** من قطاع غزة، وأحد مقاتلي **القوة "17"**، وظلَّ جثمانه الطاهر مُمدداً على أسطح البلدة القديمة ثلاثة أيام متوالية، دون أن يتمكن أحد من نقله إلى المستشفى، فقد كان جنود الاحتلال يطلقون النار على كل من يصعد لأسطح المباني وقد احتلوا المرتفع منها.

نعم، هنا تجلَّت للمقاتلين بوضوح أهمية القرية الفلسطينية بهويتها التاريخية المعروفة بسقوفها وعقودها المتلاصقة، التي بناها الآباء لحماية قريتهم ضدَّ الغزاة الغريباء، فكانت **بيت لحم** القديمة حصناً قتالياً منيعاً يستحيل على المهاجمين اقتحامه، وربما كانت هذه المناعة أحد الأسباب الرئيسة التي دفعت **بالسلطان بيبرز** لتنفيذ قرار هدم ما كان قد بقي من سورها وأبراجه كي يتمكن من هزيمة المتحصنين فيها.

أطفال الدهيشة..... دور وبطولة

وفي هذا الوقت بالذات ، الذي شهدنا فيه انسحاب المقاتلين عبر الأسطح من المواقع الغربية باتجاه السوق، كانت تدور اشتباكات طاحنة بين المقاتلين من المقاومة والجنود الإسرائيليين في محيط كنيسة سانتا ماريا عبر شارع بولس السادس.

لقد سُجِّلت في هذا الموقع وفي هذه الأثناء أجمل صور المشاركة والبطولة لأطفال مخيم الدهيشة، ملحمة من نورٍ وشعرٍ وقُدسية، دور شجاع وسط الرصاص والقذائف والبارود، مشاركة ورسالة ضدَّ الموت، وتأكيد على الحق في الحياة.

نفدت ذخيرة المقاتلين، لم يعد مع أحد أية ذخيرة، وكان لا بد من إنجاز مهمات كثيرة، يجب تغطية المنسحبين على الأسطح باتجاه السوق بإطلاق النار نحو مواقع التسلُّق، وتغطية المنسحبين باتجاه درج السوق عند مدخل كنيسة السريان ، والأهم هو تغطية وحماية عشرات المقاتلين والمواطنين في موقع المواجهة نفسه.

في هذه اللحظات الحرجة، كان أطفال مخيم الدهيشة في الواجهة، من أين أتوا بهذه الخرايط الأكياس المحشوة بالعبوات المحلية أل كواع؟، عشرات الخرايط، كان الطفل يمسك بالخريطة مبقيا على بابها مفتوح، وليس على المقاتل سوى أن ينهل منها العبوات ويقذفها على الجنود الإسرائيليين وآلياتهم ، فتوقع الجرحى بين الغزاة وترغمهم على وقف التقدم رغم رصاصهم الأشد كثافة من المطر. سقط من الجنود الإسرائيليين في مواجهات المحاور الغربية قبل انسحاب المقاتلين من المقاومة وحسب شهادات شهود العيان من الأهالي عشرة جرحى من الجنود الإسرائيليين بالإضافة إلى الجنود الأربعة في مواجهة حوش المحمص أمام ساحة المنارة.

وفي أعقاب هذه الملحمة من البطولة التي استمرت حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر، وبعد نفاذ كل الذخيرة من أيدي المقاتلين شبان المقاومة، اضطروا لإخلاء موقع المواجهة ولجأوا مرغمين للتحصن في أزقة حي الحريزات الضيقة، وفي كنيسة سانتا ماريا والبيوت المجاورة حيث حوَصر في الكنيسة ثمانون مقاتلا ومواطنا وطفلا من أطفال مخيم الدهيشة.

كان الجيش الإسرائيلي خلال المواجهة يُقدِّم على تبديل قواته كل ساعة من ساعات المواجهة، يسحبُ جنودا وفرقا بكاملها ليستبدلها بجنودٍ وفرقٍ جديدة، استخدام ناجع لقواه البشرية ، وبشكل خاص لآلياته المحصنة القادرة على اجتياز الأزقة مستفيدا من عدم توفر أية إمكانية لمواجهتها من جانب المقاومة الفلسطينية.

وفي الجهة المقابلة، كان شباب المقاومة يواصلون معركتهم على مدى ساعات النهار، غير أبهين بضغط الجوع والتعب، مسلحين فقط بالقناعات الساكنة في وجدانهم "كلُّ شيء يهون في سبيل الحرية".

النجاة من مذبحه في السوق القديم

ومن جهة أخرى وصل عدد المقاتلين الذين انسحبوا إلى السوق القديم إلى أكثر من مائة مقاتل، التصقوا بجدران السوق كي يحتموا من رصاص الإسرائيليين الذين سيطروا على الأسطح المطلّة على السوق من الجهة الغربية.

وفجأة غاب الجنود الإسرائيليون عن الأسطح للحظات عرفَ بعدها المقاتلون السبب، إذ أطلقت المروحيات 1 تجاه السوق الصواريخ لإبادة المقاتلين الذين كان منهم عشرون مقاتلا مباشرة تحت سقف القرميد الأوسط في السوق، ونجوا من موت محقق بأعجوبة، فقد كان أسفل سقف القرميد سقف آخر من الإسمنت المسلح، فيما كان باقي المقاتلين قد قذفت بهم الانفجارات على أرض السوق . وحمايةً الله وحدها أنقذت المقاتلين في هذه اللحظة من مذبحه محققة، فبعد إطلاق الصواريخ كانت رشاشات الأباتشي تحصد كل شيء على أرضية السوق.

الحصار في زقاق قرّاعة وحوش حزبون

وفيما كان الحصار يشتد على شباب المقاومة، وأحكمت القوات الإسرائيلية السيطرة على البلدة القديمة من الجهات الغربية والشمالية والجنوبية، وتلافياً لنيران المروحيات، تمكن المقاتلون ما بين الثانية والنصف والثالثة من بعد الظهر، من الولوج واحداً تلو الآخر إلى زقاق قرّاعة الواقع خلف السوق القديم من الجهة الشرقية.

هذا الزقاق، يفصل البيوت السكنية في حي النجاعة العتيق والممتد من جامع عمر بن الخطاب شرقاً وحتى ساحات السوق غرباً، وهو الزقاق الذي يصل أيضاً ساحة المنارة في شارع بولس السادس من الجهة الشمالية للبلدة القديمة مع شارع الفواغرة من الجهة الجنوبية قاطعاً البلدة القديمة إلى قسمين النجاعة شرقاً وحارة الفراحين غرباً،

ولا يتجاوز عرضه المتر وقد يزيد قليلاً، ليتجمع فيه مائة وعشرون مقاتلاً تمكنوا من الوصول عبر مختلف الأزقة.

وتحت تأثير الزحام في الزقاق، اندفع معظمهم باتجاه حوش حزبون الذي يقع في نهاية زقاق قراة من الجهة الجنوبية على قرنة حي النجاعة من الجهة الغربية الجنوبية، ولا تزيد مساحته عن مائة متر تقريباً ويربط الزقاق مع شارع الفواغرة.

صاروخ أو قذيفة واحدة، كان يمكن أن تقضي على جميع المقاتلين، كانت الساعة قد بلغت الثالثة بعد الظهر، حين وردت مكالمة هاتفية لأحد المقاتلين في البحرية من مقاتل آخر في الأمن الوطني، قال فيها بان الطريق إلى ساحة المهد أصبحت آمنة، وأن القوات الإسرائيلية لم تتمكن من التقدم إلى ساحة المنارة عبر شارع راس فطيس. بعد هذا الاتصال قرر العشرات من مقاتلي الجهاد الإسلامي الانسحاب من الموقع والذوبان بين البيوت رافضين فكرة التوجه إلى ساحة كنيسة المهد حتى لو أدى ذلك لاعتقالهم، وهو ما يفسر للقراء عدم وجود أي محاصر للجهاد الإسلامي بين المحاصرين في كنيسة المهد باستثناء شخص واحد هو المبعد فهمي كنعان.

شق أعضاء الجهاد الإسلامي طريقهم إلى أزقة الأحياء خارج الحصار بالرغم من أن الدبابات الإسرائيلية كانت ترابط على امتداد شارع الصّف وادي معالي في بيت لحم والمطلين على بيوت البلدة القديمة للمدينة من الجهة الجنوبية حيث تبدو الحيطان فوق بعضها كالسور، رُفِعَت بيوتها طبقة فوق طبقة، والنوافذ بدت كفتحات لإطلاق السهام على الأعداء في عصر الفروسية.

ووسط تضارب الأنباء عن تحركات قوات الجيش الإسرائيلي، ولعدم توفر معلومات من جهة مؤكدة، اتفق الجميع على تجميد قرار الانسحاب من الموقع إلى أن يحلّ الظلام، مع قناعة الجميع بأنه في حال اكتشاف الجيش الإسرائيلي للموقع، ومعرفته بحجم المحاصرين فيه، ستكون مذبحة لا محالة.

المطر وذوبان الفتوية

الساعة الآن هي الخامسة من مساء الثلاثاء الثاني من نيسان، فجأة، هطل مطر، مطرٌ لم نشهده حتى في أشهر "الكوانين" الماضية، مطرٌ بدا وكأن الله قد تدخَّل برحمته ليغسل الشباب المحاصرين من تعبهم وخوفهم ومعاناتهم، مطرٌ ، طهر نفوس المقاتلين من أوجاعها، مطرٌ، جاء ليبارك وحدتهم التي عمَّدت بالدم والإخلاص للحرية والوطن. لم تكن هناك أية قيمة لانتساب هذا أو ذاك لهذه المجموعة أو تلك، أو لهذا الجهاز الأمني أو ذاك، لم يكن هناك فرق بين هذا من الجهاد الإسلامي أو حماس وذاك من المخابرات العامة الذين لاحقوا أفراد هاتين الحركتين في تشرين الثاني الماضي لاعتقالهم، نعم هناك أمور في الحياة الفلسطينية لا يفهمها غير الفلسطينيين ، وتحتاج إلى علم خاص بالفيسفساء الفلسطينية لاستيعابها.

لقد استحال العثور على فوارق بين هذا من الاستخبارات العسكرية، أو ذاك من كتائب شهداء الأقصى، الأكثرية بين المقاتلين أو ذاك من جبهة التحرير العربية، الجميع من مقاتلي قوات الشرطة البحرية أو الأمن الوطني أو من القوة 17، كانوا جسدا واحدا، ونفسا واحدة، وبدا واحدة، هذا يطبَّب ذاك بربط جرحه بقطعة من قميصه، وذاك يتقاسم مع رفاقه إصبع الحلاوة الذي كان يحمله في جيبه، أو يوزع ما تبقى من ماء في قنينته البلاستيكية المحشوة في جيب سترته الواقية.

شباب المقاومة جميعهم، كانت تظللهم محبة أهل الحي المعبر عنها بأباريق الشاي والقهوة والطعام ، أو بالمعلومة التي كانت تقدمها النساء والصبايا اللواتي كنَّ ير اقبين حركة الجنود الإسرائيليين من النوافذ العالية والأبواب المطلة على أسطح المباني ويُخبِرْنَ شباب المقاومة.

تداول بعض شبان المقاومة المحاصر ين في الحوش الرأي، وشخَّصوا أموراً تحتاج للعديد من الندوات واللقاءات وورش العمل لإنجازها . تحدثوا عن مآل اتفاقات أو سلو وطابا و واي ريفر ومصير السلطة الفلسطينية وماذا سيحدث للرئيس ياسر عرفات الذي مضى أربعة أيام على حصاره، وقصف مقره بمختلف الأسلحة.

بعض شباب المقاومة قرع باب أحد البيوت كي يسأل أصحابه ويطمئن على ما يحدث في مخيم جنين الذي ذكرت أنباء الفضائيات عن بدء الحشود العسكرية حوله من جهة قرية الجلمة شمالاً، ومن جهة قرية زبوبا على طريق حيفا غرباً.

وآخرون من الشبان كانوا يستعرضون أهمية المقاومة واستخلاص الدروس من مواجهة اليوم، والحاجة إلى إحداث تغييرات عميقة في الحياة الفلسطينية ، وفي المقدمة منها إعادة بناء وهيكل البيت الداخلي الفلسطيني.

وكان للحياة حضورها، فهذا يحدث زميله في أمر أهله أو أطفاله ، أو فيما ستؤول إليه الأمور إلى السجن أم الشهادة أم الانتصار، وذلك يوشوش في أذن صديقه وقد سال لعبه على رائحة الطعام والخبز المحروق المنبعث من أحد المطابخ المظلة على الحوش، فيقاطعهم عبد الله داود مدير المخابرات العامة الذي قرر الاصطفاف مع شباب المقاومة وحوصر داخل كنيسة المهدي وابتعد خارج الوطن يقول لهما مازحاً:

- هل تستلذان في استعابة الخلق والتدخل في شئون الآخرين كعادتكم؟.

فيعلو الضحك ليتوقف الوجع والتوتر هنيهة . كل ذلك حدث في غضون ساعتين الحصار اللتين بدتا وكأنهما عقد من الزمان ، وتحت المطر الذي كان كدفتر يعرض جدول الأعمال والأجندة للنقاش.

وخلص القادة والنشطاء بين شبان المقاومة في الموقع، لأهمية وحيدة قصوى، هي حماية الكادر البشري للمقاومة وضرورة تأمين انسحاب آمن لجميع الشباب المحاصرين في الحوش والزقاق.

الانسحاب إلى كنيسة المهد

الساعة الخامسة والنصف مساءً تلقى أحد شبان المقاومة من القوات البحرية تأكيداً بواسطة شيفرة خاصة بان الطريق ما بين كنيسة سانتا ماريا مروراً بساحة المنارة عبر شارع بولس السادس الذي يخترق بيت لحم من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق وصولاً إلى ساحة كنيسة المهد بأنها آمنة وخالية من القوات الإسرائيلية. و حتى اللحظة، كان شباب المقاومة يسيطرون على هذا القاطع، ويمنعون تقدم القوات الإسرائيلية بعد أن شهد معركة قاسية سقط خلالها العديد من الجرحى ، ومن بينهم أصيب المقاتل **جهاد جعارة** الذي كان قد انسحب مع المقاتلين من المواجهات عند مدخل **زقاق بير حمدين** للاستحكام على درج السوق أمام أبواب **كنيسة السريان** لصدّ القوات الإسرائيلية التي ظلّت تحاول التقدم عبر شارع **راس فطيس**، حيث أصيب في ساقه أمام **زقاق حارة السريان** خلال معارك طاحنة استمرت لساعات طويلة ما بين ظهيرة اليوم والخامسة والنصف مساءً.

وظلَّ جعارة ينزف بلا علاج حتى وهو محاصرٌ في كنيسة المهدي إلى أن أُبعدَ لاحقاً خارج الوطن حسب مذكرة التفاهم التي أبرمها السيد محمد رشيد مستشار الرئيس ياسر عرفات حول الكنيسة.

بدأ بعض شباب المقاومة المحاصرين في حوش حزبون الانسحاب عبر بوابة تاريخية تصل الحوش بالقسم الشرقي من شارع الفواغرة على طول ثمانين متراً إلى مبنى بلدية بيت لحم وجامع عمر بن الخطاب فساحة كنيسة المهدي.

والقسم الآخر انطلق من زقاق قراة عبر درج يفضي إلى ساحة المنارة وعبر مائة متر في شارع بولس السادس إلى ساحة المهدي فيما شهدنا أيضاً مجموعات من شباب المقاومة الذين حوصروا في كنيسة سانتا ماريا وكنيسة السريان ينسحبون هم الآخرون باتجاه ساحة كنيسة المهدي.

هؤلاء كلهم ، غطى انسحابهم بطل واحد ، جلس على ركبة واحدة ، واسند سلاحه على الأخرى، في مشهد فلسطيني بلا ألوان، جلس يجسّد أجمل وأعرق معاني المقاومة والوحدة الفلسطينية في هذه المدينة، ولم يبرح مكانه - طالباً الشهادة - إلا بعد أن أيقن أنه لم يبق شاب واحد من شباب المقاومة المنسحبين باتجاه ساحة كنيسة المهدي.

ومع ذلك، لم يسقط هذا البطل هنا ، وكان أن شاء الله استشهاده في الأيام الأخيرة لحصار كنيسة المهدي، مخلفاً وراءه قلباً أحبته حتى بين رجال الدين المسيحي، الروم أو اللاتين الذين خبروا سلوكه طوال أيام الحصار لكنيسة المهدي ، انه الشهيد البطل خلف ناجرة ابن قرية نحالين الواقعة إلى الغرب 15 كيلو مترا عن مدينة بيت لحم.

لقد بلغ شباب المقاومة حالة الصفر في ساحة كنيسة المهدي ، جميع المداخل والمخارج للساحة محاصرة ، تتقدم عبرها الدبابات والآليات المجنزرة لقوات الجيش الإسرائيلي، هذا عدا عن سيطرة الجنود الإسرائيليين على أسطح المباني المطلّة على ساحة الكنيسة، ولم يعد هناك أي سبيل لنجاتهم من وقوع مذبحة.

وهنا تباينت الروايات بشأن الأسباب وراء اللجوء إلى كنيسة المهدي للاحتباء بها، وهما الروايتان:

الأولى: وتقول بان اللجوء إلى **كنيسة المهدي** كان مخطئا سلفا كأفضل مكان للحماية استنادا إلى قدسيته الدينية. وان الحصار داخل **الكنيسة** سيثير الرأي العام العالمي وخاصة المسيحي، وسوف تُتاح الفرصة لفتح مدخل جديد لعرض القضية الفلسطينية أمام الرأي العام العالمي والحصول على تأييد ودعم دوليين للمحاصرين في مواجهة الاحتلال الذي لا يتردد في حصار حتى أماكن العبادة الدينية للمسيحيين.

ويدّعي البعض ممن شملتهم المقابلات بأنه تمّ الطلب من **رعاة الكنيسة** قبل يوم من اجتياح المدينة بان يدعوا باب **الكنيسة** مفتوحا أمام شباب المقاومة، كي يتمكنوا من الانسحاب والعبور داخل **كنيسة المهدي**، وأن بعضهم كان قبل وقوع الاجتياح قد أدخل **للكنيسة** بطانيات وأغطية أخرى كي يتدفأ بها.

ويذهب بعض من قابلناهم إلى حد التطرف بالادعاء أن جهات سياسية عليا في السلطة الوطنية الفلسطينية، كانت على علم بخطة اللجوء والتحصن داخل **كنيسة المهدي**، وأن هذه الجهات، شجعت سلفا اتجاه شباب المقاومة باللجوء إلى **كنيسة المهدي** في حال وصول القوات الإسرائيلية لساحة باب الدير.

الثانية: هناك من قدموا رواية أخرى في تفسير أسباب اللجوء والاحتفاء في **كنيسة المهدي** ومن ذلك القول:

- إن المحتشدين في الساحة لاحظوا أحد المقاتلين من شباب المقاومة يركض من الساحة باتجاه **كنيسة الميلا**.

وفجأة... قالوا:

- في أعقابه وإذا بنا نتحول إلى حبل بشري يتراكم خلفه باتجاه **كنيسة المهدي**، حركة عفوية لم يخططها ولم يقررها أحد!!.

خيار الصفر حسب هذه الشهادة، وحده كان العامل الحاسم في توجه المقاتلين من شباب المقاومة إلى **الكنيسة**.

وجدير بالذكر أن خيار الصفر هو نفسه الخيار الذي دفع ببعض جنود الجيش الأردني المنسحبين للاحتفاء إلى جانب عشرات المواطنين من أهالي **بيت لحم** في **كنيسة المهدي** عندما احتل الجيش الإسرائيلي ما تبقى من فلسطين عام (1967).

وهو نفسه **خيار الصفر** الذي كان يدفع بأهالي المدينة والمنطقة للهروب إلى **كنيسة المهد** والاحتماء فيها من أتون الصراعات العشائرية والقبلية كتلك التي كانت تجري بين "قيس" و"يمن".

وفي جميع الحروب والغزوات التي عانت منها مدينة بيت لحم عبر التاريخ ، شهدنا مثل هذا الرحيل **لكنيسة المهد** ، كما هو الحال بالنسبة لجميع شعوب الأرض التي عادة ما كانت تجد طريقها **للكنائس** كأماكن للحماية وللحصول على الأمن، وذلك شهدناه في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، وشهدناه في أميركا اللاتينية التي عانت العديد من الصراعات الثورية والإقليمية.

ومن داخل **كنيسة المهد** وفي الساعة الأولى من بدء الحصار ، نشط بعض المحتمتين فيها بالاتصال بأصدقائهم من شبان المقاومة المحاصرين في **كنيسة السريان** وسانتا ماريا يبلغونهم بان الطريق إلى **كنيسة المهد** آمنة، ويدعونهم للقدوم إليها.

وهكذا تجمع في **كنيسة المهد** بعد غروب الشمس وقبل احتلال القوات الإسرائيلية لساحة باب الدير (298) محاصراً بمن فيهم رجال الدين الأرمن والروم والفرنسيسكان وست راهبات، وسيدتان تواجدتا في تلك اللحظة في ضيافة الإخوة الروم يضاف إلى هؤلاء كل من **محمد المدني** محافظ بيت لحم والمحامي **أنطون سلمان** رئيس الجمعية الأنطونية الخيرية البيتلحمية ، اللذين قيل بأنهما حوصرا صدفة حيث كانا يقومان بجولة تفقدية للكنيسة.

وقيل أيضا بأنهما كانا يبيتان في فندق **الكارانوف** ضيوفا على الأخوية الفرنسيةسكانية قبل ثلاثة أيام من الاجتياح الإسرائيلي بحسب شهادات بعض المحاصرين المفرج عنهم.

والثابت انه بعد لجوء شباب المقاومة إلى **كنيسة المهد** وأمام هذا العدد الكبير من الشباب، اتصل الأخوة الرهبان وخاصة الأب **إبراهيم فنتس** بمحافظ بيت لحم والمحامي **سلمان** ، ليكونا مع رجال الدين كي يساعدا في تنظيم الحياة داخل **الكنيسة** ، فتوجهها إلى **كنيسة المهد** ما بعد الساعة الخامسة بقليل، علما بان قوات الجيش الإسرائيلي كانت قد تراجع وتوقفت بآلياتها أمام مكاتب دائرة المياه شرقا.

ويمكن تصنيف الذين توجهوا إلى كنيسة المهد مبتغين الحماية في اليوم الأول لوقوع
المواجهة مع الاجتياح الإسرائيلي على النحو التالي بحسب انتسابهم:

75	كتائب شهداء الأقصى والمخابرات العامة	1
59	قوات الأمن الوطني	2
30	حركة حماس	3
25	أطفال وفتيان مخيم الدهيشة	4
23	قوات البحرية	5
12	جبهة التحرير العربية	6
10	الأمن الوقائي	7
5	الاستخبارات العسكرية	8
4	القوة 17	9
1	الجهاد الإسلامي	10
2	محافظ بيت لحم ورئيس الجمعية الأنطونية	11
6 = 1 + 5	رجال الدين الأرمن + موظف	12
= 9 + 2 + 2 13	رجال الدين الروم ومعهم راهبتان وامرأتان	13
33 = 29 + 4	رجال الدين الفرنسيين ومعهم أربع راهبات	14
298	مجموع المحاصرين في كنيسة المهد	

وقد حيا محمد المدني محافظ بيت لحم شبان المقاومة الذين تجمعوا للاحتفاء بجرمة
الكنيسة وطمأنهم يقول:

- إنكم في أكثر الأماكن أماناً في العالم!!.

وأضاف يحييهم بكلمة تشجيعية متطرفة وهو في ذروة حماسٍ غير المدوّرن فقال:

- من هنا ستقام الدولة الفلسطينية المستقلة إن شاء الله!!.

وأعقبه الأب إبراهيم فلتس راعي كنيسة القديسة كاترينا الذي رحب بالمقاتلين مؤكداً
بإيجاز:

إن الكنيسة هي بيت عبادة وصلاة وبيت للأمن والسلام.

وأضاف الأب فلتس منهيًا كلمته:

- أتمنى على الله أن يحفظكم جميعاً آمين.

وبعد تقديم القهوة لجميع ضيوف الكنيسة وما تيسر من الطعام ، انصرف الجميع إلى نوم عميق، ومعظمهم لم ينم منذ أربعة أيام ، هي بداية فرض الطوق والحصار بإحكام على محافظة بيت لحم، معتقدين حقاً بأنهم في أكثر الأماكن أماناً في العالم، مقتنعين بأن الاحتلال قد يرتكب أي جرم إلا جرم اقتحام الكنيسة!!.

نامت عيونهم ونفوسهم مطمئنة، والله أعلم أية أحلام أو كوابيس كانت من نصيب كل واحد منهم، خاصة وأن لكل منهم أو لبعضهم ذكرياته الخاصة مع الجرحى الذين احتموا في بعض البيوت وينزفون بلا علاج حتى إشعار آخر، أو مع الشهداء الثمانية الذين سقطوا في معركة الدفاع عن حرية وكرامة الوطن في اليوم الأول للتوغل الإسرائيلي الخامس الهادف لإعادة احتلال بيت لحم ، وجميعهم، لم يتمكن أحد من الوصول إلى جناتهم لنقلها إلى المستشفى أو دفنها.

والبعض غفل وهو يفكر فيما قد يكون قد حدث للشبان الذين احتموا في كنيسة سانتا ماريا والسريان حيث بقي فيهما قرابة مئة شاب، رافضين القدوم إلى كنيسة المهد أو لم يتمكنوا من ذلك.

وجدير بالذكر أن جميع المحاصرين في الكنيستين السريان وسانتا ماريا نجحوا في اختراق الحصار والفرار من الموقعين ما بين اليوم الأول والثالث من بدء الاجتياح برغم الإجراءات الإسرائيلية الشديدة.

الحصار وأيامه داخل كنيسة المهد

استفاق المحتمون داخل الكنيسة على ما هو مشترك في داخلهم وسيطر على عقولهم، استفاقوا جميعا ليسأل كل نفسه والآخر حوله نفس الأسئلة، كان الجميع قد أعياهم تعب المواجهة وسهر الليالي وقسوة الأرضية في الكنيسة على أجسادهم بلا فراش. نهض المحاصرون من نومهم وكلّ يحاول شدّ كتفي صديقه يقطع عظامه، ليكتشفوا جميعهم بان أسئلة كثيرة تشقّ السكون في بهو الكنيسة الواسع وأروقتها وحنّياتها تطالبهم بحقوقها في الإجابة.

لم يكن بين المحاصرين وخاصة خلال الأيام الأولى من أدرك أن الحصار قد يطول، والغالبية من المحاصرين لم تستطع فهم واقع الحال، ولا كيف حدث أن تراكض الجميع صوب الكنيسة ، وليس بين المحاصرين من يفكر بالحاجة لمنظومة من الضوابط اللازمة لتنظيم الحياة داخل الكنيسة.

الاعتقاد الذي ساد حينئذ بين المحاصرين ، هو أن الحصار قد يستمر ليوم أو يومين ،
فتنسحب القوات الإسرائيلية ، ويعود الجميع إلى بيوتهم أو مقارهم أو لشوارع المدينة
التي أحبواها .

قلة من شبان المقاومة ربما أدركت ما هي فيه ، وخاصة بعد أن بلغتهم أخبار الهجوم
الشامل على مخيم جنين منذ فجر اليوم ، الأربعاء ، يومهم الثاني تحت الحصار ،
وبلغتهم أخبار تشديد الحصار على مقر الرئيس ياسر عرفات في رام الله وسط صمت
عربي ودولي كما لو أن العالم يوافق إسرائيل فيما تفعله بالفلسطينيين .

ولربما انتسب قرار هذه القلة من الشبان المحاصرين ليس إلى المخاوف مما قد يحدث ،
بل إلى الصدفة وحسب ، فقد غادر عشرون منهم كنيسة المهد في صبيحة نفس اليوم ،
وبعد مبيت ليلة واحدة فقط على بلاط صحن الكنيسة .

تسلل شباب المقاومة الناجون من الحصار عبر الباب الجنوبي لمجمع الأديرة المحيطة
بكنيسة المهد والمطل على شارع " السيدة " ، ومن ثم إلى زقاق مسقوف بعقود رومانية
فالأحياء المجاورة للكنيسة ، ورعاية المواطنين التي احتضنتهم وأخفتهم عن أعين
المحتلين .

وفيما كان الليل في الليلة الثانية يحجب النجوم عن قلب المدينة التي باتت جميع
أطرافها خاضعة لحظر التجول ومداهمات العساكر للبيوت الآمنة ، وقوات الاحتلال
تمنع المواطنين الذين منازلهم في البلدة القديمة تطل على ساحة المهد من فتح النوافذ
والنظر إلى الكنيسة ، وكل من يخالف سيطلق عسكرُ الاحتلال النار على نافذته .

وفي وقت متأخر من مساء الثالث من نيسان ، وهناك من قال بان الوقت كان فجر
الرابع منه ، أي الخميس ، استفاق المحاصرون على محاولة فاشلة من بعض الشبان
المحاصرين خلال الليل للخروج من حصار الكنيسة ، الذين تبين لهم أن قوات الجيش
الإسرائيلي قد أحكمت سيطرتها على محيط الكنيسة واحتل الجنود جميع أسطح
المباني المجاورة واستقبلهم جنود الاحتلال في مناطق التسلل الجنوبية والشرقية بوابل
من الرصاص .

وحتى هذه اللحظة ، لم يكن قد حدث أي احتكاك أو مواجهة بين المحاصرين داخل التجمع الكنسي وقوات الاحتلال الإسرائيلي التي تزيد من إحكام سيطرتها على المنطقة.

وفقط من بعيد، كان هدير الدبابات المجنزرة التي استباحت المدينة يخترق الجدران السمكية لأديرة الكنيسة محدثا دويا لا ينقطع.

وبين وقت وآخر ، صوتٌ وقح كان يعلو من مكبرات الصوت بأحد أطراف المدينة، صوت لأحد الجنود الإسرائيليين وهو يسخر من شعار الرئيس ياسر عرفات الذي أطلقه بشأن خيار الاستشهاد أوائل أيام الحصار في المقاطعة بمدينة رام الله، فكان الجندي يقول:

- يا أهالي بيت لحم ممنوع التجول ونموا هنيئا هنيئا وكل من يخالف بصير شهيدا شهيدا شهيدا.

وكان يسمع أيضا نداء بلهجة لبنانية متقنة بمكبرات صوت قريبة ، يطالب المحاصرين بالخروج من كنيسة المهد وتسليم أنفسهم لقوات جيش الدفاع الإسرائيلي في صبيحة كل يوم وهو يكرر:

- أيها الجمهور المحاصر في كنيسة المهد، كل شخص عليه أن يقرر مصيره بنفسه، سلموا أنفسكم لجيش الدفاع الإسرائيلي وكل واحد يروح لبيته سالم غانم، حرام على الجوع والتعب.

وبعد أن ينتهي الجندي الإسرائيلي من هذا الخطاب يقول:

- اكتبوا رقم التلفون للتنسيق مع قائد الحملة لمعرفة كيف تخرجون.

وتجدر الإشارة إلى أن العديد ممن تمكنوا من الخروج من الحصار ، كانوا يهاتفون سراً قائد الحملة العسكرية ، ويتفقون معه وينسقون كيفية خروجهم من الحصار، وإلى أي باب يتجهون، وهذا ما يفسر الفرق بين عدد الذين تم إحصاء وهم ليلة الحصار الأولى والعدد الإجمالي للمحاصرين الذين خرجوا من الكنيسة.

الحياة في الكنيسة تحت الحصار

لجنتان أدارتا الحياة تحت الحصار، الأولى أمنية وتتحمل مسؤولية المواجهة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي، و الثانية لتنظيم الحياة الداخلية بما في ذلك العلاقات بين المحاصرين أنفسهم ، أو بين المحاصرين و رجال الدين ، أو لتنظيم وجبات الطعام المتوفرة وأعمال النظافة داخل موقع الحصار، باستثناء جلي الصحون ، حيث اتفق على أن تقوم كل مجموعة من مجموعات المقاومة بجلي الصحون الخاصة بأفرادها، أما جلي الطناجر الكبيرة الرئيسة كان يجليها وينظفها أشخاص يتطوعون لهذه الغاية ، مقابل كأس شوربة زيادة على حصصهم المقررة لهم..

كان رجال الدين الروم واللاتين والأرمن يتناوبون في تقديم وجبات الطعام إلى المحاصرين علماً بان رجال الدين اللاتين، تحملوا العبء الأكبر في ذلك ، وكرس الرهبان الشباب منهم جلّ وقتهم لرعاية المحاصرين والسهر على راحتهم وتقاسموا معهم "المرّة قبل الحلوة" كما نقول في أمثالنا الشعبية.

أما وجبات الطعام التي كانت تقدم للجميع بمن فيهم رجال الدين أنفسهم فهي عبارة عن (10 كيلو غرام أرز) لجميع المحاصرين ، ونصيب المحاصر منها يعادل ملعقة أرز واحدة فقط، مع قليل من الشورية.

من جهتهم قدّم رجال الدين من طائفة الروم، أفران الغاز والطناجر و "بابور" قديم كان صالحاً للاستعمال.

وقد لقي الشباب المحاصرون عناية ورعاية واحتراما خاصا من رجال الدين من طائفة الروم الذين اندمجوا مع شباب المقاومة بعقلهم ووجدانهم وتقاسموا معهم حتى همومهم الحياتية، وأنصتوا لأحاديثهم وهم يعرضون ذكرياتهم واتجاهاتهم الانفعالية، وتقبلوا حتى بعض التفاهات السلوكية التي بدرت من بعض المحاصرين كما لو كان الواحد منهم أباً أو أخاً للمحاصرين.

كما تميزت العلاقات بين المحاصرين ورجال الدين من الطائفة اللاتينية بالحميمية أيضاً، وإن ظلّت محكومة ببعض الضوابط مع أقلية من رجال الدين الكبار الذين كانت التجربة بالنسبة لهم أكثر من جديدة، واحتاجوا لعدة أيام للتكيف مع الوضع الجديد. وقد مثّلت العلاقة مع كل من الأب أمجد صبارة وإبراهيم فلتس نموذجا رائعا للعلاقة بين المناضلين ورجل الدين. فقد كانا حاضنة حقيقية للمحاصرين، يقدمان لهم الاحترام والرعاية، ويسهران على حاجاتهم، ويتبعان همومهم اليومية.

وأوضح المحاصرون المفرج عنهم يقولون:

- كان إبراهيم فلتس وأمجد صبارة كالبندول لا يهدآن، يتحركان من زاوية إلى أخرى، ليظمنن على أن كل شيء يجري بصورة حسنة ، وقد تحملا من الضغوط ما تعجز الجبال عن حمله.

وليس لدي أدنى شك في أن الأب إبراهيم فلتس المعروف لدى أهالي المحافظة منذ أيام الانتفاضة الأولى بمواقفه الشجاعة المخلصة، وبوطنية الجياشة، وكمسئول بارز في مدرسة " تراسنطا"، والذي التقيته لأول مرة و هو يعزز ويرسخ مظاهر التعاضد والتعاون والوحدة في المدينة في أوج الانتفاضة الأولى عام 1989، فإنه الآن أيضا والكنيسة تحت الحصار، لا بدّ وانه يتحلى كما عرفناه دائماً، بنفسٍ بيضاء كبياض

بيت لحم، برغم انه يزرع تحت تجربة من نوع جديد ما كان يمكن توقعها بالنسبة لرجل دين حيث تقصف أمام عينيه **سيدة الكنائس** بالرشاشات!!.

أما الهواتف الخليوية فقد كانت في منتهى الأهمية رغم مخاطرها في الكشف عن هوية مستخدميها، فهي قناة الاتصال الوحيدة مع العالم الخارجي، وعندما قطعت الكهرباء عن الكنيسة، واجهت المحاصرين مشكلة شحنها، ولكنهم في النهاية وبعد تقديم ثمن باهظ في البحث عن الكهرباء، لاحظوا بأن **المجمع الكنسي** كله بلا كهرباء باستثناء **جرسية الكنيسة** التي بقيت مضاءة.

فتساءل المحاصرون فيما بينهم ومع رجال الدين من أين تأتي الكهرباء **للجرسية** إذاً؟؟. وقد تبين أيضا بان رجال الدين جميعهم الشبان منهم والكهال، لا يعرفون شيئا عن المصدر الذي يزود **الجرسية** بالكهرباء.

ما علينا، فقد تمكن أحد المحاصرين من المخاطرة والتسلل **للجرسية**، وقام بربط سلك كهربائي بخط **الجرسية**، فتأمنت الفرصة كاملة للمحاصرين لشحن " بطاريات " هواتفهم الخليوية، الأمر الذي أثار جنون النقيب **جو ليدن** قائد القوات الإسرائيلية الميداني حول **الكنيسة** وهو يبحث عن مصدر الكهرباء لقطعه.

و فقط، بعد فك الحصار والفحص، تبين أن خط الكهرباء الخاص **بالجرسية** هو خط منفصل عن شبكة التمديدات التي تخص **كنيسة المهد**، ومرتبطة بتمديدات الكهرباء في بعض شوارع المدينة.

أما بخصوص أغطية النوم فقد تمكن المحاصرون من التسلل إلى **فندق الكزانوفا** لإحضار الأغطية اللازمة للنوم، بما في ذلك وصولهم إلى مطبخ الفندق لإحضار الصحون والسكاكين والملاعق الخاصة بالطعام.

إن المحاصرين، وتحت ضغط الحاجة للدفع، اضطروا لتحطيم بعض زراويل الأبواب لأنها كانت مغلقة لسوء الحظ للوصول إلى المطبخ والأغطية، الأمر الذي اعتبرته وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية المعادية، محاولات من المحاصرين لسرقة فندق **الكزانوفا**.

وفي أوقات الفراغ، أو حين ينهي المحاصرون مناوبتهم في الحراسة فقد كانوا يشغلون أنفسهم بقراءة صحف قديمة تم العثور على كميات كبيرة منها في فندق الكزانوفا، أو يطالعون الكتب الدينية كالإنجيل والقرآن.

استشهاد قارع أجراس الكنيسة

وفي فجر الخميس 4/ نيسان 2002 سُجِّل أول احتكاك مع القوات الإسرائيلية، وهو الحدث الذي كشف بأن الاعتقاد بوجود أماكن آمنة في الوطن الفلسطيني بما فيها الكنائس، هو مجرد وهم وخداع للذات، فإسرائيل بلد فوق القانون يفترض توقع غير المتوقع منها.

فقد فجّر المحتلون الإسرائيليون الباب الجنوبي للمجمع الكنسي الذي يصل كنيسة المهد بالطريق إلى مغارة الحليب، لتهيئة السبل أمام جنود الاحتلال في الاقتحام الذي يعدّون لتجربته، فيكتشف المحاصرون أن المواطن سمير إبراهيم سليمان الذي يعمل قارعاً لأجراس كنيسة المهد قد استشهد جراء التفجير، وتبين انه أصيب ليس فقط بشظايا الانفجار، بل وبعده رصاصات في أنحاء مختلفة من جسمه ، فسقط بذلك أول شهيد في الكنيسة المحاصرة.

إن استشهاد قارع الأجراس قد شكّل رسالة بليغة للمحاصرين باستمرار الصراع في قادم الأيام، ورسالة للرأي العام العالمي، بأن قوات الاحتلال الإسرائيلي، لا يعيقها عائق في

قتل من تشاء، وفي أي مكان تشاء، حتى لو كان الضحية محتما في سيدة الكنائس حيث ولد يسوع المحبة.

وبلغت الوقاحة بالمسؤولين الإسرائيليين وإعلامهم الحكومي وفي معرض تبريرهم لقتل الشهيد سمير سليمان إلى أن الناطق باسم الجيش الإسرائيلي قال:
- لقد أصيب أثناء محاولة الجنود الإسرائيليين تخليص الرهائن المسيحيين المحتجزين في الكنيسة من قبل المسلحين الفلسطينيين!!.

صرخة المهد

في أعقاب استشهاد قارع الأجراس الذي تسلمه الصليب الأحمر ونقل جثمانه إلى مستشفى بيت جالا يوم (السبت 2002/4/6)، وعلى ضوء إحكام الحصار على المجمع الكنسي كله، وقطع المياه والكهرباء ، وعدم السماح بإدخال المواد الغذائية والأدوية، ومنع قوات الجيش الإسرائيلي أية جهة كانت من زيارة كنيسة المهد، بما في ذلك رجال الدين المسيحيين من بيت لحم والقدس وغيرها.

وكذلك فإن الشعور لدى المحاصرين بانفراد الاحتلال الإسرائيلي بالشعب الفلسطيني وقيادته، وانفراده بكنيسة المهد وبمحافظة الوطن بشكل عام، حيث تم في غضون الساعات الأخيرة من الليلة الماضية، وحسب الأخبار التي تواردت للكنيسة باعتقال المحتلين أكثر من 70 مواطنا من منطقة بيت لحم وحدها، مستفيدا من صمت النظام العربي وعجزه أمام الولايات المتحدة الداعمة للاحتلال.

يضاف إلى ذلك، صمت العالم المسيحي الأوروبي بشكل خاص، وورود معلومات في حينه بان الفاتيكان ليس لديه أي خطة لإنهاء المواجهة في كنيسة المهد.

ولما كان وزراء الخارجية العرب قد اختتموا اليوم السبت السادس من نيسان اجتماعهم الوزاري وكل ما صدر عنهم تمثل في الاتفاق على التوجه لمجلس الأمن الدولي ومطالبته بفرض عقوبات على إسرائيل، برغم معرفتهم بأن ليس باستطاعتهم تحقيق ذلك بفعل الفيتو الأميركي الروتيني، حيث، اضطروا لسحب الاقتراح والتراجع عنه فيما بعد.

وأيضاً التهديد الإسرائيلي الذي أعلن اليوم (السبت 2002/4/6) على لسان الناطق العسكري الإسرائيلي قال فيه:

- إن هناك طواقم خاصة في الجيش قد بدأت التحضير لعملية اقتحام للكنيسة بعد سلسلة من الإجراءات التي هدفت لإنهاك المسلحين الفلسطينيين داخل الكنيسة. حاول أخي القارئ تخيل كيف سيكون وقع ذلك معنويًا على المحاصرين، مقاومين أو رجال دين وهم في أوج الأزمة وحصار أقدس المقدسات بالنسبة للمسيحيين في وطننا والعالم من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي، عندما يعلمون بأن العالم قد تخلى عن كنيستهم،

لكل ذلك، توجه المحاصرون في هذا اليوم (2002/4/6) بنداء مفعم بالأمل (الملحق رقم 3)، طالبوا فيه المجتمع الدولي بالتدخل لفك الحصار عن كنيسة الميلاد محملين الحكومة الإسرائيلية المسؤولية عن حياة المحاصرين داخل الكنيسة.

وقيل في أمثالنا الشعبية: "ما بجنّ على العود غير قشّره" واستجابة لهذا النداء، تداعى رجال الدين المسيحي في بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والقدس ومن مختلف الطوائف المسيحية، ومعهم ممثلو المؤسسات والجمعيات والهيئات الدينية المسيحية والكنسية فأصدروا البيان التاريخي الذي حمل العنوان نداء مهد المسيح (الملحق رقم 4). وقد تضمن بيان رجال الدين مناشدة جميع الخيرين والقوى المحبة للسلام، بأن تعمل معا وبشكل جدي وسريع لفك الحصار عن كنيسة المهد والمحاصرين فيها، وإنهاء محاصرة الشعب الفلسطيني.

كما توجه ممثلو الهيئات والمؤسسات الأهلية والدينية في نفس اليوم أيضاً، بدعوة جميع المؤمنين في محافظة بيت لحم لإغاثة كنيسة المهد بأن يكسروا حظر التجول والتوجه

يوم (الأحد 2002/4/7) إلى مقر وكالة الغوث الدولية في بيت لحم والتجمع هناك للانطلاق من الموقع باتجاه الكنيسة المحاصرة ومحاولة الوصول إليها لفك الحصار عنها وإقامة صلوات الأحد فيها (الملحق رقم 5).

وفي الموعد المحدد كانت الدبابات الإسرائيلية قد توزعت على جميع المفاقر في مدن ومواقع المحافظة المختلفة، وحذرت الأهالي عبر مكبرات الصوت بأنها ستطلق النار على كل من يخرق حظر التجول.

وعلى الأرض منعت قوات الاحتلال الصحفيين وسيارات الإسعاف والصليب الأحمر من الحركة، ووقعت حوادث إطلاق نار تجاه سيارات الإسعاف وأطقم الدفاع المدني واحتجزت قوات الاحتلال العديد من الأطباء والمرضى وطواقم الإسعاف على الطرقات لمنعهم من الوصول إلى غاياتهم، أو العودة إلى مواقعهم الطبية التي انطلقوا منها.

وفي الجهة المقابلة لم تقف القوات الإسرائيلية المحتلة عند حدود منع المؤمنين من الوصول والصلاة في كنيسة المهدي، ولا عند حدود حرمان الجمهور من الحق في الحركة بمواصلة فرض حظر التجول الشامل، بل شرعت بالإعداد عملياً لاقتحام كنيسة المهدي.

اقتحام الكنيسة وقائع تنشر لأول مرة

فجر (الاثنين 2002/4/8)، وقعت المحاولة الإسرائيلية الأولى والرئيسة لاقتحام كنيسة المهد من جهة الخورانية، وهو مكان مخصص للإخوة الرهبان والقساوسة في دير الرهبان الفرنسيكان.

اكتشف المحاصرون إقدام القوات الإسرائيلية على وضع سلاح طويلة على جدران الخورانية التي تقع حجراتها مباشرة فوق الباب الخاص بكنيسة القديسة كاترينا، إلى الشمال من الباب الرئيس لكنيسة المهد بثلاثين متراً.

كما تحقق المحاصرون من إقدام القوات الإسرائيلية المحتلة على حشد عدد كبير من الجنود الذين كانوا يحيطون بالكنيسة، واستخدام رافعة حملت صندوقاً وضعت عليه كاميرا ورشاشاً يعملان بتوجيه عن بُعد.

كذلك لاحظ المحاصرون فوق ساحة تمثال القديس "جيروم" المكشوفة، وجود منطاد مزود بآلات تصوير لمراقبة الردهات المكشوفة، أو أية حركة خلف زجاج النوافذ داخل الكنيسة، أو حجرات الإخوة الرهبان، فأيقن المحاصرون أن مرحلة جديدة قد بدأت،

وأن الجيش الإسرائيلي يخطط لاقتحام الكنيسة ، وان عليهم المبادرة لاتخاذ خطوات سريعة قبل أن تكتمل خطة التنفيذ عند العدو.

اجتماع طارئ

اجتمع على الفور قادة المجموعات المختلفة وعدد من النشطاء عند صحن الكنيسة في القسم الخاص بالإخوة من طائفة الروم الأرثوذكس ، وخلال الاجتماع تم الاتفاق على تنظيم وإدارة الوضع داخل المجمع الكنسي المحاصر ، وحظيت قرارات الاجتماع باحترام وقبول جميع المحاصرين ، نظرا لخصال الأسماء المقترحة الأمنية ، والتي ترجمت مظاهرها منذ بداية الاجتياح الإسرائيلي للمحافظة.

خطة المحاصرين لصد الاقتحام

وفي اجتماع عاجل بين قادة المجموعات المحاصرة وخاصة من قوات كتائب شهداء الأقصى اتفق على ما يلي:-

- أولا: عدم إطلاق النار من داخل المجمع الكنسي إلا في حالة الصفر ، وحسب توضيح أحد المشاركين في الاجتماع، أي في حالة الخطر الجدي وبعد التحقق من أن قوات الجيش الإسرائيلي قد أصبح جنودها داخل الكنيسة ، وهو القرار الذي يكشف المستوى الأخلاقي الرفيع ، والمسئولية العالية على حرمة كنيسة المهدي لدى المحاصرين، وبطلان المزاعم الإسرائيلية بشأن انتهاك حرمة المكان الديني المقدس لدى المسيحيين.

- ثانيا: تم اعتماد حراسات على جميع محاور الكنيسة ومداخلها وشبابيكها، وان يتابع قائد كل مجموعة من المحاصرين عملية التنفيذ بأقصى سرعة ممكنة لأفراد مجموعته في الأماكن المخصصة.

- ثالثاً: مهمة حراسة الطابق الثاني للخورانية وهي أكثر الأماكن خطورة حسب المعطيات، ونقطة الضعف في المواجهة يكفُّ بها الإخوة من أفراد الأمن الوطني، نظراً لميزاتهم وتدريبهم العسكري الجيد مقارنة مع باقي المجموعات.

- رابعاً: توكل مهمة حراسة الساحة الأرضية والطابق الأول " للخورانية " لمجموعة قوات الشرطة البحرية.

- خامساً: توزيع أجهزة الإرسال بحيث يكون مع كل اثنين من الحراس جهاز واحد لضمان تدفق المعلومات.

- سادساً: تقرر انتخاب واعتماد مجموعة من خيرة المقاتلين المحاصرين من مختلف مجموعات المقاومة، واتفق على تزويدهم بـ " M16 " و"كلاشينات" منتقاة وكمية كبيرة من أل "كواع".

- سابعاً: اثنان من الشبان اللذين رشحا نفسيهما للتفخيخ اعتمدا كاستشهاديين وشرع بتحضير جسديهما على الفور.

لم يكن أي من المحاصرين المستعدين للقتال أو الاستشهاد بحاجة إلي أي إيضاح، عمل المحاصرون كخلية نحل، كل واحد كان يعرف ما الذي عليه فعله، وليس من السهل معرفة كيف تمت عملية التحضير والجاهزية بهذا المستوى الرفيع من التنظيم والدقة والسرعة في الأداء، مستوى من المبادرة يعجز العقل عن فهمه.

الإسرائيليون المحتلون من جهتهم، كان واضحاً بأنهم يخططون لعمل كبير يعتمد على إطلاق نيران كثيفة والضرب بدقة وقوة، والاعتماد على عنصري المباغته والإرهاب النفسي، وأقصى درجات الاستخدام التكنولوجي، والاعتماد على قوات خاصة مدربة تدريباً خاصاً لإنجاز مهمة الاقتحام.

أكاذيب الإعلام الإسرائيلي والأميركي

وقبل تنفيذ الخطة بالهجوم على كنيسة المهدي، استخدم المحتلون مسبقاً وسائل الإعلام الرسمي الإسرائيلي وبعض مراسلي وكالات الأنباء الأجنبية كمراسل "أل" "CNN"

المدعو "والتر روجر" للمشاركة في تهيئة الرأي العام بالأكاذيب الإسرائيلية وبالادعاءات كقوله:-

- أن شباب المقاومة المحاصرين يحتجزون رجال الدين في الكنيسة رهائن بين أيديهم.

وكذلك ادعاؤه بأنهم "يطلقون النار من داخل الكنيسة ضد القوات الإسرائيلية" و فقط لتبرير عملية اقتحام القوات الإسرائيلية لكنيسة المهدي التي كان يجري الإعداد لها مسبقاً على قدم وساق.

هذه المزاعم الكاذبة، تم ترويجها عالمياً بالرغم من النفي المتكرر الذي أعلنه الأب إبراهيم فلتس راعي الكنيسة الكاثوليكية لوسائل الإعلام العالمية ومن ذلك ما قاله لقناة الجزيرة الفضائية وغيرها "بان الرهبان المحاصرين ليسوا دروعاً بشرية أو رهائن يحتمي بهم المقاتلون كما يدعي الإعلام الإسرائيلي.

ولما كانت سيرة المدعو والتر روجر مراسل أُل (CNN) قد انفتحت فقد ذهب في أحد تقاريره وهو يقف على سطح فندق غراند بنديك في القسم الغربي من مدينة بيت لحم والبعيد عن موقع الكنيسة وتحجبها عنه العديد من المباني العالية ، أن قدم نفسه للمذبة كخبير في الأسلحة بادعائه وهو يقول:

- إن الفلسطينيين يطلقون النار من داخل الكنيسة.

وحين سألته المذبة كيف تعرف ذلك؟

قال:

- إن ما اسمعه بوضوح - لاحظوا ما يسمعه!- هو صوت الكلاشينات الفلسطينية التي اعرفها!!.

وأضاف ليؤكد انحيازه وعدم مهنيته في الموقف مما يجري تلك الليلة:

- بان الجيش الإسرائيلي يحرص على احترام أماكن العبادة!!!؟.

و فقط تطوع المراسل والتر روجر لنقل أكاذيب القائد العسكري الإسرائيلي في المؤتمر الصحفي حول ما جرى تلك الليلة.

ولاحقاً، وبعد أن انفضّ سامر الحصار بالنسبة لمثل هؤلاء الصحفيين فإن والتر روجر هو نفسه الذي مرر لمحطته أيضاً تقريراً آخر كاذباً، إذ عمد في أعقاب خروج المحاصرين من كنيسة المهدي وانهاء أزمة الحصار ، إلى تصوير النفايات التي كانت تملأ أرضية كنيسة المهدي، وفراش المحاصرين غير المنظم للإساءة إليهم.

إن السيد روجر مراسل ال (CNN) لم يُشِرْ لا من قريب أو بعيد إلى حقيقة أن قوات الجيش الإسرائيلي اقتحمت كنيسة المهدي فور خروج المحاصرين منها بحجة التفتيش عن الأسلحة التي لم تسلّم إليها.

وأثناء عملية الاقتحام عاث جنود الاحتلال فساداً داخل الكنيسة، وعمدوا إلى نثر أكياس الزباله على الأرض ونثر الأغطية، وبعد ذلك سمح للصحفيين بالدخول إلى الكنيسة، حيث قدم والتر روجر النفايات التي نثرها الجنود الإسرائيليون على الأرض، وفراش النوم غير المرتب للمشاهدين كما لو أن المحاصرين تركوا مواقعهم على النحو الذي يراه المشاهد ، للافتراء على المحاصرين و الزعم بعدم احترامهم لنظافة المكان الديني حسب تقريره.

حدث هذا مع العلم بأن المحاصرين وقبل خروجهم كانوا قد نظموا حملة نظافة وترتيب شاملة في كنيسة المهدي بالتعاون مع رجال الدين والمتطوعين الأجانب الذين كانوا قد نجحوا في الدخول إلى الكنيسة قبل أيام من انتهاء الأزمة ، وذلك كي يتبدوا الكنيسة بعد خروجهم في أحلى صورة لها.

تفاصيل عملية الاقتحام

الساعة الآن تجاوزت الرابعة فجراً بقليل، وأحد المؤذنين في المحافظة استطاع التسلل من بيته والوصول لأحد المساجد، كان قد أنهى إسماع آذان الفجر لتوه، عندما أبلغ "حراس الخورانية" من أفراد الأمن الوطني في الطابق الثاني (القاعة)، بأن أحد الجنود الإسرائيليين يحاول بآلة خاصة قص قطعة من زجاج النافذة.

- القيادة: تابع الموقف وانتظر التعليمات.

- الحارس: لقد نجح الجندي بفتح الشباك، إنه يعطي إشارة خاصة لجنود ينتظرون خلفه.

- القيادة: انتظر التعليمات.

- الحارس: دخل الجندي إلى الغرفة.

- القيادة: تابع الموقف فقط.

- الحارس: أربعة جنود الآن من القوات الخاصة تدلوا من الشباك داخل الغرفة وهم بجاهزية قتالية عالية.

- القيادة: أطلق النار فقط إذا قرروا التقدم، انتبه، ربما ينتظرون دخول آخرين.

- الحارس: لقد اخذوا وضعية الهجوم، احدهم يتوجه إلى جهة المكاتب.

- القيادة: الله معكم.

كانت "الله معكم" هي إشارة البدء بالهجوم، حيث بدا للجنود الإسرائيليين أن كل شيء هادئ، وأن المحاصرين نيام ، الله وحده يعلم أية مشاعر أحس بها حراس الأمن الوطني في الموقع، إنها عدة ثوان فقط، أطلقت خلالها النار من رشاش الحارس ليفرغ مخزنه بالكامل، والحارس الثاني قذف بحزمة من الكواع تحت النافذة بين الإسرائيليين وانسحب إلى "الكري دور" بانتظار أي تقدم، ولكي يصبحوا في وضع آمن وبمقدور حراس قوات البحرية في الطابق الأول من تزويدهم بالذخيرة وكواع جديدة.

المروحية الإسرائيلية في هذه اللحظة ، كانت تطلق نيرانها كالحصيدة باتجاه ساحة القديس جيروم المكشوفة وبرغم دوي المروحية إلا أن صراخ الجنود الإسرائيليين كان أعلى من هدير الطائرة وصوت الرشاشات.

وفي وقت قصير جداً، تمكن الإسرائيليون من إخلاء الجنود الأربعة ، وفي مكان الحادث، تبين انه تمت تعرية الجنود الأربعة قبل إخلائهم ، وقد عثر المحاصرون المدافعون عن الكنيسة على أسلحتهم المزودة بقاذف وأشعة "ليزر"، وأربعة مسدسات، وأغطية الرأس الحديدية المتقوية ، وملابس لأربعة جنود مزودة على الأذرع بأدوات مختلفة، مقصات ومفكات وشواكيش وسترات واقية ، ولوازم الإسعاف الأولي ، ومن الواضح أن الجنود الإسرائيليين هم جزء من وحدة هندسة خاصة في الجيش الإسرائيلي.

وأثناء عملية الإخلاء، وإطلاق النار الكثيف من قبل المروحية الإسرائيلية ، اشتعلت النار في الخورانية، وشب الحريق الذي تناقلت أخباره وسائل الإعلام العالمية المختلفة، وتحمل مسؤوليته قوات الاحتلال الإسرائيلي التي لم تحترم حرمة الكنيسة وحاولت اقتحامها وانتهاك قداستها.

ومع لحظات الصباح الأولى ، توقفت المواجهات فيما النار ظلّت مشتعلة في الطابق الثاني للخورانية، الذي هو عبارة عن قاعة للاجتماعات واللقاءات الخاصة بطائفة

اللاتين أو بالمناسبات العامة ، حيث امتدت النيران لتصل إلى صناديق تحوي جهاز أورغ ضخ يقدر ثمنه بأكثر من (250) ألف دولار أميركي، كانت كنيسة اللاتين قد احتاجت لنقله من ميناء حيفا حتى بيت لحم إلى ست شاحنات كبيرة.

يذكر بأن إدارة دير الآباء الفرنسيين كانت قد أحضرت الأورغ خصيصاً من إيطاليا لتجميع أجزائه في كنيسة اللاتين، كي يكون جاهزاً للاستخدام في احتفالات أعياد الميلاد المقبلة بتاريخ 2002/12/25.

وبتأثير النيران الكثيفة التي أطلقتها المروحيات الإسرائيلية ، والقناصة على الأسطح ، وفرق الجيش المنتشرة حول المكان ، احترقت جميع صناديق الأورغ بكاملها، والتي سرّعت في اشتعالها أنها كانت ملفوفة بمادة الكلكل الحافظة من الكسر، ولكن السرعة الاشتعال، ولم تسمح القوات الإسرائيلية للإطفائية للقيام بمهامها لإطفاء الحريق إلا بعد الخامسة والنصف من صباح الخميس المذكور.

أما الطابق الأول للخورانية فقد حماه الله من أية أضرار ، علما بان هذا الطابق يحتوي على العديد من المكاتب التي يتم الاحتفاظ فيها بجميع الأوراق الرسمية كسجلات المواليد والوفيات، وسجلات العماد والزواج، وكل ما يتعلق بسجلات ووثائق طائفة اللاتين في محافظة بيت لحم، كما تضم المكاتب أيضا مكتب كاهن الرعية الأب أمجد صبارة.

لقد كان لهذه الواقعة اثر كبير على خطط القوات الإسرائيلية تجاه المحاصرين ، وحسنت موضوع ومخططات اقتحام كنيسة المهد على أجندة القوات الإسرائيلية التي أكدت لها التجربة، كم سيكون الثمن غالياً بالنسبة لها إذا ما قررت اقتحام الكنيسة مرة أخرى.

ولاحقا اكتفت القوات الإسرائيلية بالمشاغلة المستمرة للمحاصرين بإطلاق النار المتواصل تجاه الكنيسة، وأشد ذلك ما جرى أيام الاثنين 4/15 والأحد 4/21 والاثنين 4/29 والخميس 2002/5/2.

جميع هذه المواجهات، بدت للجمهور وللمراقبين كما لو أنها محاولات اقتحام جديدة للكنيسة، وكان يمكن أن تتطور الأمور لذلك فعلا لو أحس الضباط الإسرائيليون بأي تراخ من جانب المحاصرين الذين كانوا بالمرصاد لكل حركة أو تصرف إسرائيلي. ولسوء الحظ، فإن حقيقة ما جرى لم تعرف تفاصيله للرأي العام العالمي، فقد اخفت إسرائيل المعلومات عن محاولة الاقتحام الفاشلة للكنيسة، ولم تعترف بخسائرها، وأشارت فقط إلى إصابة جنديين من جنودها واحدهم إصابته بليغة. نعم، لم تُعرف الحقيقة والتفاصيل حول ما جرى حتى لوسائل الإعلام في حينه، والتي اكتفت فقط، بالإشارة إلى محاولة اقتحام إسرائيلية للكنيسة كخبر عادي بمعزل عن المغزى العسكري الذي أدركه المحتلون تماما، وهو أنهم لا يستطيعون الذهاب بأرجلهم لمن هو في انتظارهم، أو يكمن في مكان ما لاصطيادهم.

ولهذا السبب اعتمدت قوات الاحتلال الإسرائيلي أسلوب مشاغلة المحاصرين بإطلاق النار يوميا، وتشديد الحصار، بالإضافة إلى أسلوب الإنهاك مترافقا مع حرب نفسية متقنة.

كذلك لم تعرف وقائع المحاولة الفاشلة للاقتحام وبطولة أبنائنا المحاصرين حتى ل لرأي العام المحلي بمن في ذلك الفريق المحلي المفاوض الذي بنى استراتيجيته التفاوضية

على افتراض مجازي بأن القوات الإسرائيلية سَتَقْدِمُ على اقتحام الكنيسة في أية لحظة، وربما للمرة العشرين، أكد هذه الفرضية عضو القيادة الفلسطينية صلاح العمري على شاشات التلفاز المحلية، وبعض الفضائيات، وهي آراء لم يسمح لأحد في المحافظة الاجتهاد بشأنها حسبما جاء في أقواله لتلفزيون المهدي المحلي.

ردود الفعل على محاولة الاقتحام الفاشلة

أولاً: على المستوى الإسرائيلي:

سياسة جديدة في التضيق على المحاصرين

في أعقاب محاولة الاقتحام الفاشلة، قررت إسرائيل اعتماد سياسة جديدة تجاه المحاصرين داخل كنيسة المهدي ومن ذلك:

- 1- رفع منطاد كبير فوق فضاء المجمع الكنسي مزود بكاميرات متطورة تعمل بالأشعة، لدرجة إنه تم التقاط صور لبعض المحاصرين وهم يركضون في احد الممرات من وراء النوافذ.
- 2- الإبقاء على صندوق كبير تحمل درافعة ضخمة، مثبتة في الساحة الرئيسية للمدينة أمام كنيسة المهدي، وزودت الصندوق بكاميرات ورشاشات تعمل بتوجيه عن بعد.
- 3- نشر وحدات خاصة من الجنود الإسرائيليين القناصة على جميع أسطح المباني المحيطة بجميع الأديرة المرتبطة بالكنيسة في الموقع.
- 4- إطلاق النار من قبل القناصة على أي شخص يتم تشخيصه وراء النوافذ أو الساحات الداخلية المكشوفة، أو في الممرات غير المسقوفة، أو تلك التي تحوي نوافذ للتهوية والإضاءة، أو في حدائق المجمع الكنسي من الجهة الشرقية والتي استخدمت من قبل المحاصرين للتسلل لإحضار الخبز أو للفرار من الحصار.

وهكذا قضى الشهيد الثاني خلال الحصار الجائر للكنيسة خالد إبراهيم صيام من غزة المنتسب لقوات الأمن الوطني الفلسطيني في اليوم السادس للحصار، نفس يوم الاقتحام الاثني 8 / 4 / 2002.

وقيل بان الشهيد ضحى بحياته متسللاً من مقر الخورانية نحو الفندق الروسي إلى الشرق من المجمع الكنسي، لالتقاط وجمع الطعام الذي كان الأهالي المحيطون بالكنيسة قد القوا به عن أسطح منازلهم للمحاصرين ، خاصة وأنه لم يعد لديهم سوى الجوع نفسه ليقتاتوا به.

وربما كان مفيداً أن نشير إلى انه وقبل شروع الشهيد خالد صيام في محاولته تأمين الطعام للمحاصرين، لبس على جسده اللباس الواقي الذي خلفه جنود وحدة الهندسة المحتلون وراءهم أثناء محاولتهم اقتحام الكنيسة في ساعات الفجر، لكن اللباس الواقي لم يفده في شيء، نظراً لنوعية الرصاص الفتاك، الخارق، الذي استخدمه جنود الاحتلال الإسرائيلي.

5- شن حرب نفسية على المحاصرين بمناداتهم عبر مكبرات الصوت أربع أو خمس مرات في اليوم لتسليم أنفسهم.

ويذكر هنا أن القوات الإسرائيلية التي احتلت جميع أنحاء بيت لحم، داهمت بيوت عدد من المحاصرين الذين تعرّفت عليهم بمراقبة الاتصالات الهاتفية، أقدمت على سلوك جرمي بإحضار ذويهم بما في ذلك أخواتهم أو أمهاتهم، كي يطلبوا عبر مكبرات الصوت من أبنائهم وأخوتهم تسليم أنفسهم، وهذا ما فعلوه مع شقيقة إبراهيم عبيات في انتهاك فاضح لحقوق الإنسان.

6- إحضار آلة (كالجاروشة) تطلق أصواتاً مرعبة ومزعجة بما فيها أصوات كلاب وصياح ديك تختلط بصفارات السيارات وصراخ غريب كما في الأفلام السينمائية المرعبة وعلى مدار الليل أحياناً، لتحرم المحاصرين من أي محاولة للنوم وإشغالهم بإطلاق النار على مدى الوقت لإثارتهم والإيحاء لهم بان إطلاق النار قد يكون محاولة اقتحام جديدة.

وقد وصفت كارولان هاولي مراسلة آل بي. بي. سي في بيت لحم ما يحدث بهذا الشأن في قصتها الصحفية المنشورة لاحقاً يوم (2002/4/18) وبعض ما جاء فيها:-

- إن ما يحدث أمر سريالي ومروع ويصلح مادة لعمل من قصص الخيال الغربية المرعبة، فالأصوات تمزق الأذان.
وقالت المراسلة:

- اعتبر نفسي محظوظة إذ لا أعاني سوى من ألم في الأذن وحاجة ملحة لنوم عميق طويل.

7- كما عمدت القوات الإسرائيلية إلى قطع الماء والكهرباء نهائياً عن جميع الأديرة والكنائس بالإضافة إلى تشديد الحصار ومنع إدخال أي مواد غذائية.

8- أقدمت قوات الجيش الإسرائيلي على بث موجات خاصة بهدف التشويش على وسائل الاتصال داخل **المجمع الكنسي المحاصر**، وكانت توقف هذا التشويش ليس من باب الكرم مع المحاصرين بل حسب ضرورتهم كإجراء استخباراتي صرف.

9- نفت حكومة إسرائيل بأنها أطلقت النار أو حاولت اقتحام **كنيسة المهدي** وادّعت بأنها "أمرت قواتها المحيطة بالكنيسة بعدم إطلاق النار على الأماكن المقدسة".
وأيضاً، حمل الناطق العسكري الإسرائيلي مسؤولية إطلاق النار والحريق الذي نشب يوم الاثنين إلى الفلسطينيين المحاصرين وادعى يقول للصحفيين:

- إن الفلسطينيين أطلقوا النار من برج الكنيسة فأصابوا اثنين من جنودنا بجراح.
وأضاف:

- إن الإسرائيليين فقط ردوا على إطلاق النار بقتلة دخان.
وبالطبع فلقد تسببت قذائف وقنابل الاحتلال في اندلاع الحريق في الطابق الثاني بمبنى يطل على **كنيسة القديسة كاترينا** المجاورة ل**كنيسة المهدي**.

ثانياً: على المستوى الكنسي:

مناشدة المجتمع الدولي والمرجعيات الدينية

وعلى ضوء هذه التطورات ناشد الأب إبراهيم فلتس راعي الكنيسة عبر وسائل الإعلام المجتمع الدولي بالتدخل لإنقاذ الكنيسة من محاولات الإسرائيليين تدميرها، وقال:-

إن المحاصرين في الكنيسة دون طعام أو شراب، وقد نفدت الأطعمة والأشربة وقوات الاحتلال لا تسمح للمؤسسات الإنسانية بالدخول إلى المحاصرين وأنها تقوم بين الحين والآخر بتوجيه نداء عبر مكبرات الصوت على المتواجدين داخل الكنيسة بتسليم أنفسهم.

وأضاف الأب فلتس:

- إن الكنيسة محاصرة منذ تسعة أيام وهي بدون كهرباء أو ماء ويوجد مع المحاصرين جثة لأحد الشهداء وجريح في حالة الخطر (ويقصد الشهيد خالد صيام والجريح كوازية - الكاتب).

واستصرخ الأب إبراهيم فلتس ضمير العالم مذكراً إياهم يقول:

- إن كنيسة المهد تقصف لأول مرة في التاريخ، وانه لم يتم تدميرها حتى في عهد الفرس عبدة النار الذين دمروا كافة الأماكن المقدسة في فلسطين، ولما وصلوا إلى كنيسة المهد تراجعوا ولم يقتربوا منها.

ومن جهته فان الأب جياكومو بيني رئيس الرهبانية الفرنسيسكانية وبسبب المخاطر التي كشفتها محاولة الاقتحام على الكنيسة فقد عمم بيانا شدد فيه على الحاجة لتدخل المجتمع الدولي بأقصى سرعة لإنقاذ الكنيسة مما تتعرض له من قبل الإسرائيليين واتهم الجنود الإسرائيليين بارتكاب أعمال بربرية لا يمكن وصفها. وأضاف الأب جياكومو بيني:

- إن على إسرائيل السماح للفلسطينيين الذين يلتجئون في الكنيسة بمغادرتها دون أن تصيبهم بسوء وبأنها تتحمل مسئولية ضمان سلامتهم عند الخروج من الكنيسة. وشدد رئيس الرهبانية في بيانه على الادعاءات الإسرائيلية بشأن الفرية الإسرائيلية باحتجاز الرهبان قائلًا:

- انه لا يمكن لإسرائيل الادعاء بأن الرهبان الفرنسيسكان الموجودين في الكنيسة هم رهائن لأنهم بإرادتهم اختاروا البقاء فيها لحماية الفلسطينيين وأنهم عازمون على مواصلة ذلك.

وعلى ضوء ما صدر من بيانات ونداءات من الأب إبراهيم فلتس راعي كنيسة القديسة كاترينا والأب جياكومو بيني رئيس الرهبانية الفرنسيسكانية للعالم، فقد قال الناطق باسم الفاتيكان الأب جواكين نافارو فالس:

- إن الفاتيكان يتابع الموقف في كنيسة المهدي بقلق شديد وانه يسعى لمعرفة التفاصيل بشأن حقيقة ما جرى.

كما وجه الناطق باسم الفاتيكان كلاماً قاسياً وشديداً للهجة للحكومة الإسرائيلية يحذرنا من تجاوز التزاماتها الدولية باحترام المواقع الدينية.

ومن جانبه فان الأب ديفي جيجر المتحدث باسم أمناء الأماكن الكاثوليكية وأثناء زيارته إلى روما فقد أوضح في تصريح للرأي العام:

- إن إطلاق النار على الكنيسة انتهاك لكل القوانين الإنسانية والمدنية، وحسب المعلومات لدينا فان إسرائيل انتهكت التزاماتها الدولية تجاه الأماكن المقدسة وسيكون لذلك عواقب وخيمة على المدى البعيد.

وأضاف:

- انه أمر لا يصدق بأن تقوم دولة بهجوم بهذا الشكل على موقع مقدس مثل كنيسة المهد.

أما قداسة البابا وفي أعقاب ورود المعلومات عن محاولة الاقحام الفاشلة من رهبان كنيسة المهد في بيت لحم فقال:
- إن أعمال العنف الدائرة في الأراضي المقدسة قد وصلت إلى مستويات لا يمكن قبولها أو تخيلها.

استمرار الحرب والحصار على الكنيسة

وبسبب من صمود المحاصرين داخل كنيسة المهد، تميزت ردود أفعال الضباط الإسرائيليين بالغضب والكراهية تجاه كافة الأهالي والمواقع في المحافظة. ففي يوم (الأربعاء 2002/4/10)، واصلت قوات الاحتلال حملة تخريب البنية التحتية ومداهمة البيوت والمساجد، ومن ذلك مداهمة مسجد صلاح الدين في شارع الصف، ومسجد بيت جالا، وتنفيذ حملة اعتقالات جماعية وعشوائية ضاقت بعددهم قوات الاحتلال فاحتجزتهم في قصر الضيافة الخاص بالرئيس ياسر عرفات، الذي حولته إلى معتقل كبير.

وهكذا فإن أبناء الشعب الذين لم يكن يسمح لهم بزيارة القصر أو بالدخول لمقابلة الرئيس ياسر عرفات عند تواجده في مدينة بيت لحم، فقد تمتعوا باعتقالهم بفرصة الإطلاع على القصر من الداخل، وتندّر العديد من المعتقلين فيما بينهم بحرمانهم من دخوله سابقا من قبل حراس - أزام - جماعات المصالح الذين شكّلوا على الدوام سداً منيعاً بين الرئيس وشعبه.

وجدير بالذكر أن مبنى قصر الضيافة في بيت لحم، كان قد بني دون أن تأخذ الشركة المنفذة أو تراعي القوانين المرعية الخاصة بالبناء في بلدية بيت لحم، بما في ذلك عدم مراعاة قوانين الارتداد عن الطريق العام، بحجة أن ذلك يخص السيد الرئيس، وعليه مسموح لهم عمل أي شئ باسمه!!.

وفي منطقة **المجمع الكنسي** استمر رفع المنطاد ، كما قصفت الدبابات **الكنيسة** من جهتها الشرقية بثلاث قذائف وصوّبت نيران رشاشاتها تجاه **الكنيسة** من كل اتجاه فأصيب الشاب المحاصر **سامر كوازية** بإصابة خطيرة وبلغية في الأمعاء.

وفي اليوم التالي (**الخميس 2002/4/11**) وبالرغم من أن جميع وسائل الإعلام قد تحدثت عن وصول وزير الخارجية الأميركي **كولن باول** لإسرائيل إلا أن إطلاق النار تجدد بكثافة صوب **كنيسة المهدي** مستهدفا فتحات التهوية والإضاءة والساحات المكشوفة الداخلية والخارجية فيما تمكن المحاصرون الأبطال من إسقاط **المنطاد** الذي كان مرفوعا فوق القسم الشرقي من **المجمع الكنسي**.

وعلى صعيد آخر، تمترست قوات كبيرة من الجيش الإسرائيلي في نفس اليوم على مدخل المدينة الشمالي، ومنعت وفدا تضامنيا من الوصول إلى بيت لحم ضمّ رجال دين مسيحيين بالإضافة إلى حشد من الأئمة والمشايخ المسلمين ومعهم وفداً من الطائفة الدرزية.

مناشدة قداسة البابا

من جهتها وعلى ضوء تزايد المخاطر على **الكنيسة** وحياة المحاصرين، أصدرت لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية في محافظة بيت لحم يوم الجمعة 12/ نيسان بيانا دان الجرائم الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني والانحياز الأميركي للعدوان على الشعب الفلسطيني، كما تضمن البيان:

- م ناشدة **قداسة البابا** والمرجعيات الدولية لمختلف الكنائس المحلية والعالمية ومطالبتهم بالتدخل العاجل لإنهاء محنة المحاصرين في داخل **كنيسة المهدي** وإنقاذ حياتهم ليعيشوا بحرية وكرامة في وطنهم وبين أهلهم.

- مطالبة المجتمع الدولي والأمم المتحدة بتحمل مسؤولياتهما التاريخية والسياسية والقانونية تجاه معاناة الشعب الفلسطيني، والعمل الجاد لوقف الاعتداءات الإسرائيلية والتدخل لإنهاء الاحتلال.

- إن ما تنفذه إسرائيل في الأراضي الفلسطينية هو إرهاب دولة وجرائم حرب تستدعي تقديم مرتكبيها المجرمين إلى المحاكم الدولية المختصة (الملحق رقم 6).
ومعروف انه في هذه الأثناء التي كانت قوات الاحتلال تمطر **المجمع الكنسي** بالنار والبارود، وبقنابل الغاز والدخان لتحجب المكان عن كاميرات الصحفيين الذين استحكموا على سطح **فندق ستار** لمراقبة ما يحدث، كانت في محافظتين أخريين من الوطن، تتكشف للعالم أبشع الجرائم ضد **أهلنا في مخيم جنين ومدينة جبل النار**.

المرأة الفلسطينية الحاضرة دائماً

والشيء بالشيء يذكر حيث لا يُذكر الحصار إلا وتذكر **أم صالح مرزوق** ، الأم الرائعة، وقوة المثال للمرأة الفلسطينية الباسلة، كانت بطلة في الانتفاضة الأولى، وظلت تحافظ على صورتها ومكانتها النموذج في الوجدان الفلسطيني.

كانت **أم صالح** تعجن وتخبز كميات كبيرة، وتتس لل مستخدمة بعض بيوت الجيران الملاصقة **للمجمع الكنسي**، وتقذف بأرغفة الخبز داخل السور للمحاصرين ، أو تسعى وتجد من ينفذ ذلك، إلى أن اكتشفها جنود وقناصة الاحتلال وصورتها **كاميرات** المحتلين الموزعة في كل مكان.

على ضوء ذلك، تم إنذار **أم صالح** دون جدوى من قبل ضباط الاحتلال، وأخيراً، اقتحموا بيتها وحطموه تحطيماً. وليس هذا وحسب، بل انهالوا عليها بالضرب بهراواتهم وبلكوماتهم وأرجلهم التي كانت برداً وسلاماً على جسدها فداءً لأبنائها وإخوانها المحاصرين.

كذلك الحال بالنسبة لخيرة صبايا **بيت لحم** الماجدات، فقد اعتدى الجنود على الشابة **غزلان سليمان** (20 عاماً) خلال محاولاتها العديدة إيصال الطعام والخبز للمحاصرين وأسفر الاعتداء عن كسر ساقها.

وأيضاً أم داود زوجة المواطن طلعت الخطيب المعروفة في الانتفاضة الأولى بتخليص الشباب من أيدي الجنود أثناء سياسة تكسير العظام التي طبقها اسحق رابين ضد شعب الانتفاضة.

أم داود التي كانت تصرُّ على حماية الشبان ومساعدتهم على الفرار. أصرت هذه المرة أيضاً على أن يكون لها دور مميز في هذه المعركة ، فقد كانت تتسلل خلال حظر التجول من بيت لبيت ، وأحياناً في ساعات المساء حسب شهود العيان في الحي وجيرانها، لتجمع من مختلف البيوت وأصحاب المحال التجارية القريبة حليب الأطفال، أو أية مواد غذائية كي توزعها على المواطنين في حارة العناترة المجاورة للكنيسة من الجهة الجنوبية ، وإيصاله للبيوت التي تطوع أصحابها لقفه من نوافذهم أو أسطح منازلهم داخل المجمع الكنسي.

وفي داخل كنيسة المهدي ، كان المحاصرون يلتقطون ما يقذف لهم من أغذية ، علماً بان ذلك كان يتطلب ليس فقط شجاعة خاصة ، بل روحاً تطوعية لافتداء الآخرين ، نظراً لما ينتظر كل شخص يحاول الخروج من الداخل للفضاء المكشوف ، حيث القناصة من قوات الاحتلال بانتظاره.

المفاوضات مع المحتلين حول حصار الكنيسة

في ساعات مساء هذا اليوم (الجمعة 2002/4/12)، وفيما كان بعض المحاصرين يشمون ما تدخّن من بخور **مريم العذراء** المتصاعد من مبخرة موضوعة على حافة صدر الكنيسة، والممزوج برائحة العطر المنتور على **جثامين الشهداء** المسجاة في مغارة **الأطفال الشهداء** من ابن سنتين فما دون، والذين جمعهم جنود **هيروودس** وهم يداهمون **بيت لحم** بيتاً بيتاً، وينتزعون الأطفال الذكور من أحضان أمهاتهم وسط صراخهن وعويلهن، وذبحوهم جميعهم علّ الطفل **يسوع** يكون بينهم.

كان البعض من المحاصرين منشغلين في استعراض الدلالات العظيمة الواردة في الوثيقة العمرية وقد جلسوا في محيط **ألحنية الجنوبية** من الكنيسة حيث صلى **الخليفة عمر بن الخطاب** رضي الله عنه بعد أن تسلم **القدس** من **البطريك صفرونيوس** وحضرا معا إلى بيت لحم لزيارة موقع الميلاد.

وأمام صدر **الكنيسة** في البهو الرئيس، وفي ساحة **القديس جيروم**، وجنابات **كنيسة القديسة كاترينا**، كان العشرات من المحاصرين وقد تجمعوا في حلقات يتبادلون الرأي ويناقشون قدرتهم على الصمود وسبل الصدّ لأي محاولة اقتحام **للكنيسة**.

وآخرون وقد توزعوا في الممرات التي تقود لمواقع الإخوة في الطائفة الأرمنية يتمشون ويشمُون رائحة العرق المنبعث من ملابس زملائهم وقد مضت أيام طوال دون أن يحظى أي منهم بماء يغسل جسمه فيه.

كان إطلاق النار يتزايد في محيط **المجمع الكنسي** كَلَّه، ورائحة الموت والدم تطلان من كل فتحة أعدت للتهوية أو الإضاءة في سق **وف المجمع الكنسي** أو في جدران البهو الرئيس **للكنيسة** حيث يوجد فوق صفوف الأعمدة التي تتوسط صدر **الكنيسة** جداران، ويتخلل كل جدار أحد عشرة نافذة قوسية الشكل لتوفير الإضاءة في **الكنيسة**. فقد وضع المحتلون كاميرات مثبتة على منصات تحملها مناطيد رصاصية جديدة بعد أن أسقط شباب المقاومة المحاصرون يوم أمس الخميس المنطاد الذي رفع وثُبَّت منذ أيام فوق **المجمع الكنسي**، لترصد كل حركة للمحاصرين في الردهات المكشوفة أو من خلال فتحات التهوية والإضاءة.

كما نصب المحتلون منصات عالية رفعت في ثلاثة مواقع تطلُّ على الساحات الخارجية في محيط **كنيسة المهد** والساحات الداخلية المكشوفة، وعليها رشاشات اتوماتيكية مزودة بكاميرا متصلة بجهاز حاسوب مصمم للمراقبة وإطلاق النار. وحول **سيدة الكنائس** من جهاتها الأربع، وعلى **بلاط الكنيسة** يعود التاريخ مجدداً، ولكن، في هذه المرة، بدلاً من مشهد فرسان **هيرودس** المدججين بالسيوف والخناجر وهم يمتطون الخيول بحثاً عن كل طفل ذكرٍ ليقتلوه، رابطت المدرعات الإسرائيلية وازدحم بلاط الكنيسة بلآليات العسكرية ومختلف الفرق العسكرية.

وإلى جانب هذه الضغوط، كانت تداعيات الحصار تفعل فعلها في **الكنيسة**، فالطعام نفذ، ومياه الشرب مقطوعة، والليل في **الكنيسة** صار مضاعفاً لانقطاع التيار الكهربائي والحرمان من مواد الإسعاف الأولى يثير وجعاً خاصاً ومؤثراً بين المحاصرين الذين يحسُّون بالعجز وعدم القدرة على مساعدة زملائهم النازفة جراحهم. هكذا انهار اليوم العاشر للحصار المحكم حول **كنسية المهد**، وبانهياره انكسرت كل التوقعات لدى المحاصرين باحتمال تدخل دولي عاجل لمساعدتهم أو لإنقاذ **سيدة الكنائس** في بيت لحم.

بدايات الميل نحو المفاوضات

وفي أتون هذه المعاناة، تأسست الأرضية لفشل أية محاولة من جانب المحاصرين للتكيف مع الحصار، فالمقاومة المسلحة خارج الحصار قد تراجعت، والحركة الجماهيرية كانت قد تراجعت أصلا ما أن حلت محلها مظاهر عسكرية الانتفاضة، عدا عن انه يصعب الحديث عن تجدها وانطلاقها بسبب حظر التجول الشامل وإقدام الجنود الإسرائيليين على إطلاق النار تجاه أي شخص يتحرك حتى لو كان طبيبا. ومنذ التاسع والعشرين من آذار المنصرم، ومحافظات الوطن الأخرى تنوء كلُّ بحملها الخاص بسبب إعادة الاحتلال الإسرائيلي الشامل للأراضي الفلسطينية، وخاصة في أعقاب ما حدث في نابلس ومخيم جنين من جرائم، فلأدرك كثيرون بين المحاصرين أيضا، بان الرهان على ما يتوفر من العتاد محكوما بالخسارة، فالرصاصة التي تتطلق لا بديل عنها.

لقد اتسمت قراءة المحاصرين للموقف بالواقعية، ففي الخارج، حول جدران الكنيسة، لم يكن هناك سوى جنود الاحتلال بمجنزراتهم "المركفاة"، تعج به المدينة وحاراتها وأزقتها.

في هذه الأجواء، تأسست الأرضية أيضا لاتجاهات انفعالية جديدة لدى المحاصرين، بان لا سبيل لتأمين العلاج للجرحى ونقلهم للمشافي سوى المفاوضات مع المحتلين. وحسب ما تجمع من وقائع لدى الكاتب، فإن أولى الاتصالات بشأن المفاوضات قد بدأت في الواقع منذ اليوم الثالث أو الرابع للحصار، وشرع في الاتصالات أولاً الضباط

الإسرائيليون الذين تمكنوا بوسائلهم الإستخباراتية من معرفة أرقام الهواتف الخلوية الخاصة ببعض المحاصرين، ومن بينهم **محمد المدني** محافظ بيت لحم، و**عبد الله داود** مدير المخابرات العامة في المحافظة، وأيضا بمحاصرين آخرين. كذلك أجرى الضباط الإسرائيليون اتصالات مع العديد من الشخصيات الاجتماعية في المحافظة، ومن بينها عضو التشريعي **صلاح التعمري** وطالبوه وغيره بالتدخل من اجل التفاوض أو إقناع المحاصرين بالتفاوض لإنهاء الحصار.

الإصرار على الدور الرئيس للقيادة الفلسطينية

الشخصيات التي جرى الاتصال معها في المحافظة الخاضعة لحظر التجول والمحاصرون من جانبهم، كلاهما كان بينهم إجماع في الرأي والموقف، على أن المفاوضات إذا ما تقرر أن تجري، فقط مع القيادة الفلسطينية التي كانت محاصرة في مباني المقاطعة في رام الله، وهو ما أبلغ به الإسرائيليون في كل محاولاتهم الاتصال مع المحاصرين، أو مع الشخصيات الاعتبارية في المحافظة. ومن الناحية السياسية جاء تأكيد المحاصرين على أن **القيادة الفلسطينية** هي مرجعيتهم، وبأنها المسؤولة عن إدارة المفاوضات بشأن إنهاء الحصار عن الكنيسة في وقته المناسب، خاصة في ضوء تعمد الحكومة الإسرائيلية تجاهل **القيادة الفلسطينية** ومحاولة إضعافها وعزلها عن شعبها.

ولكن التجربة أوضحت بان قرارا واتجاها كهذا لدى المحاصرين، كان يفترض أيضا، أن يرافقه الإصرار على أن يبقى القرار النهائي أولا وأخيرا بأيديهم فيما يتعلق بمصيرهم، وليس بيد غيرهم ممن هم خارج دائرة الحصار (**وعلى الأقل في تلك المرحلة الاستثنائية، وذاك الزمن تحديدا، ولا يجب أن يفهم من ذلك بان هذا الرأي، هذا الموقف يمكن تعميمه على مواقف أو ظروف أو مراحل أخرى**) فذلك كان أهم دروس المقاومة التي اكتسبها الشعب خلال المواجهات داخل السجون والمعتقلات

وفي الأراضي المحتلة قبل إنشاء **السلطة الوطنية الفلسطينية** ، وهي الدروس التي أسقطت من حسابات المحاصريين.

ولسوء الحظ، فإن ضعف التجربة، وعدم نضج الخبرة الوطنية بين شباب المقاومة المحاصرين، قد قادهم لاعتماد قرار كهذا بصورة مطلقة، ودون أن يأخذوا في الاعتبار أن خطر الضغوط التي يمكن ممارستها على **القيادة الفلسطينية** نفسها، والمحاورة مثلهم في تلك المرحلة، اكبر بكثير من خطر الضغوط الممارسة عليهم تحت الحصار في **الكنيسة** ، فلقد أوضحت التجربة فيما بعد، الثمن الغالي الذي دفعوه جراء تهميش دورهم والتنازل عن حقهم في اعتماد القرارات المتعلقة بمصيرهم.

إن من الإنصاف والنزاهة القول أيضا، بأن المحاصرين قد تنازلوا عن دورهم وحقهم في اتخاذ القرارات المتعلقة بمصيرهم، ليس فقط بسبب النقص في التجربة، بل وتحت تأثير الحرب النفسية والضغوط التي مورست عليهم من قبل المحتلين الإسرائيليين، الذين أصروا على القول منذ بداية الحصار أنهم لن يتفاوضوا إلا مع المحاصرين أنفسهم. ولم يكن هذا على الصعيد الإسرائيلي من باب تفضيل **المحاصرين على القيادة الفلسطينية**، بقدر ما كان سلوكا سياسيا يتناسب مع احتياجات الخطة الإسرائيلية في تلك المرحلة وحسب، وربما في تلك الأيام فقط.

التكتيك الإسرائيلي كان ناجعا، إذ أوقع المحاصرين في حالة من التشوش، وتحت ضغوط نفسية صعبة، ومن تلك الضغوط على سبيل المثال لا الحصر، فقد قذفت القوات الإسرائيلية **بقنينة** داخل أحد الأروقة المكشوفة، وبداخل **القنينة** رسالة استفزازية موجهة إلى **عبد الله داوود مدير المخابرات العامة الفلسطينية** وجاء فيها: -
- **كون مثل من سبقوك من القادة الشجعان، وتعال تفاوض معنا شخصا حول الكنيسة.**

ولهذا كان رد فعل المحاصرين التلقائي، ومن باب الإخلاص الصادق **للقيادة الفلسطينية**، بأن رفضوا حتى إشراك من يمثلهم في المفاوضات التي تمحورت حول مصيرهم ومستقبلهم.

الحاجة للمفاوضات لإنهاء الحصار

وبالطبع، مع كل شروق أو مغيب للشمس، كان المحاصرون يزدادون قناعة بالحاجة إلى بلورة فريق للتفاوض من أجل إنهاء الحصار، ولم يترددوا في إبلاغ المسؤولين على كل المستويات بما في ذلك القيادة الفلسطينية بموقفهم ورأيهم في الموضوع. وفيما كان اليوم العاشر للحصار ينهي انهياره، أصيب الشاب المحاصر سامر كوازيه بعيار ناري مَرَّق أمعاه ، ليرتفع عدد الجرحى إلى (13) جريحاً، فأصبحت تلح بقوة الحاجة لنقلهم إلى مستشفى بيت جالا لتلقي العلاج وإنقاذ حياتهم، ولنقل جثامين الشهداء إلى " الثلجة" ريثما يتم تكريمهم لاحقاً بعرس يستحقونه بجدارة. فحدث أن هاتف المحامي أنطون سلمان السيد عماد النتشة مسئول الارتباط المدني الفلسطيني كي يتدخل لدى نظيره في الارتباط المدني الإسرائيلي وإجراء المفاوضات معه لتأمين نقل الجرحى والشهداء إلى مشفى بيت جالا. كان السيد عماد النتشة يتحدث على الجانب الآخر مع المحامي أنطون سلمان بنبرة حزينة، فقد كان سجيناً سابقاً ويعرف تداعيات الحصار وضغط المحتلين على المناضلين، وكان يعرف في قرارة نفسه بأن قوات الاحتلال وهي تحاصر مقر القيادة الفلسطينية في رام الله، سترفض التعاون والتفاوض مع أي شخص يمثل السلطة الفلسطينية كي لا تمنحها المصادقية والشرعية، خاصة وهي تقوم بمحاولات أضعافها والمساس بهيبتها السيادية على نطاق الوطن.

تجدد الآمال بإنهاء الحصار

واستشهاد ثالث داخل الكنيسة

(السبت 2002/4/13) اليوم الحادي عشر للحصار ، شهد الوطن أحداثا هامة بالنسبة للمحاصرين في كنيسة المهدي ، فمن جديد تشكلت لديهم آمال كبيرة بإنهاء الحصار ولأسباب عديدة منها:
أولاً:-

اجتمع ممثلو الكنائس المسيحية في القدس العربية وبينهم غبطة البطريرك ميشيل صباح المعروف لشعبنا بحسه الديني المسئول، وغيرته الوطنية المتدفقة مع وزير الخارجية الأميركي كولن باول ولأكثر من ساعتين، عرضوا أمامه تشخيصا لما يجري في الأراضي الفلسطينية، وأنه حان الوقت لإنصاف الشعب الفلسطيني وتحقيق العدل، وسلموه وثيقة تتضمن مقترحات الكنائس المسيحية الفلسطينية لحل وإنهاء الحصار المفروض على كنيسة المهدي ومدينة بيت لحم بشكل عام.
وتضمنت الوثيقة المقترحات:-

- 1- أن يصار إلى تطبيق هدنة لمدة ثلاثة أيام تنسحب إسرائيل خلالها من محافظة بيت لحم بما في ذلك إنهاء الحصار على الكنيسة.
 - 2- أن يتم إدخال الطعام والماء ويعاد تزويد الكنيسة بالكهرباء.
 - 3- أن تتولى السلطة الوطنية الفلسطينية المسؤولية ومهمة جمع السلاح غير القانوني أي الذي لا يخص السلطة.
 - 4- عودة المحاصرين في الكنيسة إلى بيوتهم آمنين على حياتهم.
- ولكن، وبرغم لقاء كولن باول مع ممثلي الكنائس في القدس، فقد شنت إسرائيل هجوما قويا بالرشاشات على كنيسة المهدي، فاغتال قناص إسرائيلي المحاصر حسن عبد الله النسمان ليرتفع عدد الضحايا بين المحاصرين في الكنيسة إلى ثلاثة شهداء.
وعلمنا في حينه أن المناضل النسمان المعروف بلقب حسن كوع قد استشهد أثناء توجهه عبر سرداب داخلي يصل مجمع الكنيسة مع فندق الكازانوفو المجاور للبحث عن "إبريز" كهرباء.
وبالفعل بعد عثوره على الكهرباء في أحد "الأبريز" عاد مسرعاً للكنيسة، وأخذ بيده سلكاً كهربائياً كي يضعه في أل "إبريز" للانتفاع من التيار الكهربائي لصالح شحن الهواتف

الخلوية للمحاصرين الذين باتوا مهددين بالانقطاع عن العالم الخارجي، والهواتف الخلوية وسيلتهم الوحيدة لذلك، وأثناء عودته بعد أن أتم المهمة، قُتل بوساطة الرشاش الموضوع على الرافعة الذي يعمل عن بُعد بوساطة "كاميرا" رصدت حركة الشهيد أثناء مروره في السرداب من خلال نافذة علوية للتهوية والإضاءة.

ثانياً: -

كذلك، اعتقد بعض المحاصرين - وعمموا اعتقادهم للأسف بين المحاصرين مستفيدين مما يمثلوه من مكانة في السلطة، والوهم بأنهم على إطلاع بالأمور بحكم تلك المكانة - وروجوا بان اللقاء بين السيد الرئيس ياسر عرفات في مقره تحت الحصار في رام الله، مع كولن باول وزير الخارجية الأميركي في اليوم التالي (الأحد 2002/4/14) بأنه برهان على أن الولايات المتحدة لن تسمح لإسرائيل بالمس بالرئيس ولا بالكنيسة، وبأنه لا بد وان يكون هناك اختراق ما للوضع الحالي باتجاه الانفراج!!.

وبالطبع، لم يأخذ أصحاب هذا الرأي وتلك الأوهام في اعتبارهم الطريقة التي تأخذ بها القرارات في إسرائيل، علما بان الحكومة الإسرائيلية وحتى عندما كان كولن باول يلتقي بالرئيس ياسر عرفات، اتخذت قرارات خطيرة جدا - إذا ما اعتمدت القوانين الدولية كأدوات للقياس والحكم عليها - فقد أقرت الحكومة الإسرائيلية خطتها العنصرية الفصل الأمني والديمغرافي.

كذلك، وفي ساعات المساء هذا اليوم، وصلت ساحة باب الدير قاطرة أنزلت كمية كبيرة من الصناديق غير معروف محتواها ووضعت أمام باب الكنيسة مباشرة، كما تم وضع رافعة اعتلاها عدد من القناصة الإسرائيليين ينتسبون للوحدات الخاصة في جيش الاحتلال، بالإضافة إلى رفع منطاد جديد في سماء الكنيسة.

ويوم (الاثنين 2002/4/15) تسربت الأنباء المنسوبة إلى محمد دحلان رئيس جهاز الأمن الوقائي السابق في قطاع غزة عبر الهواتف الخلوية في اليوم التالي لاجتماع الرئيس عرفات مع وزير الخارجية الأميركي، ومفادها، انه تم الاتفاق على تشكيل

طاقم عمل فلسطيني- أميركي، وأن هذا الطاقم سيجتمع اليوم للبحث في إتمام صفقة متكاملة قد تقود إلى الخروج من مأزق الوضع القائم.

وفي مقابل هذا التفاؤل الفلسطيني الذي انعكس في تصريحات محمد الدحلان أعلن رعان غيسن - المشهور بعنصريته- المتحدث باسم أرئيل شارون عن اقتراح الحكومة الإسرائيلية بشأن المحاصرين وقال:

- إن عليهم الاختيار بين اعتقالهم ومحاكمتهم في محاكم إسرائيلية أو أن يتم أبعادهم إلى الخارج!!.

ومن داخل الكنيسة المحاصرة، ردَّ محمد المدني محافظ بيت لحم على تصريحات رعان غيسن بقوله:

- إن المحاصرين يرفضون النفي أو المحاكمة.
وأضاف المدني مستطردا:

- ولكن المحاصرين سيمتثلون لأي حل يقبله الرئيس ياسر عرفات.

ومساء هذا اليوم أيضا، وفي مواجهة الآمال التي تجددت لدى المحاصرين بسبب الاتصالات الدبلوماسية المكثفة في هذه المرحلة، شنت قوات الاحتلال الإسرائيلي هجوما بالرشاشات الثقيلة وبالقنابل الحارقة والصوتية تجاه سكن الرهبان الروم الأرثوذكس، فاحترقت إحدى الغرف الخاصة بنومهم، عدا عن تحويل منطقة المجمع الكنسي إلى نهار جراء القنابل المضيئة في سماء الموقع.

وقد بدا الهجوم كمحاولة لجس النبض واختبار لإمكانية اقتحام الكنيسة ثانية من الموقع الخاص بالروم الأرثوذكس في المجمع الكنسي، حيث تصدى شباب المقاومة للمحاولة ببسالة.

وليس بعيدا عن الكنيسة والحصار، فقد حاصرت قوات الاحتلال الإسرائيلي بناية الدبابسة، وشرعت بإطلاق الرصاص والقذائف تجاه الشقق المأهولة بحجة احتواء مطلوبين فيها، حيث استشهدت المحامية رنا سعد كراجة وهي مستلقية على فراشها ترضع طفلتها.

كما احتجزت قوات الاحتلال في الموقع نفسه كلاً من **خالد العزة** و **د. عبد الله أرمحي** والطفلين **عبد الفتاح العزة** و **محمد منير** مستخدمة إياهم دروعاً بشرية خلال اقتحامها شقق البناية السكنية التي لم يصدر عنها أي مظهر من مظاهر المقاومة، ولم يجد المحتلون فيها سوى سكانها المدنيين.

ولم يكن الحال يوم (**الثلاثاء 2002/4/16**) بأفضل من سابقه، فقد واصل جنود الاحتلال مطالبة المحاصرين بالاستسلام بوساطة رسالة مسجلة، وإسماعهم أصواتاً مرعبة، وتشرع في ساعات المساء بهجوم متواصل على الجهات الغربية والجنوبية والشرقية من **المجمع الكنسي** ولأكثر من أربعين دقيقة، مستخدمة الرشاشات والقنابل الملونة التي حولت سماء الكنيسة إلى لوحة سريالية مشوهة.

وفي اليوم التالي (**الأربعاء 2002/4/17**) كثف الإعلام الإسرائيلي من ترديده للفرية بان الرهبان المسيحيين رهائن في أيدي الفلسطينيين، وظهر بان الحكومة الإسرائيلية أيضاً تعلق آمالاً كبيرة - في هذه المرحلة - على الولايات المتحدة بأن تمارس ضغوطها على القيادة الفلسطينية لتقبل باستسلام المحاصرين في **كنيسة المهدي**.
الرهبان المسيحيون المحاصرون في **الكنيسة**، وعلى ضوء الأكاذيب الإسرائيلية هذه، تحدث باسمهم الأب **إبراهيم فلتس** مؤكداً لوسائل الإعلام المختلفة فقال:
- إن الرهبان المحاصرين في **الكنيسة** ليسوا رهائن أو دروعاً بشرية حسبما تدعي إسرائيل.

بناء الفريق التفاوضي الرسمي

وكانت ابرز الاتصالات الهاتفية بشأن المفاوضات حول الحصار تلك التي جرت بين محمد المدني محافظ بيت لحم و صلاح التعمري ، وهي اتصالات لم تنقطع بحسب شهادات المحاصرين، وكلاهما كان قد فتح خط اتصال مباشر من جانبه مع مكاتب الرئيس في كل من رام الله وغزة.

وعلى ضوء هذه الاتصالات الفلسطينية الفلسطينية بين المحاصرين في الكنيسة والمحاصرين في رام الله، ومع عدد من الشخصيات والقيادات المسؤولة في السلطة الفلسطينية ، قرر الرئيس ياسر عرفات تشكيل فريق للتفاوض بشأن الحصار بما يخالف السياسة الإسرائيلية الهادفة بأن تكون بنية الفريق المفاوض من المحاصرين وشخصيات من بيت لحم فقط.

وهكذا، ومع بلوغ الحصار يومه العاشر تقريبا، كان قد تشكل عمليا الفريق الفلسطيني الرسمي لإدارة المفاوضات مع العدو الإسرائيلي وبحسب تسمية الرئيس ياسر عرفات. وقد تم إبلاغ العدو الإسرائيلي بجاهزية الفريق الفلسطيني للتفاوض على إنهاء الحصار إذا كان راغبا حقا بالتفاوض على ذلك من عدة قنوات، من داخل الكنيسة وبوساطة الارتباط المدني الفلسطيني، وأيضا من قبل جهات دولية عديدة.

تكون الفريق الرسمي المفاوض من:

1- د. نبيل قسيس

2- د. إميل جرجوعي

3- متري ابو عيطة

4- محمد دحلان

5- صلاح التعمري

6- حنا ناصر

7- محمد المدني

8- أنطون سلمان الذي أضيف اسمه لقائمة الفريق باقتراح قدمه بإصرار محمد

المدني محافظ بيت لحم المحاصر معه في الكنيسة.

والى جانب ذلك، أُبلِّغ الضباط الإسرائيليون من قبل المحاصرين بان الفريق المفاوض سيضم ممثلين عن الكنيسة، وهو الأمر الذي رفضه المحتلون الإسرائيليون على الفور بشدة وإصرار.

الإسرائيليون لم يتوقفوا عند حدود الرفض لفكرة وجود ممثلين عن الكنيسة في الفريق الفلسطيني المفاوض، بل أتبعوا ذلك بحملة دبلوماسية دولية، واستخدام أتباع الكنيسة الأيفانجيليكية في الولايات المتحدة في حملة التشهير بالشعب الفلسطيني، حيث شبه هؤلاء الفلسطينيين المحاصرين في كنيسة المهدي بالقتلة والمجرمين.

كما استعانت إسرائيل في حملتها الدبلوماسية بالإدارة الأميركية مستهدفة الضغط على الكنائس والفاتيكان تحديداً، لإقناعهم بعدم المشاركة كجزء من الفريق المفاوض، وأن يطلبوا من رعاة الكنيسة في بيت لحم بعدم المشاركة في الفريق المفاوض، إذ اعتبرت الحكومة الإسرائيلية الكنيسة طرفاً ثالثاً في الصراع حسب مزاعمها.

ولسوء الحظ، نجحت إسرائيل في حملتها الدبلوماسية الدولية في إقناع الأوروبيين وممثلي الكنائس في العالم - عدا الفاتيكان الذي لم تنطلي عليه اللعبة الإسرائيلية - بان الصراع في كنيسة المهدي هو صراع مع الفلسطينيين ولا دخل للكنائس به، وان مجموعة من الإرهابيين تحتجز رجال الدين كرهائن داخل كنيسة المهدي.

كثيرون من أبناء الشعب ومن داخل حركة فتح نفسها غضبوا لعدم وجود تمثيل للكنيسة في الفريق المفاوض معتقدين بان الجانب الفلسطيني تنازل عن ذلك تحت طائلة الضغوط الإسرائيلية، في حين أن رجال الدين في الكنيسة المحاصرة، وبسبب ضغوط دولية وكنسية عالمية، ومن باب إبداء المرونة علَّ ذلك يفيد في إنهاء الحصار بسرعة، تنازلوا عن حق الكنيسة في وجود ممثلين لها في الفريق المفاوض، وهو الأمر الذي لا يرغب البعض في تناوله أو الحديث عنه.

وخلال الفترة ما بين الثاني عشر من نيسان - وهو اليوم العاشر للحصار - وحتى الثامن عشر من نفس الشهر، شهدنا اتصالات فلسطينية فلسطينية، وفلسطينية عربية، وفلسطينية دولية، واتصالات عربية دولية، أسفرت عن إقناع إسرائيل بالتفاوض مع الفريق التفاوضي الذي شكلته القيادة الفلسطينية لإنهاء الحصار على كنيسة المهد. وتجب الإشارة هنا، إلى أن قوات الاحتلال الإسرائيلي وافقت على التفاوض مع الفريق الفلسطيني الذي عينه الرئيس عرفات، موافقة تكتيكية و ظاهرية أمام الأوروبيين والأميركان، ولكنها في الواقع وكالعادة، لا تلتزم بأي اتفاق.

لقد منعت قوات الاحتلال الإسرائيلي أي إمكانية لفريق المفاوضات الرسمي بان يلتقي أعضائه، أو أن يتمكن أي منهم من الوصول إلى مدينة بيت لحم، هذا عدا عن أنها متعمدة، تشدّدت في مطلبها بان تتم المفاوضات خارج محافظة بيت لحم ويعيدا عنها، الأمر الذي رفضه الفلسطينيون بشدة واضطرت إسرائيل للتنازل عنه لاحقاً. وهكذا، وبتناغم مع الإجراءات الإسرائيلية الموجهة ضد الرئيس ياسر عرفات في رام الله، حالت قوات الاحتلال دون عمل الفريق الرسمي للتفاوض.

وبحسب الإجهادات الصحفية الإسرائيلية، أقدمت الحكومة الإسرائيلية على ذلك حتى لا يساء فهما لدى ناخبها أنصار الليكود واليمين الإسرائيلي المتشدد، إذ كيف تحاصر قوات الاحتلال أبو عمار من جهة، وتتعاطى مع ما يصدر عنه من قرارات من جهة أخرى؟.

وبإفشال قوات الاحتلال الإسرائيلي للمحاولة الفلسطينية الرسمية تشكيل الفريق التفاوضي توفرت الأرضية لبلورة وتسمية فريق محلي للتفاوض. وكما هو معروف للجمهور فقد تكون الفريق المحلي للتفاوض الجديد، من محمد المدني محافظ بيت لحم و أنطون سلمان من داخل الحصار، ومن الخارج عضوي التشريعي متري أبو عيط وصلاح التعمري، بالإضافة إلى عماد النتشة ممثل الارتباط المدني الفلسطيني، وحنان ناصر رئيس بلدية بيت لحم.

وفي هذه المرحلة، وبسبب المخاوف الفلسطينية على سلامة الفريق التفاوضي من المواقف الإسرائيلية في نكث العهود، والخبرة الفلسطينية المتراكمة بعدم التزام إسرائيل

بأية تعهدات، أو بما يتم الاتفاق عليه، فقد جرى الاتصال مع **الصليب الأحمر** كي يتدخل أولاً، للمساعدة في تحرير الجرحى ونقلهم للمستشفيات، وثانياً للتدخل والمشاركة بتوفير الحماية والأمن للفريق المحلي المفاوض الجديد أثناء الحركة والتنقل.

اعتذار الصليب الأحمر عن أداء أي دور

ولسوء الحظ، اعتذر المسؤولون في **الصليب الأحمر الدولي** رسمياً عن أي تدخل، أو مشاركة بأي موضوع يتعلق بإنهاء الحصار على الكنيسة أو غيرها، وهو اعتذار تماثل مع مواقف **الصليب الأحمر** في جنين ونابلس وطولكرم وباقي محافظات الوطن.

وقد ذهبت بعض الشخصيات الاعتبارية الفلسطينية للقول عبر شاشات التلفزة المحلية والعربية والدولية، بأن صمت **الصليب الأحمر الدولي** على جرائم الحرب الإسرائيلية،

ورفضه القيام على الأقل بأي دور رقابي في الصراع الدامي الذي دارت رحاه في أزقة المدن والمخيمات والقرى الفلسطينية، وعلى مداخل كنيسة المهد ، بدا غريباً ويتعارض مع أهداف ودور الصليب الأحمر ، ويتعارض مع القوانين الدولية التي تنظم عمله. هذا بالإضافة إلى تعارض هذا الموقف للصليب الأحمر في فلسطين، مع ما يفعله في مناطق أخرى من العالم، بل وذهب البعض لوصف موقف الصليب الأحمر الدولي في بيت لحم ونابلس ومخيم جنين بأنه مشبوه ويثير آف علامة سؤال!؟.

وبخصوص ذلك، أعلن المسئولون في الصليب الأحمر في الأراضي الفلسطينية سبب عدم القيام بأي دور هنا أو هناك أحياناً، بأن القوات الإسرائيلية أعاقت عملهم واستهدفت العاملين في أطعم الصليب الأحمر!؟.

إنها حجة صحيحة، والشعب كله يشهد عرقلة قوات الاحتلال لنشاط الصليب الأحمر ، ولكن المسئولين في الصليب الأحمر ، لم يكلفوا أنفسهم عناء عقد مؤتمر صحفي يقولون من خلاله ما يحدث لعاملهم للمجتمع الدولي وللرأي العام، ويوضحون فيه انتهاك إسرائيل لحقهم في أداء رسالتهم.

كذلك لم يبادر الصليب الأحمر الدولي بإصدار مجرد بيان حول جرائم الحرب الإسرائيلية لإطلاع الرأي العام والمجتمع الدولي على حقيقة ما كان يحدث على الأرض من انتهاكات إسرائيلية لحقوق الإنسان ، وتجاوزات إسرائيل على القوانين والمواثيق الدولية ومنها اتفاقية جنيف الرابعة، وهو أضعف الإيمان.

وللإنصاف هنا نذكرُ بأن انتونيلا نوتاري المتحدثة باسم اللجنة الدولية للصليب الأحمر في جنيف وفي مقابلة صحفية مع صحيفة الغارديان البريطانية الصادرة يوم (2002/4/19) انتقدت إسرائيل بشدة، ولكنها لم تتطرق لأية جرائم نفذها الاحتلال الإسرائيلي كالتى نفذت في كنيسة المهد أو في مخيم جنين أو حي القصة في نابلس.

فتحدثت انتونيلا نوتاري، قالت:

- إن إسرائيل انتهكت معاهدة جنيف من حيث عدم التزامها بالحفاظ على حياة كريمة للمدنيين الأبرياء بفرضها حظر التجول على جميع مدن الضفة الغربية مما

حرم المواطنين من الاحتياجات والخدمات الأساسية وعلى رأسها الماء والطعام والرعاية الطبية!!.

الدور والمشاركة السويسرية

وبسبب هذا الموقف المؤسف للصليب الأحمر الدولي، تحادث المحامي أنطون سلمان مع صديقه د. جاد اسحق مدير عام مؤسسة " أريج " في بيت لحم، الذي تربطه علاقات إيجابية وتوصف بأنها قوية ، مع مسئول مؤسسة التعاون السويسرية السيد فريتس والطلب منه التدخل لدى الحكومة السويسرية للضغط على الصليب الأحمر الدولي لإقناعه بالتدخل والمشاركة في المساعي لإيجاد مخرج للجرحى والشهداء، والتدخل لإنهاء مشكلة الحصار المحكم حول كنيسة المهد إن أمكن، والأهم من ذلك، هو الحصول على موافقته بمرافقة الفريق المفاوض من وإلى أماكن الحوار لتأمين سلامته.

وكنتيجة لهذه الاتصالات التي جرت مع السويسريين ، وافق الطرف السويسري على مرافقة الفريق المفاوض، حتى انه في وقت لاحق ، ولصالح الحقيقة ينبغي التوثيق بأن السفير السويسري تدخل شخصياً بأن حضر فعلياً إلى القدس يوم (2002/4/18) للقدوم إلى بيت لحم كي يرافق الفريق الفلسطيني إلى جانب السيد فريتس خلال المفاوضات مع الإسرائيليين بشأن فك الحصار عن كنيسة المهد.

وفيما يخص الدور السويسري أيضاً، فقد قبلت الحكومة الإسرائيلية وقواتها المحتلة بوجودهم إلى جانب فريق التفاوض الفلسطيني كمرافقين فقط ، وغير مسموح لهم بالتدخل في أي شأن.

وأوضحت إسرائيل صراحة، بان قبولها بالمشاركة السويسرية مرده فقط، طمأنة الفريق الفلسطيني على سلامته وأمنه أثناء الحركة والتنقل أو أثناء المفاوضات.

الاتفاق على موعد المفاوضات وإجراءات التهدئة

- الاتصالات المحلية والدولية في هذه الفترة الممتدة ما بين (4/12 - 4/18) لم تتوقف بما في ذلك الاتصالات السويسرية - الإسرائيلية، والتي أسفرت عن الاتفاق على بعض الإجراءات لتهيئة الأجواء المناسبة للمفاوضات مثل:-
- 1- أن يوقف الجانب الإسرائيلي إطلاق النار على الكنيسة.
 - 2- الاتفاق على تحرير (تسعة أطفال) من المحاصرين، وإخراج جثمانى الشهيدى خالد صيام وحسن عبد الله النسمان.
 - 3- تحديد موعد لإجراء أول جلسة مفاوضات بشأن الحصار على الكنيسة يوم الخميس الموافق (2002/4/18).

إلغاء اللقاء التفاوضى الأول

ما الذى جرى ليلة الثامن عشر من نيسان موعد الجلسة الأولى للمفاوضات؟ كيف فشلت كل الجهود المحلية والعربية والدولية لعقد اللقاء التفاوضى الأول فى مواعده؟

الإسرائيليون من جهتهم، كانوا ينفذون هجوما تدميريا للسلطة الفلسطينية على نطاق الوطن وليس فى بيت لحم وحدها، وذلك بهدف إضعافها وتدمير بُنيته التحتية، والمس بقيادتها وتحويل السلطة إلى جهاز يقتصر على تقديم الخدمات المدنية للمواطنين، بالإضافة إلى هدف الهجوم الإسرائيلى الأساس ملاحقة القوى الوطنية والقضاء على الانتفاضة وتركيب الشعب وتطويعه بالقوة للمخطط الإسرائيلى للتسوية.

وعمدت الحكومة الإسرائيلية وقواتها المحتلة أيضا إلى تجاهل ما خلص إليه المجتمع الدولى بشأن الحاجة لإنهاء حالة الحصار على الكنيسة فى أسرع وقت وبالتعاوى مع القيادة الفلسطينية . فقورت الحكومة إسرائيل تجاهل أى دور للقيادة الفلسطينية فى موضوع الحصار المضروب حول الكنيسة، والتراجع عما أبدته من مرونة تكتيكية أمام القادة الأوروبيين بشأن الفريق المفاوض الذى شكله الرئيس عرفات.

قيادة قوات الاحتلال أيضا وعشية اللقاء الأول المزمع عقده:-

1- أوصلت إشارة إلى المحاصرين تفيد بأنها لن تحيد إطلاقاً عن موقفها الرفض لوجود ممثلين عن الكنيسة في الفريق المفاوض يشجعها في ذلك نتائج الجهد الدبلوماسي الذي نفذته خلال أيام الحصار الماضية، ومعرفتها بان الفلسطينيين سوف يصرفون النظر عن هذا المطلب.

2- كررت تذكير الجانب الفلسطيني بتشددها وعدم تقبلها أو موافقتها على وجود أي دور دولي في المفاوضات وبان الطرف السويسري سيحضر فقط كمرافق لضمان امن وسلامة الفريق الفلسطيني.

وفي مساء يوم (الأربعاء 2002/4/17) وعقب التذكير الإسرائيلي هاتف محمد المدني محافظ بيت لحم المسؤولين في مكتب الرئيس وابلغهم بالتذكير و الشروط الإسرائيلية ووعده بتدارس الأمر وإعطاء الجواب على ذلك.

وفي وقت متأخر من ساعات المساء، وبحسب شهادة عدد من المحاصرين، ي تلقى المحامي أنطون سلمان تحديدا إشارة من مكتب الرئيس في غزة، حيث يوجد هناك الطيب عبد الرحيم أمين عام الرئاسة، و رمزي خوري مدير مكتب الرئيس عرفات ، تطالبه بإلغاء الاجتماع مع الإسرائيليين إذا لم يتم إشراك ممثلي الكنيسة في الفريق المحلي المفاوض، باعتبار الكنيسة جزءا لا يتجزأ من الحياة الفلسطينية والشعب الفلسطيني بكل ما تعنيه وتمثله الكنيسة في الوجدان الفلسطيني ، وهو المطلب الذي اضطر الفلسطينيون للتنازل عنه فيما بعد.

إن منطلقات ودلالات الإشارة الواردة من مكتب الرئيس في غزة، هي التمسك والإخلاص لكل ما له صلة بالوحدة الوطنية.

ولكن وكما هو واضح، إما أنه لم يكن في علم المسؤولين في مكتب الرئيس بغزة ما حققته الدبلوماسية الإسرائيلية في الحوار مع الكنائس العالمية من نتائج، حيث طولبت الكنيسة في بيت لحم وتحت طائلة ضغوط كنسية دولية، بعدم المشاركة في الفريق المحلي المفاوض، أو أن المسؤولين في مكتب الرئيس بغزة، برغم معرفتهم بذلك، رفضوا بان يتنازل الفريق الفلسطيني عن وجود ممثلي الكنيسة في بنيته:

أولاً: للرد على الادعاءات الإسرائيلية الظالمة، والزاعمة بان رجال الدين في الكنيسة رهائن بأيدي المحاصرين.

ثانياً: لإفشال المحاولات الإسرائيلية التي لا تكل بإحداث شق طائفي بين أبناء الشعب الواحد.

ثالثاً: تعزيز المركز التفاوضي للفريق الفلسطيني بالقوة التي تملكها الكنيسة في التأثير على الرأي العام العالمي.

رابعاً: أن وجود ممثلي الكنيسة في الفريق المفاوض يؤكد بطلان جميع المزاعم الإسرائيلية التي نشطت الدبلوماسية الإسرائيلية بترويجها عالمياً في الأيام الأولى لاجتياح محافظة بيت لحم وحصار كنيسة المهد، والزاعمة بان الكنيسة هي طرف ثالث ومحسوبة على الدور الدولي ولا شأن لها بالصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. في هذه الأثناء، وبعد تسلم الإشارة الواردة من غزة، أحسَّ الفريق المفاوض بأن الخيارات قد ضاقت أمامه إلى حد كبير، فالمحاصرون من جهتهم بنوا آمالاً كبيرة على المفاوضات لتكون فاتحة الحوار على الأقل، إنقاذ حياة الجرحى وخاصة صاحب الجرح الخطير سامر كوازبة، والتخفيف من معاناتهم، وتأمين وصول الطعام والأدوية للكنيسة، ولو بكميات قليلة تسد حاجة رجال الدين والرهبان الذين قاسموا المحاصرين كل كسرة خبز بحوزتهم.

كذلك، كان مراسلو الفضائيات العربية والعالمية قد عمموا نبأ التحضير للقاء المفاوضات، واطمأن العديد من قادة العرب والاتحاد الأوروبي على أن جهودهم سوف تتكلل بالنجاح يوم غدٍ بإجراء أول لقاء فلسطيني - إسرائيلي بشأن الحصار المفروض على كنيسة المهد.

من جانبه، امتنع المحامي أنطون سلمان عن إبلاغ الجانب الإسرائيلي فحوى الإشارة الواردة من مكتب الرئيس في غزة بشأن تمثيل الكنيسة في الفريق، ولم يبلغهم بعدم الحضور إلى موعد اللقاء في اليوم التالي، وذلك بقرار اتخذ بالاتفاق والتشاور مع المقربين منه داخل الكنيسة وخاصة محمد المدني محافظ بيت لحم والأب إبراهيم

فلتس ، الذين برزوا ثلاثتهم كمجموعة ضغط متماسكة لها موقفها ورأيها الخاص بين صفوف المحاصرين.

إن عدم إبلاغ الجانب الإسرائيلي بالموقف الفلسطيني من موضوع تمثيل الكنيسة في الفريق المفاوضات في تلك الليلة، كان خطة من محمد المدني وأنطون سلمان و ابراهيم فلتس هدفها أن يحظى المحاصرون والكنيسة بليلة هادئة ، وبدون إطلاق نار، مستفيدين من الاتفاق على وقف إطلاق النار، ولكي تتاح الفرصة للمحاصرين كي يحصلوا على فسحة للنوم، خاصة وان قوات الاحتلال استخدمت طوال الوقت آلة (جاروشة) تطلق أصواتا مرعبة ومزعجة، تمنع النوم من أن يقترب أو يزور المحاصرين في الكنيسة، إضافة إلى أن قوات الاحتلال كانت تتأهب بحسب معلومات شباب المقاومة المحاصرين المكلفين بمراقبة حركة العدو ، لتنفيذ خطة جديدة ضد المحاصرين.

كذلك لم يبلغ المحامي أنطون سلمان بقية أعضاء الفريق المحلي المفاوضات متري ابو عيطة وصلاح التعمري و عماد النتشة وحنان ناصر والمحاصرين معه بإشارة غزة إلا صباح اليوم التالي أيضا، كي يستفيدوا من حالة الهدوء المؤقتة التي وفرها الاتفاق على إجراء أول لقاء تفاوضي حول الحصار المفروض على الكنيسة. وكذلك الحال بالنسبة للطرف السويسري فقد تم الاتصال مع السيد فريتس في صبيحة اليوم المحدد للمفاوضات (الخميس 2002/4/18) كي لا يحضر برفقة السفير السويسري إلى موعد اللقاء في بيت لحم.

وهكذا حظي الجميع سواء تواجدوا داخل أروقة وردهاات وممرات وبهو الكنيسة، أو في أحياء المدينة نفسها بليلة هادئة، وكانت بالفعل أهدأ ليلة من بين جميع أيام الحصار الأربعين.

وفي اليوم الثامن عشر للحصار حول الكنيسة ، تدافع الصحفيون ومراسلو وكالات الأنباء في الزقاق الضيق، عند نقطة التقاء شارع بولس السادس مع ساحة باب الدير، يعدون أنفسهم لالتقاط أول الصور للمشهد الأول في فصل المفاوضات حول الكنيسة،

فيما كان جنود الاحتلال يدفعونهم للوراء، وبعضهم حاول رشوة بعض المراسلين بتقديم السندويشات ومعلبات الطعام لهم.

اقترب الموعد دون أن تتلقى قيادة قوات الاحتلال المرابطة في مبنى **مركز السلام** الكائن وسط المسافة بين **الكنيسة** و **مسجد عمر بن الخطاب** من الجهة الشمالية أية إشارة من أي فلسطيني يطلب أو يعلن عن قدومه لمكان اللقاء، ولا حتى من داخل **الكنيسة**.

وفي اللحظة المحددة فقط، هانف **عماد النتشة** بصفته **ضابط الارتباط المدني** الطرف الإسرائيلي وأبلغه، بأن الفريق الفلسطيني المفاوض لن يحضر للموعد إلا إذا تم إشراك ممثل عن **الكنيسة** في إطار الفريق المفاوض.

عندئذ، بدأ الضابط الإسرائيلي على الطرف الآخر من الهاتف وقد جن جنونه، فقد انتزانه مستخدماً عبارات مشينة وهو يهدد بإيقاع الأذى بالمحاصرين و**بالكنيسة**. وبالفعل، شرع جنود الاحتلال يبعدون الصحفيين عن المكان، وطغى صوت الآليات المجنزرة في مركز المدينة على أي صوت، وعكست شاشات التلفاز العالمية ما كان يجري في ساحة المدينة الرئيسة، حيث بدت ساحة المدينة غريبة على المشاهدين وعلى أهلها.

إن ساحة باب الدير عادة ما تعج بالناس المارة، أو بالمصلين من المسيحيين والمسلمين، أو تعج بالسيارات الواقفة أو المتحركة وهي تفرغ حمولتها من الركاب أو تحملهم منها إلى بيوتهم، أو تعج بالتجار وبالأطفال وبالعائلات التي تحضر للساحة بكامل أفرادها للتنزه، يشمّون رائحة **الفلفل** المنبعثة من مطاعم " **فتيم** " و " **أبو العدس** " و " **أبو الأنس** " أو لتناول الكنافة الساخنة من حلويات " **محلات دعنا** " الشهيرة الكائنة في الركن الغربي الشمالي من الساحة.

وهاهي الساحة الرئيسة في مدينة الميلاذ تبدو مختلفة وغريبة، تعج بالعسكر بدلاً من المواطنين، وتزدحم بالآليات المجنزرة من كل نوع، والقناصة يتمركزون في كل زاوية وعلى الأسطح المطلة على الساحة و**الكنيسة**، ولعلعة الرصاص صارت تسمع في كل مكان، فيما غطت سحب من الدخان الملون بالأخضر والأسود والأحمر سماء مركز

المدينة، وتلف مجمع المباني الكنسية من كل جانب، حاجبة الرؤية حتى على المبنيين بحب الاستطلاع ، الذين كانوا يطلّون برؤوسهم من شرفات منازلهم في حارتي " الفراحين " و " الغاترة " على الساحة الرئيسة للمدينة.

وشهدت منطقة الكنيسة المحاصرة ومناطق المحافظة الخاضعة لحظر التجول أسوأ أيام الحصار، إذ شرعت قوات الاحتلال بحملة مدهامات تعسفية للمنازل، وعمد جنود الاحتلال إلى هرس المركبات الخاصة بالمواطنين المتوقفة على جانبي الطرق أو أمام المنازل تحت جنازير دبابتهم، وبعض الجنود لجأ إلى دهم أبواب المتاجر بدباباتهم مُشعلين النار في محتوياتها بعد أن نهبوا ما يحلوا لهم منها.

آخرون من جنود الاحتلال، كانوا يدمرون الشوارع المعبدة بحفرها بالجرافات واستخراج خطوط الهاتف من الأرض لتقطيعها، أو يجرّفون الشوارع لتدمير شبكتي المياه العادمة أو تلك الخاصة بمياه الشرب، وبعضهم تفتنّوا في دهم أعمدة الكهرباء وتحطيم الشبكة الرئيسة وخاصة في مدينة بيت لحم.

وقائع المرحلة الثانية من المفاوضات

وخلال هذه الأيام السوداء الممتدة ما بين الثامن عشر من نيسان ، وهو اليوم السادس عشر للحصار ، واليوم الثالث والعشرون من نفس الشهر ، وفيما تم الاتفاق ثانيةً على الشروع بالمفاوضات بعد تدخلات دولية مكثفة ، فقد تعرضت **كنيسة المهد** والمحافظة عموماً إلى أبشع أنواع القهر .

في المحافظة ، شنت قوات الاحتلال حملة مدامات واعتقالات مساء يومي الثامن عشر والتاسع عشر من نيسان ومنها مدمامة منزل الشهيد **عاطف عبيات** واحتجاز كل من والدته وشقيقته، كما داهمت منزل الشهيد **إيهاب حبيب** في البلدة القديمة .
ولاحظ المحاصرون مساء يوم (**السبت 2002/4/20**) جنوداً إسرائيليين وهم يثبتون سلاماً طويلة على جدران المجمع الكنسي، وبعضهم ثبتّ قنابل موقوتة على أيدي النوافذ الخارجية **لكنيسة المهد** ، بالإضافة إلى نشر أسلاك شائكة في محيط **الكنيسة** الخارجي .

وقد ترافق هذا التصعيد الخطير مع تصريحات تناقلتها وسائل الإعلام العالمية على لسان وزير الدفاع الإسرائيلي **بنيامين بن اليعازر** قال فيها بان قواته " لن تنسحب من رام الله وكنيسة المهد ما لم تحسم المواجهة مع المحاصرين في الكنيسة!!".
وفي نفس الليلة أيضاً أسقطت القوات الإسرائيلية منشورات في الساحات الداخلية المكشوفة في **الكنيسة** تطالب المحاصرين بالاستسلام، وتدعوا كل محاصر كي يفكر في نفسه وروحه فقط .

وقد طرحت في النقاش بين المحاصرين احتمالات إقدام قوات الاحتلال الإسرائيلي على عملية اقتحام جديدة **لكنيسة المهد** ، إلى جانب مناقشة احتمال أن يكون ذلك جزءاً من الحرب النفسية لتعزيز المركز التفاوضي للمفاوض الإسرائيلي، أو جزءاً من الضغوط الأميركية على القيادة الفلسطينية، خاصة وان هناك ترتيبات لاجتماع سيضم الرئيس ياسر عرفات مع وليام بيرنز نائب وزير الخارجية الأميركي في مقره المحاصر يوم (**الاثنين 2002/4/22**) المقبل .

وعلى ضوء هذه التطورات الميدانية بادر الأب إبراهيم فلتس بتوجيه نداء للرأي العام العالمي ناشده بسرعة التدخل لإنقاذ الكنيسة والمحاصرين من حصار القوات الإسرائيلية وأعلن بان المحاصرين بلا طعام أو ماء.
ومن جهتهم، أصدر المحاصرون بياناً أُعدَّ في وقت متأخر من مساء نفس اليوم، أعلنوا فيه:-

- لقد قررنا وباختيار جماعي بأننا سنموت شهداء وبشرف في هذا المكان المقدس، وهو البيت الذي انطلقت منه أنوار عيسى عليه السلام رسولا للمحبة والسلام وكان الفدائي الأول.

وأضاف بيان المحاصرين:

- منذ أن فرض الحصار على الكنيسة من قبل قوات الاحتلال، وهي تحارب المحاصرين بالغذاء وتحرمهم من الدواء وتمارس الاعتداءات اليومية على المحاصرين، ودمرت مساكن كثيرة داخل الكنيسة وأصيب جزء كبير فيها بنيران الحرائق.

وأشار البيان إلى صمت المجتمع الدولي حول ما يحدث فقال:

- كل هذا يجري ولأول مرة في التاريخ أمام صمت العالم الذي يشاهد الكنيسة تنتهك ببساطير وعنجهية حكومة شارون لتتحول كنيسة المهد إلى قبر جماعي ل (300) مواطن فلسطيني طلبوا حماية الكنيسة من سياسة القتل والاحتلال.
وأكد بيان المحاصرين: على أنهم

- لقد توكلنا على الله وان التاريخ لن يسجل أن بيت لحم قد تخلت عن أبنائها، فإما النصر أو الشهادة والحق أقوى من الحصار والبرابرة الذين دنسوا ساحة المسيح بالخراب والفساد.

وينبغي التنويه هنا لصالح التاريخ، وعلى عكس ما ادعت إسرائيل طوال الوقت محاولة التشكيك في طهارة الشعب الفلسطيني، وبأنها على علم بكل ما يجري بين المحاصرين في الكنيسة وتعرف هوية الموجودين فيها، فقد أصدرت وزارة الدفاع الإسرائيلية بياناً يوم

(الأحد 2002/4/21)، ضمنته أسماء المحاصرين الذين تدعي بأنهم على راس قائمة المطلوبين إليها.

وفي الحقيقة لم يعكس بيان وزارة الدفاع الإسرائيلية سوى أمر رئيس واحد، هو أنها لا تعرف من هم داخل الكنيسة ولا من هم خارجها، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، تضمين القائمة اسم كامل حميد أمين سر حركة فتح في محافظة بيت لحم، والذي كان مختفياً خارج الكنيسة بحسب ما أتضح لاحقاً.

وعلى ضوء هذه المخاطر المحدقة بالكنيسة والمحاصرين فيها، تقدم كل من غبطة البطريرك ميشيل صباح والأب حنا عطا الله الناطق باسم الكنيسة الأرثوذكسية يقودان مسيرة حاشدة يوم (الأحد 2002/4/21).

انطلقت المسيرة من القدس المحتلة باتجاه الجنوب نحو مدينة بيت لحم وصبوب كنيسة المهدي، لكن قوات الاحتلال الإسرائيلي أغلقت المدخل الشمالي للمدينة في وجه المسيرة، ومنعت رجال الدين ومرافقيهم من اجتياز الحاجز العسكري، فأقام رؤساء الكنائس في القدس صلوات خاصة على الحاجز متحدين جنود الاحتلال الذين حاولوا منعهم من التجمع أمام الحاجز وطردهم من الموقع. وفي الفاتيكان، قال قداسة البابا في قداس الأحد بشأن الحصار والأحداث الجارية في بيت لحم بشكل عام:

- إن المنطقة والأحداث فيها تتسم بالصدام والابتزاز وتبادل غير مقبول للاتهامات. وكان لهذه التطورات نتائج سريعة، إذ تبعها جهود واتصالات مكثفة على جميع الصعد المحلية والدولية، وأسفرت عن الاتفاق على بدء المفاوضات من جديد، وحدد يوم الثلاثاء المقبل موعداً لجلسة المفاوضات الأولى على أن تتم في بيت لحم. وهكذا اختير مركز السلام في وسط مدينة بيت لحم وقرب الكنيسة مكاناً لعقد جلسات التفاوض، علماً بأن قوات الاحتلال احتلت المركز وحولته إلى مقر لقيادة القوات المحتلة في بيت لحم وأقامت في غرفة للعمليات مجهزة بأجهزة الحاسوب وأجهزة التلفاز التي تعكس جميع زوايا الكنيسة بواسطة الكاميرات التي وضعت في كل زاوية في محيط المجمع الكنسي.

جلسة المفاوضات الأولى

لقد تقرر إجراء أول جلسة مفاوضات صباح يوم (الثلاثاء 2002/4/23)، تلاها الجلسة الثانية في ساعات بعد الظهر من اليوم نفسه، في نفس الوقت الذي كانت فيه وسائل الإعلام منشغلة بالأنباء عن اللقاء الذي أجراه الرئيس ياسر عرفات مع وليام بيرنز نائب وزير الخارجية الأميركي، الهادف لإيجاد مخرج من دوامة الصراع الدامي بين الشعب الفلسطيني ومحتليه الإسرائيليين، وللتباحث حول سبل إنهاء الحصار المحكم حول مقر الرئيس عرفات في المقاطعة بمدينة رام الله وكنيسة المهد في بيت لحم.

تركزت جلسة المفاوضات الأولى بين الفريق الفلسطيني المحلي المفاوض مع الضباط الإسرائيليين حول حصار الكنيسة على عرض كل طرف مطالبه على الطرف الآخر. فما الذي ميز اليوم الأول من المفاوضات عن غيره من الأيام خاصة وأن المشترك بينها، هو استمرار الضغوط الإسرائيلية على المحاصرين واستخدام كل وسائل الحرب النفسية بإتقان؟.

أولاً: مطالب الفريق الفلسطيني في الجلسة الأولى

- 1- وقف إطلاق النار الظالم تجاه كنيسة المهد.
- 2- وقف أعمال القنص والقتل.
- 3- السماح بإدخال الطعام والأدوية للمحاصرين وإخراج جثامين الشهداء.
- 4- السماح للفريق أو لبعض أعضائه بالدخول إلى الكنيسة ومقابلة المحاصرين.

ثانياً: مطالب الضباط الإسرائيليين:

تركزت مطالبهم في الجلسة الأولى للمفاوضات على مطلب رئيس يتلخص في أن هناك ما بين (2% - 3%) من بين المحاصرين هم أشخاص مطلوبون للقوات

الإسرائيلية، وبأنهم يشكلون خطراً على أمنها، وشددوا على أن يتم تسليمهم لها للتحقيق معهم ومحاكمتهم!!.

الفريق الفلسطيني المفاوض، وحين سمعوا ذلك، تبادلوا فيما بينهم النظرات، وكل أبلغ رسالته للآخر دون أن ينبس أحد منهم ببنت شفه.

كما رفض الفريق الفلسطيني المطلب الإسرائيلي بتسليم أي محاصر داخل الكنيسة لقوات الاحتلال، وأصر الفريق الفلسطيني على موقفه مستنداً إلى الاتفاقات الموقعة بين السلطة الوطنية الفلسطينية والحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، والقاضية بأنه إذا كان لدى إسرائيل أية لوائح اتهام تجاه أي مواطن فلسطيني، فإن هذا الشخص سيحول للمساءلة أمام الجهات القضائية الفلسطينية المختصة للتحقيق معه بأمر الاتهامات الإسرائيلية، وهي صاحبة الدور بتقرير من هو مخالف أو مستحق للمحاكمة أم لا.

إن مطالب الوفد الإسرائيلي للفريق الفلسطيني المحلي المفاوض، كشفت بوضوح النقص في المعلومات لدى الاستخبارات الإسرائيلية حول هوية المحاصرين داخل الكنيسة، بعكس ما أعلنته حكومة إسرائيل وادعته في وسائل الإعلام عن خطر المطلوبين المحاصرين وبأنهم إرهابيين ويحتجزون الرهبان ورجال الدين المسيحي في الكنيسة، وبأنها تملك المعلومات الكاملة عن هوية كل مطارذ ومطلوب محاصر داخل الكنيسة.

وكان من الواضح أن الجلسة الأولى قد كشفت بما لا يدع مجالاً للشك، بان قوات الاحتلال لم يكن لديها حتى تلك اللحظة أية خطة أو استراتيجية معدة مسبقاً للتعاطي مع المحاصرين في حال فك الحصار، ولسبب بسيط تكشفت خلال المفاوضات بأنها تجهل هوية المحاصرين داخل كنيسة المهدي، وتجهل عددهم الحقيقي أيضاً.

وكان ذلك يعني، بأن قوات الاحتلال الإسرائيلي ومخابراتها لم تستطيعوا الاستفادة حتى من أولئك الذين اضطروا للخروج من الكنيسة والحصار بالتنسيق معها من خلال اتصالهم على رقم الهاتف الخليوي الذي كان جنود الاحتلال يعلنونه طوال أيام الحصار بواسطة مكبرات الصوت، وهم يطلبون من كل شخص يرغب في الخروج والتحرر من الحصار، بان يتصل بالرقم المعلن لتنسيق خروجه مع الضابط الإسرائيلي المسئول.

ولو افترضنا معرفة قوات الاحتلال الإسرائيلي بالعدد الحقيقي لمن هم تحت الحصار في الكنيسة ، فان المطلب الإسرائيلي تمحور حول تسليم ما بين 6 - 10 أشخاص من المحاصرين على افتراض معرفتها بعدد المحاصرين الكلي بمن فيهم رجال الدين الروم والأرمن والفرنسيين ، وهو العدد الذي لم تكن تعرفه ولا وسائل الإعلام توصلت إليه.

وبذلك تبين أن كل الادعاءات الإسرائيلية، ومحاولات إثارة الشكوك في الصف الفلسطيني بوجود عملاء لها داخله، وبأنها حصلت على ما يلزمها من المعلومات ممن خرجوا من الكنيسة بالتنسيق معها، كانت ادعاءات وافتراءات كاذبة وغير صحيحة بحق شعبنا، ولم تكن هذه الادعاءات سوى وجبة من وجبات الحرب النفسية ضد شعبنا ومناضليه.

كما كشف الاقتراح الإسرائيلي في الجلسة الأولى أيضاً، بأن طلب تسليم المطلوبين قد صيغ في إطار تجريدي مبني على تقديرات وافتراضات مجازية، وهو الأمر الذي سيثير آلف علامة سؤال في وقت لاحق بشأن عملية التطوع الفلسطينية لتقديم القوائم بأسماء المحاصرين.

وهكذا انفضَّ "ماراثون" الجلسة الأولى من المفاوضات دون التوصل إلى أية نتائج، وربما فسّر ذلك القصف العنيف الذي شنته قوات الاحتلال على المجمع الكنسي مساء ذلك اليوم.

وأعقب الجلسة الأولى جلسة حوار ومفاوضات ثانية في ساعات بعد الظهر من نفس اليوم، دون أن تسفر عن شيء كرر خلالها الضباط الإسرائيليون مطلبهم باستسلام المحاصرين لاعتقالهم وتقديمهم للمحاكمة في المحاكم الإسرائيلية، أو إبعادهم للخارج حسب اقتراح أرئيل شارون.

وتنبغي الإشارة هنا إلى أن عدم وجود ممثل عن الكنيسة في الفريق المفاوض قد أثار تساؤلات كثيرة في المحافظة وفي الشارع الفلسطيني بشكل عام، حيث تجرأ البعض للمجاهرة باجتهاداته، أن الطرف الفلسطيني قد تنازل عن مطلبه بتمثيل الكنيسة في الفريق المفاوض، ولم يجرؤ أحد على قول الحقيقة للجمهور، ومفادها:-

1- أن دول وكنايس العالم، هي التي ضغطت باتجاه عدم تمثيل الكنيسة في الفريق المفاوضات، وإن كانت من منطلقات مختلفة، فبعضها مارست هذا الضغط من باب المرونة لإزالة العقبات أمام المفاوضات، والقلة منها لإرضاء الصهيونية العالمية والولايات المتحدة الأمريكية.

2- رغبة من المسؤولين في الكنيسة الفلسطينية بتسهيل الأمور وليس تعقيدها، وأن أعضاء الفريق الفلسطيني في نهاية الأمر يمثلون الشعب بما في ذلك الكنيسة الفلسطينية، ولعدم إعطاء إسرائيل حجة للتهرب من المفاوضات.

صوت واحد فقط، يبدو بأنه تمكن من قراءة ما حدث على المستوى الدولي بهذا الخصوص، وهو صوت السفارة الإيرانية في عمان التي أصدرت بياناً صحفياً في اليوم التالي للجلسة الأولى (الثلاثاء 2002/4/23) حملت فيه على تقاعس دول العالم المسيحي عن نجدة الكنيسة والمحاصرين فيها، وجاء في البيان:

- إن كنيسة المهد هي أقدس مكان على وجه الأرض لتمجيد الله وتعليم المصلين فيها تعاليم سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.
وأضاف البيان:

- وعندما يلجا إليه المسلم فارا من ظلم اليهود أعداء الديانتين المسيحية والإسلامية فهو يعلم انه أصبح آمناً وان أتباع الكنيسة سوف يحمونه من العدوان.
وأعرب البيان يقول:

- ولكن للأسف، فان مسيحيي العالم اجمع، بدولهم وشعوبهم لا يقومون بأي شئ لحماية 200 شخص فلسطيني من عدوان اليهود.
وأضاف بيان السفارة الإيرانية:

- لقد ثبت بان اليهود يستطيعون فرض الحصار على كنيسة المهد وتجويع من في داخلها وإحراق أبوابها، وان قوات الاحتلال تفعل هذا كله على مرأى ومسمع العالم كله، بينما دول العالم المسيحي وشعوبه تتفرج ولا تفعل شيئاً لإنقاذ هؤلاء الذين دخلوا الكنيسة المقدسة طالبين الأمن والسلامة.

على صعيد آخر، وفي إطار القراءات الخاطئة لما كان يجري على طاولة المفاوضات والخطأ الفلسطيني المعتاد في قراءة وفهم المواقف الإسرائيلية، أعلن صلاح التعمري أمام وسائل الإعلام والفضائيات العربية، ومنها قناة الجزيرة يوم 23/ نيسان 2002 واصفا ما جرى في جلسة المفاوضات فقال:

- إن المحادثات كانت بناءه

وأضاف التعمري يوضح تفاؤله غير المبرر أكثر فأكثر مصرّحا:

- اعتقد بأننا قريبون جدا من التوصل إلى اتفاق.

وفي هذا اليوم، انطلقت في مدينة غزة مسيرة تضامن حاشدة مع **كنيسة المهد** والمحاصرين فيها، وتعبيرا عن الاستنكار الشعبي للحصار والجرائم الإسرائيلية التي نفذت ضد مخيم جنين ومدينة نابلس.

شارك في المسيرة التضامنية أعضاء التشريعي، وممثلو مختلف القوى السياسية، وقادة المجتمع في غزة، وقد انطلقت المسيرة التضامنية من محيط **المسجد العمري** واتجهت إلى **كنيسة دير اللاتين** تعبيرا عن تلاحم الشعب ووحدته.

أما في محيط مبنى **مركز السلام** وخارج غرفة المفاوضات فيه، وفي مبنى **بلدية بيت لحم** المجاور، تسربت أنباء عن تخريب الجنود لأرشفيف البلدية وتخریب أجهزة الحاسوب فيها، كما توالى سقوط الجرحى داخل **حنايا الكنيسة**، وضيق القوات المحتلة من حصارها على المحاصرين أكثر فأكثر.

وبعكس المرونة التي ربما لاحظها فعلا عضو التشريعي **التعمري** في الموقف

الإسرائيلي على طاولة المفاوضات. فقد واصلت القوات الإسرائيلية إطلاق النيران باتجاه **الكنيسة المحاصرة** في مساء اليوم ذاته، وتمكن قناص إسرائيلي من إصابة ك ل من **عصام جوابرة** الذي وقف خلف إحدى النوافذ برصاصة في أسفل البطن مخترقة حوضه وظهره من الخلف، والشاب المحاصر **رائد عمران الخطيب**.

وفي اليوم التالي (**الأربعاء 2002/4/24**) عقدت جلسة مفاوضات ثالثة تمسك

الإسرائيليون خلالها بمواقفهم المتشددة.

وفي أعقاب المفاوضات أعلن **حنا ناصر** رئيس بلدية بيت لحم لوسائل الإعلام قائلاً:-

- إن الطرف الإسرائيلي متمسك بمواقفه وانه رفض اقتراحا فلسطينيا بنقل المطلوبين إلى قطاع غزة بدلاً من نفيهم للخارج.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يُعلنُ فيها رسمياً عن التعاطي والقبول الفلسطيني لمبدأ إبعاد المحاصرين عن بيت لحم سواء داخل الوطن أو خارجه، علماً بان جميع التصريحات الرسمية المتعلقة بهذا الموضوع، كانت تنفي بشدة هذه الأنباء وتعتبرها مجرد إشاعات إسرائيلية.

الإسرائيليون رفضوا خلال هذه الجلسة من المفاوضات السماح بإخراج ونقل جثمانى الشهيدين خالد أبو صيام وحسن النسمان إلى مستشفى بيت جالا، لكنهم سمحوا بمغادرة جريحين لتلقي العلاج في المشافي خارج الحصار، حيث تم نقلهم للمشافي الإسرائيلية.

ويتضح فيما بعد أن الشاب عصام الجوابرة قد قضى، مع العلم بأنه خرج حياً من كنيسة المهدي.

ورو المحاصرون عن الشهيد عصام مقاومته ورفضه لفكرة الخروج من الكنيسة حتى لأسباب علاجية وبالرغم من جراحه البليغة، وقد شاهد الرأي العام العالمي كله على شاشات التلفزة العالمية الشهيد عصام الجوابرة وهو يسقط أرضاً عن النقالة أمام باب الكنيسة حين همَّ كلُّ من الأب جوزيف وأنطون سلمان بإخراجه من الباب الضيق قبل تسليمه للإسرائيليين كي ينقلوه لتلقي العلاج.

وفيما بعد، على ضوء الإعلان عن انه قضى، أصدر نادي الأسير الفلسطيني بياناً اتهم فيه قوات الجيش الإسرائيلي بإعدام الشهيد عصام جوابرة وقتله بدم بارد أثناء نقله للمشفى لتلقي العلاج.

ومع انتهاء أعمال جلسة المفاوضات هذا اليوم، استقدمت قوات الاحتلال تعزيزات عسكرية جديدة لساحة المهدي ومحيط المجمع الكنسي، أعقبها في ساعات الليل هجوماً بالرشاشات الثقيلة تجاه الكنيسة، وفي وقت واحد حوالي الساعة العاشرة ليلاً أطلق جنود الاحتلال قنابل الدخان وقنابل الإضاءة وتشغيل آلة التسجيل التي تبث أصواتاً

مزعجة ومرعبة، فبدأت منطقة **المجمع الكنسي** من بعيد مثل شاشة سينمائية تعرض احد أفلام الرعب المنتجة في مدينة **لوس انجلوس** بولاية **كاليفورنيا** الأمريكية. أما يوم **(الخميس 2002/4/25)**، فقد انعقدت جلسة مفاوضات رابعة ناقش المتفاوضون خلالها اقتراح إبعاد (60) محاصرا إلى قطاع غزة وما بين (4 - 6) محاصرين يتم إبعادهم إلى الخارج، ولكن الفريق الفلسطيني رفض فكرة الإبعاد قطعيا. ومع ذلك، أعلن بأنه قد حدثت تطورات طفيفة في المفاوضات إذ:-

- 1- سمحت قوات الاحتلال بإخراج ونقل جثمانى الشهيدى **صيام والنسمان** إلى مشفى بيت جالا تمهيدا لنقلهما إلى قطاع غزة.
- 2- السماح بخروج **تسعة فتیان** من بين المحاصرين على أن تلتزم إسرائيل بعدم اعتراضهم أو اعتقالهم، علما بأنها أخذت بالاتفاق واحتجزت التاسع بينهم وأبقته قيد الاعتقال في مستوطنة **"كفار عصيون"**.
- 3- الاتفاق على عقد جلسة حوار خامسة ظهيرة يوم غد الجمعة. وبالفعل شاهد الرأي العام في العالم كله على شاشات التلفزة العالمية الفتیان التسعة يغادرون **كنيسة المهد** المحاصرة، والمشهد المؤلم عندما سقط **عصام جوابرة** عن النقالة أمام مدخل **الكنيسة الضيق**، وذلك حين همّ كل من الأب **جوزيف وأنطون سلمان** بالخروج من باب **الكنيسة القصير**.

ما عدا ذلك، فقد فشلت كل الجهود في التوصل لاتفاق بشأن القضايا الأخرى المتعلقة وأهمها مستقبل ومصير المحاصرين، لا بل وطور الكولونيل الإسرائيلي المفاوض **مارسيل أفيف** مطالب قوات الاحتلال باشتراط تقديم الفريق المفاوض في جلسة الغد، قائمة بأسماء المحاصرين داخل **الكنيسة**.

تطورات درامية

أولاً: - بعض المحاصرين يطالبون بإبعادهم!

فجأة، وخلال هذه الفترة من المفاوضات بالذات، يرتفع صوت بعض المحاصرين من داخل الكنيسة، وهم يطالبون بإبعادهم إلى قطاع غزة، وقد تم الاتصال بالفعل مع عدد من المسؤولين في القوى السياسية ومع شخصيات اعتبارية ومن بينهم عضو التشريعي صلاح التعمري الذي أبلغ بذلك هاتفياً.

إن كل من التقيناهم من المحررين من الحصار قد أكدوا لنا أنه خلال جلستي الحوار الأولى والرابعة تحديداً، جرت مشاورات خارج الكنيسة بشأن الإبعاد إلى غزة، وأنه

خارج الحصار قد تقرر اقتراح، أو إملاء أو الإيحاء بهذا الطلب للمحاصرين لاعتماده والتصريح به من قبلهم، حيث بدأ الأمر في النهاية ، وكأن المحاصرين هم أصحاب الاقتراح بإبعاد أنفسهم، ولم نتمكن من تحديد المصدر الرئيس لهذا الاقتراح ، وعلى الأقل فقد تحققنا بأنه تأسس خارج الحصار .

وربما كان مفيدا أن نشير هنا، إلى أن أُل (BBC) البريطانية كانت في وقت سابق قد نسبت هذا الاقتراح إلى الكنيسة الكاثوليكية، وذلك في إطار تعميم خبر خطة الكنيسة الرامية لإنهاء الحصار. وأشارت أُل (BBC) إلى هذا الأمر مرتين في أخبارها الموثقة على صفحة "الانترنت" يومي (2002/4/9 و 2002/4/11).

ثانيا: - المطالبة بوقف المفاوضات

كذلك، طرأت تطورات أخرى خطيرة على سير المفاوضات في هذه المرحلة بالذات وأهمها تدخل حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح في محافظة بيت لحم وإصدارها بيانا طالبت فيه بالتوقف عن المفاوضات، وجاء فيه:

- إن المفاوضات قد تحولت إلى كمين، وأن هدفها المناورة واستنزاف المحاصرين بالقتل والتجويع والتدمير النفسي.

وأكدت الحركة على:

- إن المفاوضات يجب أن تستند إلى رحيل جيش الاحتلال عن المدن الفلسطينية وفك الحصار عن مقر الرئيس ياسر عرفات (الملحق رقم 7).

ثالثا: - الحاجة لمقابلة الرئيس ياسر عرفات.

التطور الآخر في هذه المرحلة أيضا، انه وعلى ضوء بيان حركة فتح وما لقيه من تفهم شعبي، وعدم التقدم جديا في المفاوضات بسبب الغطرسة الإسرائيلية ، ومحاولات الضباط الإسرائيليين إملاء شروطهم على الجانب الفلسطيني، واستمرار سقوط الشهداء والجرحى ، وعدم النجاح الفلسطيني على المستوى الدولي في الخارج بتحقيق نتائج ايجابية إعلامية وسياسية لصالح موضوع اللجوء والاحتفاء بالكنيسة ، بالإضافة إلى حاجة الفريق للتشاور مع الرئيس بشأن مقترحات الإبعاد إلى غزة والخارج وغيرهما من الاقتراحات.

كل ذلك، دفع بالفريق التفاوضي المحلي للتفكير بأنه حانت اللحظة التي يتوجب فيها الإقدام على اتخاذ قرارات لا يستطيع أحد البت فيها غير الرئيس ياسر عرفات.

رابعاً: - استخفاف احتلالي بالفريق المفاوض والتهديد باستخدام القوة:

وقبل الجلسة التفاوضية الخامسة يوم (الجمعة 2002/4/26) بلحظات، وكتعبير عن الاستهتار الإسرائيلي بالرأي العام وبالمفاوضات، وفي إطار ممارسة الضغوط النفسية على المحاصرين والفريق المفاوض، صرّح الناطق العسكري لقوات الاحتلال الإسرائيلي لوسائل الإعلام قائلاً: -

- إننا نستعدُّ لاستخدام القوة العسكرية في اقتحام الكنيسة إذا أخفقت المفاوضات هذا اليوم.

كذلك، أعقبه القائد العسكري الإسرائيلي الميداني النقيب " جو ليدن " مهدداً أمام وسائل الإعلام يقول:

- إن حصار الكنيسة لا بدَّ له من نهاية، وإذا لزم الأمر سنلجأ للخيار العسكري.

وعلى ضوء هذه التهديدات باقتحام الكنيسة المحاصرة والتلويح بالخيار العسكري، توجه غبطة البطريرك ميشيل صباح الحاضر دائماً، بنداء حار قال فيه:

-إننا نتوجه إلى كل جهة سياسية للقيام بما تستطيع لوضع حد لمأساة الكنيسة والحصار في بيت لحم.

وهكذا، كان مصير الجلسة التفاوضية الخامسة قد حدّد مسبقاً من خلال التصريحات الإسرائيلية الصادرة عن قادة الاحتلال في الميدان.

وتبعاً لما سلف، طالب الفريق الفلسطيني المفاوض من الضباط الإسرائيليين في لقاء الجمعة، السماح لكل من صلاح التعمري عضو التشريعي و حنا ناصر رئيس بلدية بيت لحم بالتوجه إلى رام الله لمقابلة الرئيس ياسر عرفات، وإطلاعه على الاقتراحات المعروضة من الجانبين، وتلقي التوجيهات منه كقائد للشعب الفلسطيني ورئيس

للسلطة الوطنية الفلسطينية، حيث كان الحصار المضروب على مدينتي البيرة ورام الله قد جرى رفعه جزئياً، وشهدنا إعادة انتشار للقوات الإسرائيلية المحتلة في المدينتين.

خامساً: - السماح للتعمرى بالوصول إلى رام الله ومقابلة الرئيس:

وهكذا، ربما الأمر الوحيد الذي تم الاتفاق بشأنه في هذا اليوم التفاوضي، هو موافقة
المفاوضين الإسرائيليين على نقل الطلب الذي قدمه الفريق الفلسطيني المحلي
المفاوض بالسماح لعضوي الفريق المفاوض صلاح التعمري و حنا ناصر بالتوجه إلى
رام الله ومقابلة الرئيس ياسر عرفات إلى مسئولهم في الحكومة الإسرائيلية.
من جهته وافق أرئيل شارون رئيس الحكومة الإسرائيلية ووزير دفاعه على تمكين
صلاح التعمري وحده فقط من التوجه إلى رام الله لمقابلة الرئيس ياسر عرفات ، وأن
يرافقه في سفره السيد أليستر كروك منسق الأمن الأوروبي في القدس واحد مساعدي
ميغيل موراتينوس، بينما رفض شارون السماح للسيد حنا ناصر رئيس بلدية بيت لحم
بمرافقته.

خلاصة المرحلة الأولى من المفاوضات

لقد شهدنا في هذه المرحلة من المفاوضات حول الكنيسة، ما بين جلسة المفاوضات
الأولى يوم (الثلاثاء 23 / 4 / 2002) والجلسة الخامسة التي انتهت في ساعات
مساء (الجمعة 26/4/2002) العديد من التطورات ، وأصبح من الواضح للرأي العام
المحلي والدولي بان هناك عدة اقتراحات معروضة للتفاوض:-
أولها : الاقتراح الإسرائيلي باعتقال المطلوبين المحاصرين أل (3%) حتى تلك اللحظة
الذين تحدث عنهم الضباط الإسرائيليون في الميدان، وأعلن أسماءهم مكتب رئيس
الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون ووزارة الدفاع في الحكومة الإسرائيلية وتقديمهم
للمحاكم الإسرائيلية أو إبعادهم للخارج.
الثاني : اقتراح رؤساء الكنائس الفلسطينية في القدس الذي تم تجاهله تماما من قبل
قوات الاحتلال ورفضت رفضا قاطعا مناقشته وسبقت الإشارة إليه.

الثالث : الاقتراح الفلسطيني بالتخفيف من إجراءات الحصار على الكنيسة والسماح بإدخال الطعام والأدوية ووقف إطلاق النار، وأن تتولى السلطة الوطنية الفلسطينية مساءلة أي محاصر تتهمه إسرائيل بالعمل ضدها حسب الاتفاقيات، والقبول بفكرة الإبعاد إلى قطاع غزة لبعض المحاصرين.

تداعيات اللقاء

بين

الرئيس ياسر عرفات وصلاح التعمري

توجه صلاح التعمري يوم (السبت 2002/4/27) قاصدا مدينة رام الله برفقة أليستر كروك أحد مساعدي موراتينوس لمقابلة الرئيس ياسر عرفات. وهو اللقاء الذي ظلت وقائعه طي الكتمان باستثناء ما رشح عن الاجتماع من تصريحات وأحاديث حول شرعية الفريق المحلي للمفاوض عبر الصحافة والإعلام الإسرائيلي. لم تكذ أقدام صلاح التعمري تطأ أرض بيت لحم، حتى تناقلت وسائل الإعلام العالمية والإسرائيلية بشكل خاص، وعلى لسان المستشار الإعلامي للرئيس نبيل أبو ردينة:-

- إن فريق التفاوض المحلي في بيت لحم لم يتشكل بقرار من القيادة الفلسطينية وأنها لم تمنحه الشرعية!!.

أدرك كل مراقب مهتم، مثلما أدرك كل فلسطيني في محافظة بيت لحم ، أو في محافظات الوطن الأخرى، أن ضربة شديدة قد وجهت للفريق التفاوضي الفلسطيني المحلي، وإن الفريق المحلي المفاوض قد بات يصارع بلا ظهر. على المستوى المحلي في بيت لحم، المحاصرون في الكنيسة كانوا قد أيدوا المفاوضات ودعموا الفريق المفاوض خاصة وأن مجرد استمرار المفاوضات بالنسبة إليهم، وحسبما اعتقد الكثير منهم، كان يخفف من القصف الإسرائيلي العشوائي للهجم الكنسي.

وأيضا، الغاضبون على أداء الفريق المحلي المفاوض خارج الحصار في هذه المرحلة، كانوا يتكاثرون خصوصا في أعقاب تشييع جثمان الشهيد عصام جوابرة في فورة رفع حظر التجول هذا اليوم، وما رافق ذلك من غضب شعبي.

ومن جهة أخرى لأن رئيس الفريق التفاوضي، بنى خطته التفاوضية على أساس الوهم والقناعة التي اقنع نفسه بها، ومفادها أن القوات الإسرائيلية ستقتحم الكنيسة في أي وقت، دون معرفة أو بتجاهل تام لتعهدات الحكومة الإسرائيلية وتحديدات تعهدات أرئيل شارون الشخصية لقداسة البابا في الفاتيكان، وللولايات المتحدة وبريطانيا بعدم الإقدام على دخول الكنيسة بعملية عسكرية.

كان رئيس الفريق التفاوضي يجاهر للأسف بهذا الوهم الخاص به، أو بالفريق المفاوض كله لوسائل الإعلام المختلفة، كاشفا للأعداء نقاط الضعف والاتجاهات الانفعالية لدى الفريق المحلي المفاوض، وهو ما استغله الكولونيل مارسيل أفيف رئيس الطاقم الإسرائيلي المفاوض جيدا وأحسن استخدامه في إضافة المزيد من الضغوط النفسية على المفاوضين والمحاصرين معاً.

لقد بدت تصريحات كهذه، والثابت أنها بحسن نية للأسف، كما لو كانت دعوة غير مباشرة للمحاصرين للاستسلام، وفي أحسن الأحوال كانت من الناحية السياسية تبريرا لتنازلاتٍ سيتم اعتمادها بشأن مستقبل المحاصرين.

وكذلك على المستوى الرسمي ها هي القيادة الفلسطينية على لسان نبيل أبو ردينة المستشار الإعلامي للرئيس عرفات تُوجّه للفريق المحلي المفاوض طعنة عميقة في ظهره بتصلها من شرعيته ومصداقيته واحتجاجها على بنيته، وكذلك استخفافها بدوره وما يمكن أن يتوصل إليه!!

هذه الأمور المؤسفة مجتمعة، ألحقت ضررا كبيرا ليس فقط بالفريق المحلي المفاوض، وإنما أيضا بقضية المحاصرين بشكل خاص، وأحدثت تشوشا كبيرا تسبب في خلط أوراق كثيرة على حساب القضية الوطنية بشكل عام.

كما أن هذه المواقف المؤسفة وغير الحكيمة تجاه الفريق المحلي المفاوض ، دفعت بالضباط الإسرائيليين ومن خلفهم حكومة الاحتلال ومخابراتها لإعادة النظر في أسلوب تعاملهم مع الفريق المحلي المفاوض.

وأضح في قادم الأيام بالفعل، بان الضباط الإسرائيليين قد تعاملوا باستهتار، ولم يقيموا وزناً في كثير من المواقف اللاحقة لممثلي الفريق المحلي المفاوض بعد الذي جرى. إن ما توفر من معلومات للكاتب هو أن عضو التشريعي صلاح التعمري وفور سماعه نبأ التصريحات المنسوبة إلى أبو ردينة بشأن الفريق المحلي المفاوض قد سارع للاتصال هاتفيا مع أبو ردينة ليستوضحه الأمر.

ولغايات إسكات التعمري أو ربما أخبروه بالحقيقة!!، وعلى لسان شخص مسؤل في مكتب الرئيس ياسر عرفات، قالوا له:

- هناك سوء فهم في الموضوع لا أكثر، وما تكبر هالقصة!!؟.

بعد الذي جرى ولإزالة مظاهر الإرباك في الموقف الفلسطيني، أو هكذا بدا الأمر في حينه، بادر مكتب الرئيس ياسر عرفات من جانبه، و طلب من الفريق المحلي المفاوض بالتفاوض من أجل:-

1- إخراج المدنيين من داخل الكنيسة تمشيا مع الاقتراحات الأميركية والأوروبية التي تم الاتفاق بشأنها خلال لقاءات وليام بيرنز من الخارجية الأميركية مع الرئيس ياسر عرفات.

2- مطالبة إسرائيل أن تسمح بإدخال الطعام للمحاصرين بحسب ما تم التوصل إليه خلال المداولات ذاتها مع الأميركيين والأوروبيين.

هذا المطلب القادم من رام الله، اعتبره الفريق المحلي المفاوضات ردة اعتبار له تفيد على المستوى الشعبي والإعلامي، واقتنع بأنه يحظى بثقة القيادة الفلسطينية ودعمها. لم ينتبه أي من أعضاء الفريق المحلي المفاوضات للدلالات، ولا للمغزى السياسي لهذا التكليف من مكتب الرئيس، ورأوا فيه فقط ما أحبوا أن يروه، مع انه أوضح لكل من عيراه في مقدمة رأسه أمرين في غاية الأهمية والخطورة وهما:
أولاً:- بأن هناك قناة مفاوضات أخرى قد تم التأسيس لها.

ثانياً:- أن الولايات المتحدة باقتراحها الذي أقرت أو أرغمت القيادة الفلسطينية على تبنيه والقاضي بإخراج المدنيين أولاً من داخل الحصار، قد هدف بوضوح إلى التأسيس لتجزئة بنية وجسم المحاصرين، والشروع بعملية التفكيك من الداخل.؟!.

إن اقتراح إخراج وتحرير المدنيين بمعزل عن قضية الحصار كان اقتراحاً أميركياً ذكياً، نظراً لما حمله من مخاطر كبيرة، حيث وافق المسئولون الفلسطينيون على تصنيف المحاصرين بفرز هويتهم، ليتدرج التصنيف لاحقاً ككرة الثلج.

فقد تدرج الجانب الفلسطيني من الحديث عن المحاصرين داخل الكنيسة كجسم واحد، وتربطهم قضية واحدة، وأن مصيرهم واحد، وانتقلوا لنغمة الحديث عن المحاصرين كشقين رجال الدين من جهة وشباب المقاومة من جهة أخرى.

ثم تطور الأمر في التدرج فانتقلوا لاستخدام مفاهيم جديدة وخطاب جديد، كالقول بان في كنيسة المهدي محاصرين مدنيين وعسكريين ورجال دين.

وتدرج الخطاب الفلسطيني أكثر فأكثر للإقرار أخيراً، ليس بوجود محاصرين مناضلين ضحايا القهر والظلم الإسرائيلي داخل كنيسة المهدي، سواء أكانوا مقاومة أو رجال دين، بل بوجود محاصرين مدنيين وأمنيين وعسكريين ورجال دين.

وهكذا تأسس الإطار لإحاطة شباب المقاومة - أو ما اصطلح على تسميتهم بالأمنيين حسب التعبير الفلسطيني و الإرهابيين بحسب التعبير الإسرائيلي - بخطر الانفراد

والبطش بهم بعد فصلهم عن بقية المحاصرين الذين ينتسبون لقوات الأمن الوطني وغيرها من قوات الأمن الفلسطيني بشكل عام أو عن المدنيين. وللتأكيد على شرعية الفريق المحلي المفاوض واستمراريته، أعلن **التعمري** عضو الفريق المحلي المفاوض، الذي يجمع بين عضويته في القيادة الفلسطينية والمجلس التشريعي الفلسطيني فقال:

- إن لقاءً تفاوضياً آخر سيجري يوم غد الأحد.

وفي اليوم التالي لعودة **صلاح التعمري** حيث قابل الرئيس ياسر عرفات في رام الله (الأحد 2002/4/28) أشاعت وسائل الإعلام الإسرائيلية الأنباء بأن القيادة الفلسطينية قد وافقت على إبعاد المطلوبين لإسرائيل من بين المحاصرين في **كنيسة المهد إلى اليونان**، الأمر الذي حفّز **صلاح التعمري** للتطوع على الفور، مدافعاً عن القيادة ونافياً ما قيل بقوة، ومحذراً الرأي العام قائلاً:

- هذه الأنباء إشاعات مصدرها حكومة الاحتلال الإسرائيلية ولا أساس لها من الصحة!!.

وما كان بالطبع لتلك الأنباء عن الإبعاد خارج الوطن - الإشاعات على رأي **التعمري** - أن تنتشر كالنار في الهشيم، لو لم يكن لها أساس في الواقع، ليتبين لاحقاً كم كان المثل الشعبي صادقاً بالقول "ما في دخان بدون نار".

وبالفعل، عاد المفاوضون الفلسطينيون والإسرائيليون للتفاوض من جديد يوم (الأحد 2002/4/28) في جلسة استغرقت أربع ساعات متواصلة دون التوصل إلى أية نتائج، اللهم الاتفاق على مواصلة التفاوض يوم غد الاثنين.

وفي هذا اليوم بالذات، أعلن **الرئيس ياسر عرفات** من مقره المحاصر في رام الله، موافقته على **الخطة الأميركية البريطانية**، ولكن دون الإشارة من قريب أو بعيد لتفاصيل ومضمون تلك الخطة، كعادة باقي المواقف الرسمية الفلسطينية في إخفاء المعلومات عن الشعب، وعدم احترام حقه في الإطلاع على المعلومات المتعلقة بمصيره.

وفي تصريح صحفي تم تعميمه في المساء بوساطة وكالة الأنباء الفلسطينية وفا ،
وأيضاً نشر على صفحة الانترنت الخاصة بالرئيس ياسر عرفات جاء فيه:
- إننا نتوقع مجيء الخبراء الأميركيين والبريطانيين غد (الاثنين 2002/4/29)
لإنهاء التفاصيل الفنية للخطة في وقت قصير جداً، ونأمل بان يقوم الخبراء بصفتهم
المرجع الوحيد بالعمل مع فريقنا ابتداءً من يوم غد بعد الظهر.
وأشار البلاغ الصحفي يقول:
- إن الرئيس ياسر عرفات اتفق مع الجانبين الأميركي والبريطاني على مواصلة
العمل لإنهاء الحصار والوضع المأساوي في كنيسة المهد.

استشهاد نضال عبيات

فجر (الاثنين 2002/4/29)، من كان نائماً في المدينة فقد استفاق لصلاة الفجر، أو
بسبب موجة البرد الشديد التي داهمت المدينة، أو استفاق جراء لعلعة الرصاص تطلقه
الرشاشات الثقيلة للمحتلين تجاه الكنيسة المحاصرة، أو أيقظه احد أفراد أسرته بعد
تعميم خبر استشهاد محاصر خامس في كنيسة المهد هو المناضل المعروف بخصاله
الحميدة وشجاعته في المواجهات مع العدو، نضال إسماعيل عبيات من كتائب شهداء
الأقصى جراء استهداف القناصة المحتلين له.

وكان الشهيد قد أنهى صلاة الفجر واضطر للمرور مسرعاً من الممر الكائن في
الطابق الثاني أمام الغرف باتجاه موقع الحراسة خاصته، وقبالة الجرسية حيث كان
القناصة على رافعة عالية فوق جرسية الكنيسة مباشرة، فأطلقوا النار عليه وأصابوه
برصاصة في القلب مباشرة، فتدافع الشبان لإنقاذه، ولم يسمعوا منه سوى النطق
بالشهادتين وقضى على الفور.

وعلى مدار اليوم، وفيما كانت تسمع أصوات الرصاص والقنابل والقذائف الإسرائيليّة تجاه الكنيسة المحاصرة، وفي أجواء الحزن والتوتر السائدة في الكنيسة والمحافظّة عموماً، بلغ لقاء الاثنين التفاوضي موعده.

فشل محاولة تعميم

الاتفاق بشأن احمد سعادات

وفي إطار البحث عن حلول وسط، حاول الفريق الفلسطيني خلال اللقاء الاستفادة من تجربة المفاوضات التي جرت في رام الله بحسب الاقتراحات الأميركية البريطانية التي ألزمَ بها جورج بوش الحكومة الإسرائيلية بشأن أحمد سعادات الأمين العام للجبهة الشعبية و فؤاد الشوبكي ، ومحاكمة الشبان المتهمين بقتل العنصري رجبام زئيفي وزير السياحة الإسرائيلي، حيث تقرر بحسب تلك المقترحات نقلهم جميعاً واعتقالهم في أريحا.

ومقابل ذلك، تقضي الصفقة بان يتم فك الحصار عن الرئيس ياسر عرفات عند تأكيد وصول احمد سعادات والشوبكي والمعتقلين الآخرين من الجبهة الشعبية إلى سجن أريحا ، لوضعهم تحت الحراسة الأميركية والبريطانية ، وهي الصفقة التي لم تكن قد نفذت حتى تلك اللحظة، ونفذت لاحقاً في الأول من أيار.

فاقترح الفريق الفلسطيني المفاوض إبعاد المطلوبين الـ (3%) الذين تزعم إسرائيل بوجودهم في كنيسة المهد إلى أريحا، وهي المدينة التي لم يكن قد شملها الاحتلال والإغلاق والحصار بعد، والقسم الآخر يتم إبعادهم إلى قطاع غزة.

الكولونيل مارسيل أفيف وبقية الضابط الإسرائيلي من جهتهم - ويبدو أنهم كانوا على علم بتفاصيل الاتفاق الذي جرى في رام الله - رفضوا الاقتراح الفلسطيني بشدة، وصرحوا بأنهم لن يقبلوا مطلقا فكرة تكرار تجربة احمد سعادات في رام الله، وشددوا على قبولهم فكرة إبعاد قسم من المحاصرين إلى غزة والقسم الآخر يتم تحريره والإفراج عنه، ويتم اعتقال المطلوبين لها لمحاكمتهم في محاكمها العسكرية أو إبعادهم للخارج.

وتبين في رد فعل الضباط الإسرائيليين المفاوضين في بيت لحم، والقائد الميداني لقوات الاحتلال في المدينة جو ليدن، كما لو أن قيادتهم السياسية في الحكومة الإسرائيلية خذلتهم بعقدتها الصفقة المتعلقة بإبعاد احمد سعادات والشوبكي والمتهمين الآخرين من شباب الجبهة الشعبية بقتل رجبام زئيفي إلى أريحا وحبسهم بإشراف بريطاني وأميركي، وشعروا كما لو أن قيادتهم السياسية في الحكومة الإسرائيلية ستسلب منهم فوزهم في هزيمة المحاصرين وكسر معنوياتهم وإرغامهم على الاستسلام، خاصة وان الحرب النفسية ضد المحاصرين في الكنيسة كانت قد بلغت في هذا الوقت أوجها.

كذلك، طرح الفريق الفلسطيني المفاوض على جدول الأعمال عدة قضايا وأهمها الاقتراح الأوروبي الأميركي بإخراج 26 مدنيا!! من المحاصرين في مقابل إدخال الطعام والماء والدواء للمحاصرين في الكنيسة.

الضباط الإسرائيليون المفاوضون من جانبهم، وافقوا على الاقتراح بما في ذلك الاتفاق على عدم اعتقال أي من الأشخاص الذين ينتسبون للأمن الوطني، وبدون إجراء تفتيش جسدي أو تشخيص لأي منهم.

لقد كان تقليل عدد المحاصرين بالنسبة لقوات الاحتلال والإفراج عن ما اصطلح على تسميتهم بـ "المدنيين" جزءا رئيسا في مساعدهم لتفكيك بنية المحاصرين السياسية والاجتماعية وصولا الى مرحلة ينفردون فيها بشباب المقاومة.

كان هذا هو الإنجاز الوحيد الذي تحقق في جلسة اليوم، مع ملاحظة، أن اللغة غير المحكية التي بدت في وجوه الضباط الإسرائيليين، وعكسها سلوكهم أثناء اللقاء التفاوضي، كانت لا تبشر بالخير وتتميز بعدائية مفضوحة، وبالفعل لم يلتزم المحتلون بما اتفق عليه بشأن إدخال الطعام للمحاصرين في الكنيسة.

ومن الجدير ذكره هنا، إلى أن الفريق الفلسطيني بذل جهوده طوال الوقت في الضغط على الجانب الإسرائيلي للقبول بمشاركة الارتباط العسكري الفلسطيني ممثلاً بالعقيد فاروق أمين، لحاجة الفريق التفاوضي إلى خبراته، خاصة عندما كان يجري الحديث عن آليات لتنفيذ ما يتم الاتفاق عليه بشأن القضايا ذات الصلة بالأمن الوطني الفلسطيني، وباعتبار الارتباط العسكري الجهة ذات الاختصاص بهذا الشأن، حيث كان الضباط الإسرائيليون يرفضون التعامل مع الارتباط العسكري حتى تلك اللحظة.

واسند المفاوضون الفلسطينيون موقفهم بالحاجة إلى جهة الاختصاص لمعالجة الجوانب الأمنية في عملية تحرير الأشخاص المتفق بالإفراج عنهم والبالغ عددهم (26) شخصا، كان من بينهم المقدم أبو محمد الجسر من قطاع غزة وينتسب لقوات الأمن الوطني الفلسطيني.

شروط الاتفاق بالإفراج عن (26) شخصا

- 1- مشاركة فعلية للارتباط العسكري الفلسطيني في ترتيبات الإفراج عن المحاصرين.
 - 2- يتم إخلاء المنتسبين للأمن الوطني الفلسطيني بدون إجراء أي تشخيص أو تفتيش جسدي ويغادرون من الكنيسة المحاصرة إلى منازلهم بأمان.
 - 3- عدم تفتيش أي شخص ممن سيغادرون الكنيسة أمامها أو في الباصات خلال الطريق إلى مستوطنة عتصيون، وان لا يتم التحقيق معهم.
 - 4- أن تتم عملية فحص بطاقات هوية المغادرين، فقط، للتحقق من أنهم غير مطلوبين لإسرائيل.
 - 5- الحصول على ضمانات أوروبية بتنفيذ الاتفاق وعدم خرق البنود السابقة، وبالفعل تعهد الأوروبيون هنا برعاية التنفيذ.
- وبالطبع، لم تلتزم قوات الاحتلال بتعهداتها واقتادت المفرج عنهم إلى مستوطنة كفار عتصيون التي تبعد (14 كيلو مترا) عن بيت لحم جنوبا حيث جرى التحقيق معهم وتعذيبهم والمساس بكرامتهم، والإبقاء على أربعة منهم رهن الاعتقال.

وفي أعقاب ما جرى، تم إبلاغ **أليستر كروك** منسق الأمن الأوروبي في القدس بالانتهاكات الإسرائيلية للاتفاق والتزام الجانب الفلسطيني بما تعهد به.

صلاح التعمري و**حنا ناصر** و**ميتري أبو عيطة** وحسب اتفاق داخل الفريق المحلي المفاوضات امتنعوا عن المشاركة في مفاوضات يوم (الثلاثاء 2002/4/30) مشترطين تنفيذ قوات الاحتلال تعهداتها بإدخال الطعام للمحاصرين، فشارك في المفاوضات فقط، كل من **أنطون سلمان** من داخل الحصار و**عماد النتشة** ممثل الارتباط المدني.

كان موقف **التعمري** وزملائه بخصوص موضوع الطعام هنا، هاما وحاسما وخطوة في المكان الصحيح، فمن جهة، كان حرمان المحاصرين من الطعام أهم وسائل الضغط النفسي والمعنوي على المحاصرين بيد قوات الاحتلال، الأمر الذي سيحبط المساعي الإسرائيلية ويحرمهم من أهم وسيلة ضغط على المحاصرين للاستسلام.

ومن جهة أخرى نجح **التعمري** في تمرسه وراء قضية الطعام والتمسك بها كشرط لمواصلة المفاوضات، في لفت نظر الرأي العام العالمي الرسمي والشعبي إلى انتهاكات إسرائيل للقوانين الدولية بهذا الشأن، وكان خطوة تفاوضية بجودة عالية.

فمن جهة، أثير الموضوع على نطاق محلي وعالمي، ومن جهة ثانية، فجأة تحول الحوار على إدخال الطعام للمحاصرين، لأهم قضية على جدول أعمال المفاوضات، والأهم هنا هو انه تم كسر اتجاهات المفاوضات الإسرائيلي وتوقعاته من خطط الضغط النفسي وفي صلبها حرمان المحاصرين من الطعام ولو إلى حد ما، ولو تم البناء على ذلك بخطوات تفاوضية موفقة أخرى لتم كسر صفة الانسجام والتكامل بين مختلف المطالب الإسرائيلية، وأيضا لتم كسر الانسجام والتكامل بين مختلف الإجراءات العسكرية المنفذة لتحقيق تلك المطالب.

وبالفعل، على ضوء الإحراج الذي وجدت إسرائيل نفسها فيه جراء إثارة موضوع الطعام، فان المحتلين في أعقاب ذلك، وفي وقت متأخر من مساء هذا اليوم، أعلنوا بأنهم ادخلوا الطعام من جانبهم للمحاصرين، فرد عليهم **صلاح التعمري** بمخاطبته وسائل الإعلام، مفندا الأكاذيب الإسرائيلية بهذا الشأن، وموضحا بأنه لا أساس من الصحة لمزاعم المحتلين.

وحقيقة الأمر، انه بعد منتصف تلك الليلة، وبعد اتصالات دولية أهما جهود **الفاتيكان**، فوجئ الفريق المحلي المفاوض باتصال هاتفي من القائد الميداني لقوات الاحتلال في بيت لحم مع **عماد النتشة** ممثل الارتباط الفلسطيني وعضو الفريق المحلي المفاوض يبلغه بان الجنود الإسرائيليين قد وضعوا الطعام للمحاصرين أمام مدخل **الكنيسة** الرئيس، وقال له:

- **اتصل بالمحاصرين كي يدخلونه!!**.

وحين أطل **أنطون سلمان** من خلف باب **الكنيسة** الصغير ليرى ما احضره الجنود، وإذا بهم فعليا قد وضعوا كمية من الطعام لا تسمن ولا تغني من جوع، وبالكد تكفي لعشرة من المحاصرين، فرفض إدخالها وأغلق الباب خلفه. ومع ذلك، عاود الإسرائيليون الاتصال ليعلنوا بأنهم زادوا كمية الطعام أربعة أضعاف ما كان موجودا تقريبا، وكانت هذه أول كمية طعام تدخل من باب **الكنيسة** الرئيس للمحاصرين، مع مراعاة أنها أدخلت كوجبات طعام لرجال الدين، والذين بدورهم تقاسموها مع المحاصرين كالعادة.

وفي يوم **الأول من أيار**، عيد العمال العالمي (**الأربعاء 2002/5/1**) وصل وفد **قداسة البابا** إلى القدس وعلى رأسه نيافة الكاردينال **روجيه أتشي غاري** لمتابعة الجهود الدبلوماسية من اجل إنهاء الحصار الذي طال حول **كنيسة المهدي**، علما بأن وسائل الإعلام ركزت على أن هدف الزيارة يقتصر على إقامة قداس من اجل السلام في المنطقة، والصلاة لصالح **الكنيسة** والمحاصرين فيها.

وصول نيافة الكاردينال **روجيه أتشي غاري** للمنطقة، سبقه في ساعات الفجر من نفس اليوم، الهجوم الإسرائيلي على **كنيسة المهدي**، بإطلاقها القنابل المضيفة في سماء الموقع، وإطلاق قنابل الدخان متعددة الألوان، وتحريك دباباتها وآلياتها المجنزرة في محيط **المجمع الكنسي** وهي تطلق النار من رشاشاتها الثقيلة على جدران **الكنيسة** القوية، وبتجاه نوافذها في محاولة للإيحاء للمحاصرين بالشروع في هجوم عسكري واقتحام شامل **للكنيسة**، ولكن في إطار خطة متكاملة لتحقيق الضغط النفسي على المحاصرين لدفعهم على الاستسلام.

الهجوم الإسرائيلي تسبب في اشتعال الحرائق في غرف السكن الخاصة بالرهبان الفرنسيين والروم أيضا، مما أثار ضجة إعلامية محلية وعالمية ضد الحصار الإسرائيلي للكنيسة.

وفي ساعات الصباح، وفي أعقاب الهجوم الأخير على الكنيسة وجّه أهالي المحاصرين نداءً للرأي العام وللمنظمات الحقوقية الدولية حذروا فيه من العواقب الوخيمة للحصار ومن الخطر المحيط بأبنائهم وبالمقدسات المسيحية والإسلامية في المدينة، وجاء في البيان:

- إن ما يحدث ضد كنيسة المهدي هو مساس أخلاقي وقيمي وديني بمشاعر الأمم جمعاء.

وأوضح بيان أهالي المحاصرين يقول:

- إن قوات الاحتلال الإسرائيلي في بيت لحم حولت كنيسة المهدي إلى حلبة للقتل والتجويع.

وفي أعقاب بيان الأهالي وردود فعل الفاتيكان، والضجة الإعلامية على ما تناقلته وسائل الإعلام، واستنادا إلى توجيهات من الحكومة الإسرائيلية نفسها، سارع الضباط الإسرائيليون في الموقع بدعوة وسائل الإعلام والفضائيات العربية والعالمية لعقد مؤتمر صحفي في أحد قاعات مركز السلام.

وخلال المؤتمر الصحفي، عرض ضباط الاحتلال صور الهجوم الذي صورته الكاميرات الموضوعة في مختلف المواقع حول المجمع الكنسي، ليثبتوا للعالم انه لم يكن هناك أية محاولة لاقتحام الكنيسة، وان ما جرى فقط هو استخدام وتنفيذ خطة هدفها الترويع والضغط النفسي على المحاصرين، وان القنابل المستخدمة هي فقط

قنابل إضاءة أو قنابل صوت أو قنابل دخانية ملونة توهي بوجود هجوم عسكري!! الصحفيون لم يقتنعوا بالتبرير الإسرائيلي، وسألوا الكولونيل أفيف، ماذا عن الحرائق التي نشبت في غرف السكن الخاصة بالرهبان خلال الهجوم؟

أجاب الكولونيل الإسرائيلي معربا عن الأسف، وزعم يقول:

- إننا نحترم الأماكن المقدسة وليس بنيتنا الهجوم على الكنيسة، إننا نريد فقط تحرير الرهائن والقبض على المطلوبين.

واستطرد الكولونيل يجيب الصحفيين بشأن الحريق بقوله:

- ولكن... هذا ما جرى!!.

وبالطبع كان واضحا للصحفيين محاولة الضابط الإسرائيلي التملص من المسؤولية،

لكنه لم يستطع إخفاء الرغبة الإسرائيلية في نسف الجهود الدبلوماسية التي كانت

تتعاطم خاصة وأنه أعلن عن أن قداسة البابا سيوفد وفدا رفيعا للمنطقة، ومن المقرر

أن يصل هذا اليوم بالتحديد إلى القدس ولربما حضر إلى بيت لحم نفسها.

وفي وقت متأخر من مساء نفس اليوم الأربعاء، وعلى امتداد الساعات الأولى من فجر

اليوم التالي (الخميس 2002/5/2) وخلال النهار أيضا، وإن بشكل متقطع، شنت

قوات الاحتلال (وكأنها تسابق الزمن) هجوما جديدا على الكنيسة.

خيّل للمراقبين وللصحفيين بان قوات الاحتلال خلال الهجوم قد داهمت بالفعل كنيسة

المهد، تحت مظلة الادعاء الذي روجه الكولونيل الإسرائيلي المفاوض في المؤتمر

الصحفي يوم أمس الأربعاء وصدقه على الأقل مراسل أل (CNN)، الزاعم بان ما

يحدث لا يزيد عن كونه استخداما فنيا للقوة العسكرية المتوفرة في الحرب النفسية

المتواصلة ضد المحاصرين للاستسلام.

وبسبب هذا الهجوم الجديد على الكنيسة، اشتعلت الحرائق في المجمع الكنسي من

جديد، وتحديدا، في غرفة تعود إلى دير الروم الأرثوذكس.

توالى سقوط الشهداء والجرحى بين المحاصرين، فسقط شهيد سادس هو محمد حمدان

أبو عابد وإصابة أربعة محاصرين بجروح ما بين متوسطة وخطيرة.

محمد أبو عابد استشهد وهو يحاول الوصول من موقع الحصار للحدائق الداخلية

المكشوفة في المجمع الكنسي كي يلتقط الطعام الذي ترميه الأمهات والأخوات

الفلسطينيات في الجوار وإحضاره لزملائه المحاصرين الذين لم يذق أي منهم طعاما أو

شرابا منذ ثلاثة أيام، فقرر اقتداء رفاقه المحاصرين والتطوع لإطعامهم، فتصيبه ست

رصاصات غادرة من احد القناصة الإسرائيليين.

حركة فتح في محافظة بيت لحم، اعتبرت حصار كنيسة المهد ومحاولات اقتحامها والهجوم الجديد لقوات الاحتلال ضد المحاصرين جرائم حرب.

ووصفت الحركة في بيانها أرئيل شارون رئيس الحكومة الإسرائيلية تقول:

- إنه سيد المذابح الدموية في التاريخ المعاصر.

أما بخصوص الاتصالات الدبلوماسية المكثفة حول فك الحصار وبخصوص ما رشح

من معلومات حول الموافقة الفلسطينية على اعتقالهم أو إبعادهم للخارج فقد حذرت

حركة فتح تقول:-

- إن الحركة لن تسمح بتسليم مقاتلينا ومناضلينا للمحاكم العسكرية الصهيونية،

ولن تسمح بالمساومة عليهم.

الرئيس ياسر عرفات من جهته وصف ما جرى فجر اليوم وخلال النهار من اعتداءات

على كنيسة المهد بقوله:-

- إنها جريمة بشعة لا يجوز السكوت عليها.

الهجوم الإسرائيلي مثل تحديا لكل الجهود الدبلوماسية المبذولة دوليا للتوصل إلى

اتفاق، وتحديا للمقترحات البريطانية الأميركية التي أعلن الرئيس ياسر عرفات موافقته

عليها قبل أربعة أيام، بالإضافة إلى أن الهجوم مثل استخفافا بالفاتيكان وهيبته، والذي

أوفد مبعوثه البابوي الكاردينال روجيه أتشي غاري إلى المنطقة للمشاركة في

الاتصالات الجارية من أجل إنهاء الحصار على الكنيسة.

مراقبون أعربوا في حينه عن أن الهجوم الإسرائيلي جاء للضغط على الجانب

الفلسطيني المفاوض في القناة السرية للإسراع بتنفيذ الخطة الأميركية - البريطانية من

جهة، ومن جهة أخرى، كي لا يترك الضباط في قوات الاحتلال أي وقت للطرف

الفلسطيني لاقتراح أي تعديل على الخطة، عند الجلوس لبحث التفاصيل الفنية للتنفيذ،

ولكي تكون الخاتمة حسب ما تشتهي نفس العسكر المحتلين في مدينة بيت لحم.

وعلى الصعيد الفلسطيني، ومع أن المواجهة كانت تشدد في كنيسة المهد وباقي

محافظات الوطن، شهدنا للأسف تصدعا في الموقف الفلسطيني، وشرخا في وحدته،

على الأقل، فيما ظهر من مواقف رسمية معلنة للقوى السياسية الفلسطينية إذ صرّحت
تندّد بالصفقة الخاصة بشأن رفع الحصار عن مقر الرئيس ياسر عرفات.

لماذا أعلن التعمري استقالة الفريق المحلي للمفاوض

إن أبرز مظاهر الاستخفاف الإسرائيلي بالوفد الفلسطيني المحلي في أعقاب تصريحات
نبيل أبو ردينة المستشار الإعلامي للرئيس هو ما شهدناه في جلسة يوم (الجمعة
2002 / 5/3).

كانت الساعة تقترب من الثانية بعد الظهر، وحيث وصل أعضاء الفريق للمفاوض
صلاح التعمري وحنا ناصر وعماد النتشة لمبنى مركز السلام في مركز المدينة.
وفي سياق الجلسة طالب الفريق الفلسطيني نظراً لهم الإسرائيليين بتنفيذ ما تم الاتفاق
عليه وبتدخلات دولية مع مكتب الرئيس في رام الله بتوفير الطعام للمحاصرين ، وأن
يسمح للتعمري بدخول الكنيسة.

في هذه اللحظة من عرض المطالب الفلسطينية ، وإذا بشخصٍ إسرائيلي يدخل لمكان
اللقاء وهو يرتدي زياً مدنياً، ومن غير المؤلف رؤية احد بذلك وسط العسكر جنود
الاحتلال باستثناء أعضاء الفريق الفلسطيني للمفاوض.

نظر الشخص الدخيل على اللقاء إلى ممثلي الفريق الفلسطيني للمفاوض معرّفاً على
نفسه:-

أنا عوفر ضابط مخابرات إسرائيلي. وتابع يقول موجهاً حديثه لعضو التشريعي التعمري
يقول له:

- أنت غير مسموح لك بالدخول للكنيسة ولا لأي شخص آخر.

وحين اعترض التعمري على دخوله مكان المفاوضات واحتج على تدخله السافر، عاد
المدعو عوفر وقاطع النقاش ووجه حديثه للفريق الفلسطيني يقول لهم:

- إذا أردتم دخولا الكنيسة، أمامكم مهمة واحدة فقط، هي إحضار قائمة بأسماء جميع المحاصرين!.

رد عليه صلاح التعمري:

- هذا مخالف لما تم الاتفاق عليه.

وعنى التعمري هنا، الاتفاق بشأن تحرير المدنيين وإدخال الطعام للمحاصرين بحسب المقترحات الأميركية البريطانية.

وزاد التعمري محتجاً بشدة على تدخل المخابرات الإسرائيلية السافر في توجيه المفاوضات، ووجه حديثه للضباط الإسرائيليين يطالبهم باحترام كلمتهم.

المدعو عوفر، واجه سخط التعمري بابتسامة هادئة، وعاد يقاطع صلاح التعمري قائلاً:

- أنتم غير مخولين بالتفاوض من قبل القيادة الفلسطينية، وهناك قناة أخرى

نتفاوض معها - أي المخابرات الإسرائيلية - بوساطة الأميركيان (C.I.A) مع محمد

رشيد، وأنتم مهتمكم في بيت لحم انتهت . مع السلامة . (المقصود هنا محمد رشيد

المعروف باسم خالد إسلام ، ويعمل مستشاراً للرئيس ياسر عرفات . والذي يدير أكبر

الشركات الاحتكارية في السلطة الفلسطينية، وهي الشركة الفلسطينية للخدمات التجارية

التي تسيطر على قطاع البناء).

صُعق صلاح التعمري واحمر وجهه، وبأعجوبة تما لك أعصابه بحسب شهود العيان

الذين التقاهم بعد وقت قصير من الحادث، واستشاط السادة حنا ناصر و عماد أنتشه

غضباً ولملموا أنفسهم، وبالكاد حملتهم مفاصلهم من القهر، وغادروا مبنى مركز السلام

كلّ عائد إلى بيته. وقد هاتف أعضاء الوفد زميلهم أنطون سلمان وآخرين في الحصار

داخل الكنيسة لإطلاعهم على ما جرى حيث طو لب صلاح التعمري بالتريث ومعالجة

الموضوع بحكمة وعدم انفعال، وان لا يتسرع في اتخاذ موقف قبل التحقق والاستيضاح

من مكتب الرئيس ياسر عرفات في رام الله حول ما قيل في الجلسة.

وهكذا، جرى تأكيد النبأ بأنه تم اعتماد قناة تفاوضية أخرى من وراء ظهر الوفد المحلي

التفاوض في بيت لحم، ودون التنسيق أو التشاور معه.

على ضوء طعنة الظهر الثانية من قبل القيادة الفلسطينية للفريق المحلي المفاوض، أقدم صلاح التعمري على إعلان استقالة الفريق المفاوض بمن فيهم حنا ناصر رئيس بلدية بيت لحم ومثري أبو عيطة وزير السياحة في السلطة الوطنية الفلسطينية احتجاجاً على هذا الخذلان يوم (الجمعة 2002/5/3).

أما بخصوص استمرار أنطون سلمان وعماد النتشة في واجهة المفاوضات بعد هذا التاريخ، فذلك لأنَّ الأول شكَّل حلقة الوصل مع المحاصرين لوجوده معهم، و النتشة مثلاً الارتباط المدني الفلسطيني في المحافظة.

وهكذا، لم نعد نرى الفريق الفلسطيني المحلي المفاوض ما بعد الثالث من أيار، وهي الأيام التي أطلق عليها مصطلح المفاوضات النهائية.

إن إعلان صلاح التعمري بتخلي فريقه عن متابعة موضوع الحصار على كنيسة المهدي، واستقالة الفريق المحلي المفاوض كله، وإعلانه بان فريقاً آخر يدير مفاوضات سرية وبأن هذا الفريق السري قد أعدَّ قائمة بأسماء المحاصرين ومُنوِّهاً إلى انه وفريقه كانا قد رفضا ذلك.

هذا الإعلان، فتح الباب على مصراعيه للمخاوف على مصير ومستقبل المحاصرين في الكنيسة، خاصة في ضوء ما عرف حتى اللحظة عن صفقة فك الحصار عن مقر الرئيس في مبنى المقاطعة في رام الله، وهي على الأقل صفقة مثار جدل في الأوساط الشعبية والرسمية الفلسطينية حالياً وربما ستظل كذلك لوقت طويل في المستقبل. لقد كانت المفاوضات السرية في الوجدان الفلسطيني أمراً خطيراً على مر الزمن، أمراً، ارتبط فقط بوجود خطأ ما، أو بالتنازلات أو بالتقريب بحقوق الشعب.

وأقنعت التجربة الطويلة الشعب الفلسطيني في نضاله المر والصعب ضد أعدائه على مدى القرن العشرين، لطالما انه صاحب قضية واضحة، وعدالتها محسومة، ولا يختلف عليها اثنان بينهما ضمير، فلماذا يتم اللجوء للقنوات والحوارات السرية التي لا ينتفع من نمطها غير أعداء الشعب فقط، وبسط مظاهر استفادة الأعداء منها، هو أنها تثير ألقال والقييل، وتفتح الباب للشائعات والانشقاقات الداخلية بسبب تعدد الإجهادات بشأنها؟

إن ما زاد الطين بلةً في هذه الحالة بالذات، هو أن القيادة الفلسطينية للأسف الشديد، وخلال المرحلة المنصرمة كلها، أي منذ أن شرعت بالحوار السري حول اتفاق أوسلو، وهي تعمد لإخفاء المعلومات عن الشعب، لدرجة أن المواطنين والصحفيين أنفسهم حصلوا على المعلومات بشأن معظم اتفاقات أوسلو ونصوصها من مصادر غير فلسطينية، الأمر الذي كرس الريبة بكل مفاوضات سرّية، وتجدّرت الاتجاهات السلبية نحوها في الوجدان الفلسطيني، فظهرت هذه الاتجاهات فوراً وعبرت عن نفسها تجاه المفاوضات السرية بشأن حصار كنيسة المهد.

الإسرائيليون وإن كان لقاء المفاوضات في بيت لحم قد فشل واستقال الفريق المفاوض، فقد أعلنت وسائل الإعلام الإسرائيلية أن السيد محمد رشيد وفلسطينيين آخرين هم محمد دحلان رئيس جهاز الأمن الوقائي السابق في غزة والوزير نبيل قسيس الذي كان قد ترأس هيئة مشروع بيت لحم ألفين، قد عقدوا جلسة بديلة في نفس اليوم في القدس برعاية أميركية وأن أزمة حصار كنيسة المهد في طريقها إلى الحل النهائي. وفي اليوم التالي لاستقالة الفريق المفاوض، (السبت 2002/5/4)، جدّدت قوات الاحتلال الإسرائيلية استهدافها للكنيسة والمحاصرين بسيناريو جديد، بالتركيز على استخدام الرشاشات الثقيلة كما لو أنها تقول للمحاصرين لن تتفككم أية مفاوضات، لا العلنية ولا السرية، وليس أمامكم أي خيار سوى خيار الاستسلام.

ومن الواضح أن رسالة قوات الاحتلال في هذا الوقت بالذات كانت بليغة وقوية، فهي إلى جانب ما ذُكر أعلاه، أفهّمت المحاصرين بأنها لا تقيم وزناً لأي مقدسات أيا كانت مسيحية أو إسلامية، ولا تعير اهتماماً لأي بعد ديني خاصة وإن أهالي المحافظة من الطوائف الشرقية كانوا يحتفلون - ولكن بحزن شديد - بأعياد الفصح المجيد في ظروف منعهم من الوصول إلى كنيسة المهد.

كما نكثت قوات الاحتلال بوعودها والتزاماتها بإدخال الطعام للمحاصرين في إطار الشدّ لتحسين مركزها التفاوضي الجاري مع فريق محمد رشيد التفاوضي حول الأمور الفنية المتعلقة بتنفيذ المقترحات الأميركية بشأن فك وإنهاء الحصار على الكنيسة، وفي صلبه الإصرار الإسرائيلي على اعتقال أو إبعاد المطلوبين وطردهم من وطنهم.

وجراء هذا الهجوم الغادر أعلن في الكنيسة عن استشهاد خلف أحمد سليمان ناجرة وإصابة عدد آخر من المحاصرين بجروح مختلفة.

وفي زحمة المقاومة وتطبيب الجراح داخل الكنيسة رنَّ الهاتف الخليوي الذي يحمله المحامي أنطون سلمان ، وإذا بالمتحدث مسئول كبير في أجهزة الأمن في السلطة الوطنية الفلسطينية يطالبه بإعداد قائمة بأسماء المحاصرين.

كان الهاتف هو الإشارة الأولى على صحة الإنباء عن موافقة القيادة الفلسطينية على تسليم قائمة بأسماء المحاصرين للعدو، وعن موافقة الرئيس ياسر عرفات شخصياً على اتفاق طرد المطلوبين من وطنهم للخارج، وأن النبأ لم يعد مجرد إشاعة بل حقيقة قائمة.

وأعلن في وسائل الإعلام الإسرائيلية كذلك عن أن مجموعة أخرى من المحاصرين المطلوبين الأقل خطراً بحسب التصنيفات الإسرائيلية ، سيتم إعادها إلى قطاع غزة أيضاً.

وبحسب شهود العيان الذين تواجدوا لحظة الاتصال في المكان فإن أنطون سلمان أجاب الطرف الآخر على الهاتف قائلاً:
- آسف، أنت تتصل بالشخص الخطأ.

وقيل على لسان شهود العيان بان أنطون سلمان حاول إقناع الشخص على الطرف الثاني من الخط الهاتفي بالعدول عن هذا الإجراء، نظراً لخطورته على شباب المقاومة، مذكراً إياه خلال الحديث:

- إن الإسرائيليين حتى هذه اللحظة ليست لديهم أية معلومات عن من هم داخل الكنيسة المحاصرة رغم معرفتهم ببعض الأسماء التي أفصحت من تلقاء نفسها عن هويتها في أحاديث عبر الهاتف مع المراسلين الصحفيين ، أو لمحطات التلفزة المحلية والعالمية.

في أعقاب هذا الاتصال الهاتفي مع أنطون سلمان ، وبشهادة العديد ممن قابلناهم ، خاطب سلمان المحاصرين محاولاً إقناعهم برفض فكرة إعداد قائمة بأسماء المحاصرين وتسليمها للإسرائيليين.

ولكن لسوء الحظ، اتصل هذا المسئول الأمني بأشخاص آخرين من المحاصرين ، وبعضهم حتى مع وجود الاحتلال على صدورنا وصدورهم، يواصلون اعتقادهم بأن لهم وزناً كبيراً في هذه المحافظة، ويهددون بقلع عين كل من يُقدّم على انتقاد السلطة!!؟، مطالباً إياهم بإعداد وتحضير القوائم المطلوبة التي تصنّف هذا عن ذلك، ولأي جهاز أو مؤسسة يتبع أو ينتمي، بما في ذلك التصنيف من هو أمني وغير أمني.

وبرغم هذه التطورات الدرامية ببلوغ الموقف الفلسطيني مرحلة التنازل عن حقه البقاء في وطنه ، وهو ما يمكن استنتاجه من الجاهزية الفلسطينية بتقديم أسماء المحاصرين للعدو كي يقرر مصيرهم ويختار هو من يبقيه في وطنه ومن سيطرده منه، ومما أشيع عن حصول تقدم في المفاوضات السرية.

في صباح اليوم التالي (الأحد 2002/5/5)، أعلن الناطق العسكري لقوات الاحتلال في مدينة بيت لحم ، يكرر ديباجة الجاهزية الإسرائيلية وتهيئها لاقتحام كنيسة المهد مضيفاً:

- إن طواقم الجيش الخاصة قد بدأت في التحضير لعملية الاقتحام.

ولكي يرتدي تهديده مظهراً حضارياً بمقاييس الاحتلال الإسرائيلي بالطبع، استدرك موضحاً يقول:

- إن خطة الاقتحام ستظهر إلى حيز التنفيذ فجأة وفي لحظة ستكون مصيرية ولكن القوات ستعطي المفاوضات فرصتها لاستنفاد كل الامكانيات المتاحة.

لقد عكس هذا التصريح مدى الاستخفاف الإسرائيلي بالعقل الفلسطيني وبالرأي العام، ومن سمع هذا التصريح بدا له الأمر وكأن قوات الاحتلال قد احتلت بيت لحم وحاصرت الكنيسة، فقط منذ أيام وليس منذ شهر، وها هي الآن قد استكملت استعداداتها لعملية الاقتحام بعد استكمالها لعملية الاحتلال!!.

هذا الاستخفاف من جانب المحتلين الإسرائيليين، وإن كان يندرج بالطبع في إطار الضغوط والحرب النفسية ضد المحاصرين وشعبهم، لكنه عكس أيضاً محاولات

إسرائيل بأن تستفيد إلى أقصى حد من عدم إقدام المسؤولين الفلسطينيين على إطلاع

شعبهم بحقيقة ما يجري وبتفاصيل المفاوضات السرية حول الكنيسة والمحاصرين وما آلت إليه تلك المفاوضات المتعلقة بمصيرهم.

إن من الضروري الإشارة هنا إلى أن الفريق الفلسطيني المحلي المفاوض الذي رأسه صلاح التعمري قد قدّم تجربة جديدة في المفاوضات - ولو بشكل تلقائي غير مبرمج - حيث كان المحاصرون والشعب على معرفة بجزء كبير من المعلومات المتعلقة بسير المفاوضات، وهو سلوك ايجابي يجب التوقف عنده برغم أن المعلومات المقدمة لم تكن كاملة.

لقد لزم الشعب الصمت على هذا القدر من المعلومات لتفهمه حاجة التعمري للموازنة بين صفته رئيساً للفريق المحلي المفاوض من جهة، ومن جهة أخرى كونه عضواً في القيادة الفلسطينية التي تعودت مع الوقت على إخفاء المعلومات عن الشعب وعدم مصارحته بها، وأصبح ذلك جزءاً من سلوكها السياسي في التعامل مع شعبها مثلها مثل أي سلطة تنفيذية في العالم تميل إلى حجب المعلومات عن الشعب متناسية أن تلك المقاييس التي تنطبق على كل من في هذا العالم لا تنطبق على شعبنا وتجربته وطبيعة المهام المدرجة على جدول أعماله! .

الاتفاق على إنهاء حصار كنيسة المهد

يوم (الاثنين 2002/5/6)، لم تعد الموافقة الفلسطينية على إبعاد المحاصرين إلى قطاع غزة والخارج سرا، وتم الإعلان في وسائل الإعلام المحلية والإسرائيلية والعالمية فعلا عن بعض تفاصيل الصفقة لحل وإنهاء الحصار حول كنيسة المهدي.

كما تناقلت وسائل الإعلام نبأ مغادرة محمد رشيد إلى القاهرة ومحمد الدحلان إلى غزة فور إبرام الاتفاق على ترحيل المحاصرين إلى الخارج وغزة، وان محمد رشيد أرسل ما سمي مذكرة تفاهم للرئيس عرفات، ليس من رام الله أو القدس، بل من القاهرة وبوساطة الفاكس حسب مختلف مصادر المعلومات التي لم تؤكد لها أو تنفيها أية جهة رسمية في مكتب الرئيس.

وحتى الآن، لم تعرف الأسباب التي دعت الرئيس ياسر عرفات للموافقة على مذكرة التفاهم وهو أكثر العارفين بتعارض نصوصها مع الثوابت الفلسطينية والاهم تعارضها الصارخ مع مبادئ القانون الدولي.

المعلومات المتسربة عبر بعض مراكز القوى المحيطة بالرئيس قالت:

- إنه كان متضايقا جداً من تفاصيلها ومن طريقة إرسالها له.

وأضافت تلك المصادر أن مذكرة التفاهم بشأن فك الحصار عن كنيسة المهدي، نفذت دون أن يوقع عليها الرئيس.

كما أعلن في كنيسة المهدي اليوم عن إبلاغهم من قبل مكتب الرئيس ياسر عرفات بقراره تشكيل لجنة ثلاثية للإشراف على تنفيذ بنود مذكرة التفاهم، وبشكل خاص للاتفاق على التفاصيل الفنية المتعلقة بالمذكرة ومن ذلك كيفية خروج المحاصرين من الكنيسة، والأسماء المرشحة للإبعاد إلى غزة وتلك التي سيتقرر إبعادها إلى الخارج. حول هذه التطورات أصدرت حركة فتح في الضفة الغربية بيانا أوضحت فيه موقفها الراض لمبدأ الإبعاد وقالت:

- إن الصفقة تمنح الشرعية القانونية لمنطق الاحتلال في سياسة الإبعاد والنفى.

وطالبت حركة فتح في بيانها أيضا الرئيس ياسر عرفات بعدم المصادقة على الصفقة ومحاسبة المسؤولين عنها.

المحاصرون في كنيسة المهدي اضطروا حسب تصريحات الغالبية بينهم للموافقة على أن تُدرجَ أسماؤهم بقائمة تقدّم للإسرائيليين خاصة حين تقدم مسئولون في السلطة الفلسطينية بطلبها من المحاصرين.

وعلى ضوء ما أعلن عن رضا وموافقة المحاصرين على مذكرة التفاهم، فقد نفى بعض المحاصرين موافقتهم على اتفاق إبعادهم ومن بينهم المحاصرين المنتسبين إلى حركة حماس وبعض كوادر حركة فتح.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن أُل (BBC) البريطانية نشرت في وقت لاحق توضيحا على لسان عبد الله داوود مدير المخابرات العامة في بيت لحم الذي ابعد لخارج الوطن يوم 2002/5/24 يدافع فيه عن القيادة الفلسطينية قال فيه:

- إن الرئيس عرفات رفض فكرة واقتراح الإبعاد من حيث المبدأ.

وأوضح عبد الله داوود في تصريحه الصحفي مدافعا عن الرئيس ياسر عرفات في وجه الاتهامات بأنه تخلى عن شعبه بصفقة فك الحصار عنه فقال:

- إن اقتراح الإبعاد قد جاء بمبادرة من المبعدين أنفسهم ونحن الذين نتحمل المسؤولية وليس الرئيس عرفات.

وفعلا، فإن نسخة مذكرة التفاهم التي وردت ل مدينة بيت لحم ، وتم التعاطي معها لتنفيذها، لم تكن موقعة من الرئيس ياسر عرفات حسب شهادة بعض المسئولين في بيت لحم عن عملية التنفيذ لبنود المذكرة.

وفي صباح يوم (الثلاثاء 2002/5/7) أعلن محمد المدني محافظ بيت لحم رسميا من داخل الكنيسة المحاصرة بأنه قد تم فعلا التوصل إلى اتفاق بشأن إنهاء الحصار على الكنيسة وأوضح المدني في تصريح لوسائل الإعلام بوساطة الهاتف الخليوي بان مسئولين فلسطينيين قد دخلوا للكنيسة المحاصرة لإبلاغ المحاصرين بالاتفاق.

وفي إطار تنفيذ الاتفاق على إنهاء الحصار كانت قوات الاحتلال قد سهّلت فعلا الطريق أمام ربحي عرفات شقيق الرئيس ياسر عرفات كي يصل إلى بيت لحم والدخول إلى كنيسة المهدي المحاصرة لمقابلة المحاصرين واستلام القائمة بأسمائهم وإطلاعهم على عناوين الاتفاق الوارد في مذكرة التفاهم.

بنود مذكرات التفاهم

حاول الإسرائيليون تحريف بنود المذكرة فطالبوا بان يخرج المحاصرون كل يحمل سلاح هراًفعاً يديه فوق رأسه ، وهو الطلب الذي تصدى له المسئولون في بيت لحم ولم ينفذ، وأسقط الطلب خلال المداولات مع المحتلين من قبل ممثلي الارتباط المدني والعسكري الفلسطينيين في بيت لحم وقادة أجهزة الأمن الفلسطيني في المحافظة. وقد أفرجَ عن 85 محاصراً على أن يتم تشخيصهم في مستوطنة " كفار عتصيون " للتحقق مما إذا كان بعضهم متورطاً - حسب التعبير الإسرائيلي - في أعمال المقاومة حيث تم احتجاز واعتقال كل من السيد خليل خميس وأحمد كنعان علما بأنهما يحملان جوازات سفر أردنية. واتفق على أن يذهب سلاح المحاصرين للجانب الأميركي لفحصه ولمعرفة ما إذا كان يخص السلطة الفلسطينية أم لا، وان تتم إعادة الأسلحة لاحقاً للسلطة الفلسطينية!!.

وبقية البنود معروفة للرأي العام المحلي والعربي والدولي القاضية بإبعاد (13) محاصراً إلى دول أوروبية و (26) إلى قطاع غزة(طالع الملاحق)، حيث تم تسجيل سابقة تتعارض مع مبادئ القانون الدولي ومبادئ حقوق الإنسان.

يوم اسود في تاريخ بيت لحم

الساعة السادسة والنصف من يوم الجمعة العاشر من أيار 2002، شاهد الرأي العام في جميع أنحاء العالم المحاصرين وهم يخرجون من الكنيسة، يحزنون ظهورهم للخروج من الباب الصغير لكنيسة المهدي.

كان عبد الله داود مدير المخابرات العامة في بيت لحم أول الطالعين من حصار الكنيسة إلى حصار الحافلة الإسرائيلية، وعلى رقبتة كوفية فلسطينية تدلت على صدره.

تقدم عبد الله مرفوع الهامة وبين شفثيه سيجارة، كان يمشي ببطء ، وعلى يمينه الأب إبراهيم فلتس، يرافقه من باب الكنيسة الصغير وحتى محطة التفتيش الإلكترونية على بداية بلاط الكنيسة.

وبرغم شوقه لرؤية فضاء المدينة وأولئك الذين يعتلون سطح البلدية ودار المالية في الجوار، جمع من الأمهات والأخوات والمراسلين، فقد كان ينظر باستمرار للأب إبراهيم فلتس، كما لو كان يبلغه:-

- أنت "كريفي (*).

فلقد نشأت ونمت علاقة كفاحية خاصة بين عبد الله داود وبقية المحاصرين من جهة، والأب إبراهيم فلتس راعي كنيسة اللاتين من جهة ثانية، وبمقدور كل عشاق الحرية فهم معانيها، ولربما أكثر من غيرهم.

وكانَ مطر، مرة أخرى هطل المطر، مطر في اليوم الأول للحصار، ومطر في اليوم الأخير للحصار!.

أي مصادفة؟

والمطر ليس صديقا لمدينتنا وبلدنا في هذا الوقت. مطر ترك ظلالة على عدسات الكاميرات التي تخص مراسلي الفضائيات.

مطر يُوثقُ الحدث، وكثير من الأحداث في فلسطين، وُثِّقَتْ في عيدها بانتسابها ليوم الثلجة الكبيرة، أو بخراب كبير للبساتين والكروم ارتبط بيوم ماطر.

هكذا سنروي وقائع **اليوم الأسود** بالانتساب **ليوم الجمعة** ، يوم الموافقة الفلسطينية الرسمية على الإبعاد، يوم أن أمطرت في ثاني أيام نيسان بداية التوغل الإسرائيلي الرابع في المحافظة وفي العاشر من أيار، واصلت ما يسميها **المفكر إدموند هُسْرُل** **الوقائع أو الظروف أو ما هو خارج عنا، النضال ضدنا ومعارضة أهدافنا.** فلماذا لم يخطر ببال **جهاد جعارة** وأصدقائه المحاصرين، أن حلمهم كبير واكبر من أن يحتمله الكون؟.

وإذا كانت المعمورة في ظل العولمة والسيادة الأميركية عليها، لا تحتل مثل هذا الترابط في علاقة المنطق بللواجب فبكت مطراً!!.

فهل كان على المقاومين المحاصرين المبعدين إدارة ظهرهم للكفاح من أجل الاستقلال وغض النظر عن الحرية؟.

هل ما نشاهده حقيقة؟

تسمرنا على التلفاز نشاهدهم، نودعهم، لا فرق، ففي الحاليتين ، كنا ومعنا ربما ملايين الفلسطينيين والعرب نبكي بحرقه، وجعاً، ينهش فينا الماضي والحاضر والمستقبل. مسموح في كل الكون ، وفي الشرعة الدولية قالوا خطبا ، وكتبوا كتباً عن حق الأمومة في لمس الولد بيدها.

ولكن، لم يتقدم من هؤلاء أحدٌ ليخبرنا بان ما جاء في تلك الخطب والكتب ليس لنا ولا ينطبق علينا!!.

عندئذ كنا سنقول للأممات والأخوات اللواتي تسلن عبر حظر التجول من بيت لبيت ، ومن حاكورة لأخرى، يتحدين الرصاص كي يصلن إلى ساحة الكنيسة لوداع الابن أو الأخ:

- لا بأس عليك ، ابقين في بيوتكن ، فقط لامسن بأيديكن وجوههم على زجاج شاشة التلفاز إن كان لديكم.

ولئن كانت جيفارا البديري مراسلة قناة الجزيرة في قطر، التي عاشت تجربة الاحتلال والمواجهة في بيت لحم وحول الكنيسة لحظة بلحظة لا تعرف الأسماء الطالعة من الحصار إلى الحصار، فان "إيلي عودة" مراسلة قناة أبو ظبي تطوعت لتسمية الأسماء للمشاهدين بمساعدة من أقاربها في المدينة.

- لماذا تبكي يا أبي؟

سألنتي ابنتي قدس وهي حائرة في موقفي - وقد كانت تسمعني في السابق معارضا لمظاهر عسكرية الانتفاضة -:

- بماذا أجيبها وكيف اشرح لها!؟.

لحظتها حطت عيناى على زوجتي وهي تمسح دموعها المختلطة بسيلان من انفها وقد استحال وجهها كئيبا، بدت منسحبة في البيت، بلا حركة، مثل متصوفة، تفكر في أسرار ما يجرى ويجري.

قلت أجيبُ ابنتي قدس باقتضاب:

- إنهم منا يا ابنتي ونحن منهم، لقد دافعوا عنا وعن كرامتنا.

وقلت لزوجتي:

- يبدو أن حديثنا عن الحق في الكرامة والمواطنة، قد يدرج في قادم الأيام في إطار قائمة الأعمال الإرهابية ، وقد يدرج هذا الحديث عن كرامة الفلسطيني من الآن فصاعداً، في إطار الممنوعات التي يشملها قانون منع التحريض الفلسطيني. ذهبت سدى مناشدة حركة فتح في أقاليم الضفة الغربية الواردة في بيان خاص يوم السابع من أيار إلى الرئيس ياسر عرفات بان لا يصادق على صفقة الإبعاد حسب البيان.

ويبدو أن حركة فتح قد تتم محاسبتها هي على مطالبتها بمساءلة الذين ساهموا في صفقة الإبعاد التي وصفها بيان حركة فتح ب"الجريمة الإنسانية". وربما في قادم الأيام من يدري، قد لا يسمح لحركة فتح أو غيرها بالتحدث عن مصير أبناء شعبنا، بدلا من عدم السماح للذين ابرموا صفقة الإبعاد بللتلاعب بمصير أبنائنا وشعبنا.

تحركت الحافلة الأخيرة من ساحة كنيسة المهدي، أبعد شباب المقاومة، قسم إلى قطاع غزة، والقسم الآخر إلى مستوطنة عصيون فمطار اللد (بن غورين) فقبرص حيث تم تفريقهم وتوزيعهم إلى أصقاع مختلفة في أوروبا. وهكذا أسدل الستار على مشهد الخروج من كنيسة المهدي، وتوقف المطر، ليطل علينا جنرالات الكلام على شاشات الفضائيات العربية بالتحليل والمواعظ والدروس. وبعد أقل من شهر، يسدل الستار أيضا على تراجيديا الحصار برمتها، لتفتح شاشة المسرح من جديد، على واقع يعارض، لا بل إنه يناهض أهدافنا في فسحة قليلة من الكرامة والحرية.

* - الكرافة : هي سلوك ضميري محكوم بنظام قيمى متماسك، مسلك إنساني تجاه الآخر، اتبعه "اليزيديون" ويسمح للكريف بل ويلزمه أخلاقيا بان يضحى بحياته دفاعاً عن كريفه.

ردود الفعل

آثار إبعاد شباب المقاومة من بيت لحم إلى خارج الوطن أو إلى قطاع غزة، ردود فعل شعبية غاضبة، وذهبت أوساط رسمية في السلطة الوطنية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية إلى الإعلان صراحة عن عدم موافقتها ورفضها لما جرى تنفيذه ، ومن ذلك ما صرح به السيد محمود عباس أبو مازن أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ونشرته جريدة القدس المقدسية الذي وصف ما جرى " بأنه خطأ فادح ."

وفي بيت لحم أجرينا عدة لقاءات نطل من خلالها على ردود الفعل وقمنا بترتيبها حسب الوقت الذي أجريت فيه.

عيسى قراقع(*)

رئيس نادي الأسير الفلسطيني

حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح - إقليم بيت لحم

من جهته دان السيد عيسى قراقع رئيس نادي الأسير الفلسطيني وعضو لجنة الإقليم في حركة فتح بمحافظة بيت لحم قرار الإبعاد، واعتبره سابقة تشرّع الإبعاد بأيدي فلسطينية، وفي هذا مخالفة للقوانين الدولية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما تطرق رئيس نادي الأسير إلى موضوعات عدة خلال المقابلة نعرضها للقراء كاملة كما هي:

سؤال:- كيف تنظر لما جرى، وهل علينا من الآن فصاعداً تقبّل موضوع الإبعاد عن الوطن؟

جواب:- إن ما جرى تنفيذه استناداً لمذكرة التفاهم هو انتهاك لحقوق الإنسان وسابقة خطيرة ينبغي عدم الصمت عليها حتى لا تتكرر مطلقاً في الحياة الفلسطينية، وهناك ثلاثة أطراف تتحمل مسؤولية ما جرى مع مراعاة الفرق في الدرجة بين مسؤولية هذا الطرف أو ذاك، وهذه الأطراف هي:-

أولاً:- إسرائيل بصفتها قوة احتلال غاشمة دفعت بشباب المقاومة إلى خيار اللجوء إلى الكنيسة للإفلات من خيار الموت برصاص رشاشات الأباتشي و المركفاه، وفرضها حصاراً محكماً وظالماً على كنيسة المهدي ومن فيها من شباب المقاومة ورجال الدين،

مع قطع الكهرباء والماء ، ومنع إدخال الغذاء والأدوية للمحاصرين، وتحويل الكنيسة إلى مصيدة لاغتيال وقتل المحاصرين، وبالقوة العسكرية دفعت بالمحاصرين والسلطة الفلسطينية إلى خيار الإبعاد لإنهاء أزمة كنيسة المهدي.

ثانياً :- تتحمل السلطة الفلسطينية أيضاً مسؤولية كبيرة بموافقتها على قرار الإبعاد وهي تعرف بأن مجرد الموافقة على القرار هو انتهاك لحقوق الإنسان ، وسابقة تشرع عملية الإبعاد، ولم يكن هناك أي سبب يدعوها للموافقة على الشروط الإسرائيلية حتى لو كان الثمن كبيراً جداً.

ثالثاً :- الاتحاد الأوروبي يتحمل هو الآخر مسؤوليات كبيرة ، ليس فقط لموافقته على استقبال المبعدين المتعارضة مع مبادئ القانون الدولي ومع الادعاءات الأوروبية ذاتها حول حقوق الإنسان، بل وأيضاً بالتقصير الخطير الذي ميّز موقف الاتحاد الأوروبي تجاه كنيسة المهدي المحاصرة، إذ كان يتوجب التدخل لإنقاذ المحاصرين وفك الحصار عن كنيسة المهدي، بإرغام إسرائيل على الانسحاب من الأراضي الفلسطينية التي تحتلها بالقوة العسكرية.

سؤال :- ما هو تعقيبك على ادعاءات الإعلام الرسمي الإسرائيلي بأن القوات الإسرائيلية انتصرت وحققت أهداف توغّلها ؟

جواب:- إن ما حدث لا يجوز النظر إليه من زاوية من المنتصر ومن المهزوم، فنحن في الأساس أمام قوة عسكرية كبيرة بكل المقاييس ومبالغ فيها، إذ حشدت إسرائيل ما يزيد عن 250 دبابة وآلية عسكرية متطورة ، لمهاجمة أعداد محدودة من شباب المقاومة، الذين لا يمكن اعتبار ما لديهم من بنادق بأنها أسلحة قادرة على صد جيش الاحتلال.

وأوضح قراقع:-

من الناحية العسكرية كانت النتيجة محسومة مسبقاً لصالح القوات الإسرائيلية، ولكن بالمعايير الاستراتيجية للحرب، لم تحقق إسرائيل أي انتصار، برغم كل الإرهاب الرسمي الحكومي الذي مارسته في ترويع أهلنا في المحافظة وشعبنا في المحافظات الأخرى، لأن المقاومة متواصلة ولن تتوقف.

وأضاف يجيب:-

في أية لحظة، ستعبر المقاومة عن نفسها بحركة، بموقف، بمظاهرة أو مسيرة أو اجتماع أو قذف حجارة أو إطلاق نار أو بعبوة كوع، مع العلم بأن شباب المقاومة لم يقاتلوا القوات الإسرائيلية ، ولم يواجهوها كجيش مقابل جيش، ولم يكن هناك انتظام للشعب فيما يسمى حرب شعبية، حتى أن حالات الإصابة كانت في معظمها بين المدنيين وليس بين شباب المقاومة، وبتقنة أستطيع القول بأن الهجوم الإسرائيلي فشل فشلاً ذريعاً، وأن الحملة العسكرية ضد شعبنا قد أبعدت فرص السلام ولم تقربها.

سؤال:- هناك لغط كثير حول النواقص والثغرات التي واكبت المواجهة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي ومن ذلك عدم وجود هيئة لقيادة جهود المقاومة، ما هو تعقيبك على ذلك وهل تم استخلاص العبر مما جرى ؟

جواب:- لقد كان واضحاً لنا مثلما هو واضح لشباب المقاومة، أننا نفتقر إلى الخبرة في مواجهة هذا النوع من الهجوم الإسرائيلي ، ونفتقر لعديد من الامكانيات لمواجهة جيش متطور كهذا، ولا توجد لدينا تقاليد الحرب الشعبية التي اعتمدها شعوب أخرى. إن قوات الأمن الوطني الفلسطيني وهي الأحسن تدريباً، وتضم في صفوفها خيرة أبناء شعبنا لم تقاوم كقوات، إن تشكيلات أو مجموعات محددة أو أفراد من هذه القوات قررت المواجهة والقتال، وبنادق يدوية، وكل واحد منهم كان يتصرف كضميم لشعبه، يعبر عن رفضه للاحتلال وعدم الاستسلام، والتأكيد على أن الشعب الفلسطيني لن يقبل الهوان، أكثر مما كانوا يقاتلون من أجل الانتصار في المعركة.

نعم، إن عدم مشاركة قوات الأمن الوطني والتشكيلات العسكرية في أجهزة الأمن الفلسطينية في المواجهة كان له تأثيرات سلبية على شباب المقاومة والجمهور على حد سواء.

وأوضح:-

لقد كان على كل فرد في قوات الأمن وأجهزة السلطة أن يقاوم المحتلين وخاصة عندما تعلق الأمر بإعادة احتلال ما يسمى بالمناطق " أ " وقرار القيادة الفلسطينية كان

واضحاً في هذا الشأن، هو مواجهة أي تقدم للقوات الإسرائيلية إذا دخلت مناطق السلطة الفلسطينية، وللأسف هذا لم يحصل ، ربما بسبب عدم وضوح جهة القرار ، وعدم وجود تهيئة واستعداد وتخطيط كافٍ لمعركة كالتى جرت برغم المؤشرات المسبقة عن نية الاحتلال إعادة احتلال مناطق السلطة الفلسطينية والقيام بهجوم شامل.

سؤال:- هناك من يعتقد بأن موقف الجمهور والشعب تميز بالسلبية خلال مرحلة الاجتياح ولاحقاً أثناء حصار كنيسة المهد الذي استمر أربعين يوماً ؟

جواب:- إن عدم وجود قيادة وطنية وإسلامية تقود العمل في مرحلة الاجتياح لعب دوراً في سلبية الشعب، هذا إذا كانت هناك سلبية، مع أن لي رأي آخر، فالعمليات العسكرية الإسرائيلية، وإطلاق النار العشوائي تجاه المنازل والمدنيين وما حصل في مخيم جنين ونابلس لم يترك مجالاً للحركة الشعبية ، وأي تحرك كان سيواجهه من قبل الإسرائيليين بمذبحة، والشعب يدرك بأننا لسنا بحاجة لمذابح جديدة ، بل المطلوب هو حماية أنفسنا والانتظار للانطلاق بالمقاومة من جديد.

سؤال:- كيف تقوّم دور القوى والأحزاب الوطنية في هذه المرحلة ؟

جواب:- لم يكن هناك أي دور للقوى والفصائل الوطنية، لقد اختفت من الساحة وتقاعدت عن أداء دورها كقيادة وطلّيعة للشعب، وأعتقد بأنه حان الوقت لإعادة النظر في دور القوى السياسية وبرامجها وطريقة عملها ، وأن تتعلم الدروس للمستقبل، ونتساءل إذا لم يكن لهذه القوى دور في أزمة كالتى واجهناها ، فلماذا سيحتاجها المواطن في الأوضاع الطبيعية؟.

سؤال:- ماذا عن دور ومواقف منظمات المجتمع الأهلية في الأزمة ؟

جواب:- لقد غابت هذه المؤسسات عن الساحة بما في ذلك مؤسسات السلطة الرسمية وحتى مؤسسات الإعلام، لقد عانينا من عدم وجود مركز إعلامي يوضح ما يجري من حقائق على الأرض، وربما فظاعة ما حدث هي التي تسببت في حالة الشلل عند الجميع.

سؤال:- يدور الحديث مؤخراً عن إجراء تغييرات وإصلاحات على البيت الفلسطيني كيف تنظر لدعوات الإصلاح ؟

جواب: - إذا لم يتم إجراء تغيير جدي وعميق وبعيد المدى على المستوى القيادي،
تغيري يشمل رموز الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني وأولئك المتهمين
بالتفاس ستكون النتائج كارثة.
إن الهزيمة الحقيقية، هي هزيمة أذات، والتآكل الداخلي أخطر من الهزيمة أمام العدو.
ولهذا فإن التغيير المطروح حق يراد به باطل، فإسرائيل والولايات المتحدة الأميركية
تريدان تغييرات تهدف إلى بناء نظام يتوافق مع المصالح الإسرائيلية، ولكن أميركا
وإسرائيل ستفشلان في مساعيها.
إني غير مقتنع بالحاجة للإصلاح المؤسساتي في ظل الاحتلال، والمطلوب أولاً هو
وضع البرامج الهادفة لكنس الاحتلال والالتزام بتنفيذها. فبدلاً من بناء مشاريع تنموية
يسهل على إسرائيل تدميرها كما حصل، لماذا لا نتقدم لبناء مشاريع نضالية، مشاريع
مقاومة وبناء اقتصاد وطني، وبناء مؤسسات مقاومة، إن الاستقلال والحرية وحق
تقرير المصير للشعب الفلسطيني هو الطريق لبناء مؤسسات ناجعة وبنية تحتية قوية،
والتأسيس لتنمية شاملة مستدامة، علينا أن نكافح للاستقلال أولاً ومن ثم نتحدث عن
التمية والبناء.

* - أجريت هذه المقابلة يوم الأربعاء بتاريخ 2002/5/22.

حسن عبد ربه (*)

حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح - إقليم بيت لحم

لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية

سؤال: أيام فقط، تفصلنا عن مغادرة آخر الدبابات الإسرائيلية لمدينة بيت لحم وتموضعها حول المحافظة، كيف تنظرون لتجربة إعادة الاحتلال والمقاومة وما آلت إليه الأمور؟

جواب: إننا نخوض معركة تحرر وطني حيث لم تستكمل بعد مهام هذه المعركة، ويخطيء من يعتقد أن مهام كهذه يمكن تحقيقها بجيش نظامي، كلا إن جميع معارك التحرر الوطني بما فيها ما هو خاص بفلسطين، تستدعي المقاومة الشعبية في مواجهة العدو. وهذا ما فعلناه، ولكن بسبل المقاومة المتوفرة والمحدودة والبسيطة التي بحوزتنا، والتي تكاد تكون متواضعة بكل المقاييس إذا ما قورنت بترسانة المحتلين الإسرائيليين العسكرية.

لقد كان علينا أولاً مقاومة الاحتلال، وأن نضمن استمراريتنا، وأن نحافظ على كادر المقاومة، إذ بكل المقاييس العسكرية لا يمكن لثلاثمائة مقاوم أن يواجهوا جيشاً كجيش الاحتلال الإسرائيلي بدباباته وطائراته ومروحياته ، وأجهزة الاستخبارات لديه ، والتكنولوجيات العسكرية المتقدمة التي استخدمها في المواجهات مع شبابنا. إن شباب المقاومة لم يدافعوا عن موقع عسكري معين، أو حي أو موقع جغرافي معين، لقد تصرفوا من منطلق الفهم، بأن القدرة على المواجهة ، هي في توجيه ضربات للعدو بأقل قدر من الخسائر في أوساط المقاومة ، سواء أكانت مادية أم بشرية، وفي ضمان استمرار المقاومة، واستمرار أعمال الاحتجاج والرفض للاحتلال. لقد نجح شباب المقاومة من أبنائنا وإخواننا في **كتائب شهداء الأقصى** والإخوة الآخرين ممن شاركوا في المقاومة ، في معارك البلدة القديمة في **بيت لحم** ، بلتباع أساليب ناجحة بإخفاء البعض واستمرار البعض الآخر في المواجهة.

إن ما جرى من معارك في البلدة القديمة، على محاور " **المدبسة وأحياء الفواغرة** **والحريزات أو السوق القديم** قد أوضح بجلاء ، الطاقات العظيمة لدى أبناء شعبنا في المبادرة وروح الوطنية العالية التي كانت حافزهم في مواجهة غير متكافئة مع جيش المحتلين.

سؤال: هل تعتقد بأن شعبنا في المحافظة وهيئاتنا الوطنية الرسمية أو الأهلية كانوا على جاهزية في مواجهة الحصار وتداعيات التجربة؟

جواب: لقد كشفت التجربة عن ايجابيات عظيمة وسلبات كبيرة أيضاً، ومن ذلك هشاشة وضعف المؤسسة الرسمية الفلسطينية، إذ لاحظنا انعداماً شبه تام للدور الرسمي في المواجهة.

ولئن برزت هشاشة الدور الرسمي في المواجهة، فقد عكست تجربة الحصار والمواجهة أن هناك من هم قادرون على العمل والمقاومة في كل الظروف، إذ هؤلاء من سد العجز والفراغ الذي تركته المؤسسة الرسمية.

فقد عملت اللجان الشعبية ولجان الأحياء مثلاً، على التخفيف من وطأة الحصار ببذل الجهود لتوفير المواد التموينية لشعبنا المحاصر، أو أية خدمات أخرى كانوا يحتاجونها قدر المستطاع، علماً بأن قوات الاحتلال كانت لا تتردد في إطلاق النار حتى تجاه سيارات الإسعاف، عدا عن منعهم للصليب الأحمر من ممارسة دوره في تقديم الخدمات الإنسانية.

سؤال:- هناك ما يقارب حد الاتهام بين أوساط الشعب للقوى السياسية بأنها كانت غائبة عن المواجهة، ولكونك على صلة مباشرة مع مختلف القوى في إطار لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية، بماذا تعقب على ما يدور في أوساط الشعب؟

جواب: - إن القول بتغييب القوى السياسية جميعها يتضمن الإجحاف بحق بعضها، فكادر فتح الرئيس مثلاً، واصل المقاومة، وواكب كل التطورات لحظة بلحظة، ولم يتأخر عن معالجة أية مشكلة أو شأن من الشؤون بما فيها تناوله للشأن السياسي، وهناك العديد من القوى التي كرست جهودها في ساحة المقاومة، مع أنني أوافق الرأي العام بأن هناك قوى سياسية بعينها غابت عن ساحة الفعل لأسباب عديدة، إما لعدم وجود بنية اجتماعية وتنظيمية لديها، أو لأسباب قررها قادة هذه القوى، مراعاة لعوامل معينة لم يفصح عنها أحد.

ورغم تعقيدات ظروف الاجتياح والحصار ومنع التجوال، إلا أنه صدر عدة بيانات للجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية، وتمت معالجة العديد من القضايا السياسية

والمدينة والحياتية ومواكبة التطورات والأحداث، بما فيها متابعة أمور الشهداء والجرحى.

سؤال:- لقد أشرت لدور اللجان الشعبية، ما الذي فعلته مثلاً على الصعيد التمويني؟

جواب: - إن بعض اللجان الشعبية كانت قد شكلت قبل وقوع التوغل الإسرائيلي، وبعضها تم تشكيله خلال الحصار نفسه، والعديد من المتطوعين نشطوا خلال الحصار أيضاً.

وعلى الصعيد التمويني، ففي بيت ساحور جرى التعاون ما بين البلدية وبعض منظمات المجتمع المدني المعروفة للمواطنين وبالتعاون مع القوى السياسية، وفي بيت جالا، تكفلت بالمهمة مؤسسات المجتمع المدني في المدينة والقوى السياسية. أما في بيت لحم فقد شكلت لجنة طوارئ مدنية تابعة للمحافظة بمساعدة وزارتي الشؤون الاجتماعية والتموين، بالإضافة إلى نشاط ملحوظ لعدد من الهيئات والجمعيات الخيرية ولجنة الزكاة.

وفي المخيمات نشطت بإيجابية عالية لجان الخدمات الشعبية التي لم تنقطع صلاتها مع الجمهور لحظة بلحظة، ويوماً بيوم وهي تتحسس احتياجاته الأساسية، وخاصة في مخيمات الدهيشة وعائدة والعزة.

وبخصوص لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية فكما هو معروف للجمهور كان الجميع تحت الحصار ولم يكن بالإمكان أن تعقد اجتماعاتها، وسادت حالة من عدم التواصل وعدم الاتصال مع بعض الأعضاء، وقد تم التعويض عن ذلك بإجراء المشاورات عبر الهاتف فيما بينهم وليس مع الجميع بالطبع لأن البعض لم يكن في مكان اختبائه أو في منزله هاتف.

سؤال:- اصطدمت وثيقة التفاهم بشأن فك الحصار عن الكنيسة باستياء شعبي واسع، ويانتقادات حتى بين أوساط رسمية في السلطة الفلسطينية وأوساط منظمة التحرير الفلسطينية، ما هو تعقيبك على تفاصيل وثيقة التفاهم ومما جرى بشكل عام؟

جواب: - بداية، تميز الموقف التفاوضي الفلسطيني بالضعف منذ اللحظة الأولى بالبداية الخاطئة بتقديم عرض تم بموجبه تحديد سقف المطالب الفلسطينية بالترحيل إلى غزة أو أريحا، الأمر الذي دفع الطرف الآخر لصياغة سقف جديد هو الإبعاد. 1. تم التنازل منذ البداية في بناء الوفد عن وجود ممثل للكنيسة ضمن الوفد، الأمر الذي وفر الفرصة للإسرائيليين للادعاء، بأن رجال الدين والكنيسة رهائن بأيدي شباب المقاومة.

2. كذلك جرى التنازل عن الدور الأوروبي في المفاوضات بالرغم من أن الممثل الشخصي للسيد سولانا في الشؤون الأمنية، كان يتابع المفاوضات لحظة ، بلحظة ويجلس منفرداً مع الوفد الفلسطيني دون أن يكون على طاولة المفاوضات. 3. المفاوضات لم تفلح في إدخال لقمة طعام واحدة للمحاصرين داخل الكنيسة رغم استمرار المفاوضات، فلماذا كان على المفاوضات أن تستمر إذن على ضوء هذا الموقف الإسرائيلي خاصة وأن العدوان وعمليات الاغتيال للمحاصرين لم تتوقف وتحولت المفاوضات إلى كمين لاستكمال المخطط الإسرائيلي المنفذ على الأرض وليس لوضع حد لهذا العدوان؟.

واختتم حديثه بالقول:

بشكل عام، كان من الواضح أننا نفتقر في أتون الأزمة إلى موقف قيادي وسياسي واحد، إذ اتضح أن الإسرائيليين نجحوا بشق قناتين للمفاوضات بشأن الكنيسة، الأمر الذي أوصل الأمور إلى ما آلت إليه، وهي النتائج التي لا يقرها فلسطيني عاقل، لأن الإبعاد انتهاك لحقوقنا الثابتة والشرعية في وطننا وانتهاك للقوانين الدولية.

* - أجريت المقابلة يوم الاثنين 2002/5/27.

السيد كامل حميد (*)

أمين سر حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح - إقليم بيت لحم
لم يخف **كامل حميد** أمين سر حركة التحرير الوطني فتح، ولم يدار آراءه بشأن موضوع إبعاد المناضلين الذين حوصروا في كنيسة المهدي.

كان واضحاً، وربما هو الوحيد، ليس فقط بين الذين قابلتهم خلال عملية جمع المعلومات، بل وعلى نطاق المحافظة والوطن الذي تمنى على المحاصرين وحثهم على رفض قرار إبعادهم، وعدم قبوله أو التساوق معه، لأن قبولهم لمبدأ إبعادهم كان هو العامل الحاسم في أن يتحول اللغظ عن الإبعاد إلى واقع سيعانون منه مثلما ستعاني عائلاتهم وشعبهم من تبعاته وقتاً طويلاً.

وأضاف يقول:-

إن الإبعاد أمر مرفوض بالمطلق فلسطينياً، ويجب أن يظل الحال كذلك، لأنه أمر يتعارض مع أسس النضال العادل لشعبنا، ويتعارض مع متطلبات الصمود، وهو نقيض لحقوقنا الفلسطينية الثابتة في المواطنة وفي حق العودة الذي كفلته الشرائع والأعراف الدولية، وكان على المحاصرين أن يرفضوا حتى مجرد مناقشة الفكرة .
و حين استعرضت له حجم الضغوطات التي مورست ضد المحاصرين في الكنيسة ومن بينها محاولات قوات الاحتلال سلبهم الحق في الحياة بالقتل الموسيقي، وبالتجويع، واستخدام أساليب وإجراءات مرعبة، بما في ذلك محاولات تشويه كفاحهم وتقديمهم للعالم كمجرمين يحتجزون رجال الدين كرهائن بين أيديهم، والشعور بأن الجميع قد تخلى عنهم، وأن أوساط هامة في القيادة الفلسطينية كان لديها الميل لقبول فكرة الإبعاد:

جواب:- في السياسة مثلما في الحياة أيضاً، دائماً توجد خيارات أخرى.

سؤال:- كيف تنظر لدور السلطة والقوى السياسية ومنظمات المجتمع المدني ؟

جواب - يجب أن نوضح أولاً ما الذي كان متوقعا من المواطن أو من السلطة أو من القوى السياسية ومنظمات المجتمع المدني في مواجهة دبابات المركفاة؟

وأضاف:

لقد كان الجميع، القضية وأهل القضية، المواطن والموظف، المسئول في السلطة، أو المسئول في هذا التنظيم أو ذاك، الجميع كانوا في حال واحد بالنسبة للاحتلال. جميعهم كان الاحتلال يستهدفهم بدون استثناء، ولا اعتقد انه كان بمقدور اح د فعل شيء ولم يفعله، أو قرر هو شخصياً بان لا يقوم بما كان عليه القيام به.

سؤال:- هل يعني هذا أن الأمور في نظرك كانت جيدة ولا توجد ثغرات؟

جواب :- لقد استهدف المحتلون رأس الجميع بمن فيهم المواطنون والسلطة والقوى السياسية، ومع ذلك، كانت هناك بالطبع ثغرات ونواقص يجب الوقوف عندها واستخلاص العبر والدروس.

سؤال :- الآن وبعد أن أصبح الاحتلال واقعاً، هل صحيح بأنه ما كان يمكن إجراء الاتصالات بين مختلف القيادات على سبيل المثال للبحث عن أشكال مناسبة للمقاومة أو الاحتجاج؟

جواب:- صحيح بان أهداف الاحتلال كانت تدميرية وتصفية لكافة جيوب وأشكال المقاومة، وهذا الأمر بالذات، هو الذي فرض نفسه على جميع القوى السياسية بان تجتهد لحماية الأشخاص والقيادات، وحماية كادر المقاومة من التصفية. **واستطرد يقول :-** لكن، من جهة ثانية، علينا أن نعترف بان ما جرى خلال عملية التوغل الشاملة كشف عن عدة ثغرات في علاقاتنا الوطنية كقوى سياسية، وثغرات أخرى في العلاقة بين القوى السياسية من جهة، والسلطة الوطنية من جهة أخرى، ولا يجوز أن تبقى هذه العلاقة سواء بين مختلف القوى السياسية نفسها أو مع السلطة، ذات طابع تصادمي.

سؤال:- هل لك إن توضح أكثر هنا ؟

جواب :- مثلاً، بيننا كقوى سياسية من حاول طوال الوقت أن يلعب دور السلطة في الوقت الذي يعلن فيه صباح مساء بأنه لا يسعى للسلطة، ومن جهة أخرى فإن بعض المسؤولين في السلطة، ليس فقط لم يحسنوا التصرف، ولكنهم في الأساس فهموا المرحلة فهماً خاطئاً، واعتقدوا بان متطلبات التحرر الوطني لم تعد لازمة، وبان الاستقرار هو السائد، وان عودة الاحتلال للمناطق (أ) قد ولت ! هذا الفهم هو اخطر ما واجهناه ودفعنا ثمنه غالباً حيث قدّم هؤلاء السلطة كما لو كانت في مواجهة المقاومة وليس في مواجهة الاحتلال.

سؤال:- ما الذي كان مطلوباً هنا؟

جواب :- إن على الجميع، القوى السياسية والسلطة، العمل على إيجاد لغة مشتركة، وتفاهم بين الطرفين السلطة والمقاومة، بحيث لا نلحظ أي دور على حساب الآخر، إننا أمام اختبار تاريخي، فالمطلوب هو الجمع بين حاجتنا لسيادة القانون وحاجتنا لاستمرار النضال، وإذا كانت السلطة راغبة في قيادة المقاومة، فعليها أن تتنازل عن كونها السلطة، والمقاومة من جهتها يستحيل عليها الجمع بين دورين، فعليها أن تركز نفسها للدور الذي وجدت من أجله، وهو استكمال مهمات النضال الوطني.

سؤال:- ماذا عن مؤسسات المجتمع المدني ؟

جواب:- لسوء الحظ، فرغم أن مؤسسات المجتمع المدني لم تكن في دائرة الاستهداف مقارنة مع القوى والفصائل الوطنية واللجان الشعبية والمقاومة، فإنه كان عليها أن تقوم بدور أكبر وتسد الثغرات، مثلما كان عليه حالها خلال الانتفاضة الأولى، أو خلال سنوات المقاومة بشكل عام، فما الذي حال دون أن تقوم بدورها التموييني والإعلامي، أو بدور الاتصال مع مختلف المؤسسات الحقوقية المحلية والدولية لفضح ما نفذته إسرائيل ضد المحافظة، وضد الأماكن المقدسة، وفي مقدمتها **كنيسة المهد** خلال الحصار في شهر نيسان وأوائل أيار.

سؤال:- إذا فأنت لا تلقي باللوم على احد؟

جواب:- بشكل عام، اعتقد بان علينا عدم المبالغة وتحميل المواطنين والقوى السياسية أو السلطة أكثر مما كانوا يستطيعون تحمله أمام احتلالٍ استهدف تصفية الشجر والحجر والبشر لأنهم فقط فلسطينيون.

سؤال:- ما الذي تقوله لشباب المقاومة وخاصة أبناء التنظيم؟

جواب:- إن نجاح أو فشل أي مؤامرة خارجية، يعتمد على واقع حال الوضع الداخلي الفلسطيني، فالمطلوب بان نعزز وحدتنا، وان لا نسمح بأي تدخلات خارجية في الحياة الفلسطينية، ولكي نواصل مشوارنا نحو الانتصار، مطلوب منا مراجعة أسس عملنا الوطني، وتطوير وسائل وسبل المقاومة والتحكم أكثر في هذه السبل، لا أن نتحكم السبل بنا، وعلينا أن لا نفسح المجال أمام احد في الخارج للمزايدة علينا بان نعزز

علاقتنا ونوطد وحدتنا ونزيد من تفهمنا لبعضنا، ونشخص الثغرات كي نتلافها لاحقاً ونستخلص الدروس.

سؤال:- ما هو المطلوب تحديداً أمام التدخلات العربية والدولية في الحياة الفلسطينية؟

جواب :- إن أهم ما هو مطلوب الآن، هو تعزيز وإعادة بناء البيت الداخلي بروح وأهداف فلسطينية خالصة، وعلينا الاتفاق كقوى وطنية على برنامج مشترك، برنامج سياسي واحد، وآليات متفق عليها لتجاوز المؤامرة القائمة، وتحقيق أهدافنا في الحرية والاستقلال، وأقول لهم بأن **كتائب شهداء الأقصى**، هم ظاهرة نبيلة وسامية برزت في جسم الحركة، وسيأتي الوقت الذي نتعرف فيه أكثر فأكثر على مدى أهمية وحيوية الدور الذي لعبه أبناء كتائب الأقصى الشهداء منهم والأحياء.

وعن دور التنظيم وكتائب شهداء الأقصى وعلاقتها بقوى المقاومة الأخرى قال:- لقد حاول التنظيم توفير الحماية ليس للشعب فقط، بل وللمعارضة أيضاً، بأن شرع عملها النضالي بالاصطفاف معاً في خندق واحد في المواجهة، ورغم أن الثمن كان باهظاً جداً وغير مسبوق، إلا أن حركة فتح وكتائب شهداء الأقصى، أثبتتا قدرتهم على العطاء والاستمرار، وضخ الدماء الجديدة حسب التطورات في كل مرحلة.

سؤال:- هل تعتقد بوجود آفاق لإعادة بناء جسم المقاومة والتنظيم من جديد؟

جواب:- إن حركة فتح وكتائب شهداء الأقصى ستعودان أقوى مما كانتا عليه، ولكن المهم والمطلوب الآن، هو أن ننجح في تشخيص المرحلة السابقة وأن نتعلم ونستفيد من دروسها الكثيرة.

* - أجريت هذه المقابلة يوم الاربعاء 2002/7/24 .

الملاحق

ملحق (رقم 1)

لماذا اندلعت انتفاضة الأقصى في هذا الوقت؟

/ 10 / 19

بيت لحم - محمد منصور

2000

ملحوظة: أرسلت هذه المادة إلى جريدة الحياة بحسب رغبة الأستاذ حافظ البرغوثي، ولكن رؤساء التحرير بالنيابة حيث سافر للقاهرة في حينه، رفضوا نشرها لعدم موافقتهم على مضمونها!!
هل كانت محاولة أريئيل شارون لاقتحام الأقصى إضافةً جديدةً لحوادث بلغ تراكمها حد المعيار، بلغ لحظة انقطاع التدرج الكمي لحوادث الاعتداء على الأقصى، فشكل مجموع الحوادث على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس سبباً كاملاً لاندلاعها .؟

هل اندلعت انتفاضة الأقصى لأن محاولة أريئيل شارون، وفي الظروف التي نفذت فيها أو أحيطت بها، كانت جزءاً من إجمالٍ لظروف عديدة سياسية وفي مقدمتها ما آلت إليه العملية السياسية (التي أسموها بالسلمية) من فشل .؟
أكانت نتاجاً لظروف اقتصادية يقف انتهاك الحق في العمل وفي الحصول على مقابل يكفي للعيش بأقل أشكال الكرامة في مقدمتها .؟

هل اندلعت الانتفاضة بسبب ظروف اجتماعية ومدنية انتهكت فيها جميع حقوق المواطن بحيث اكتشف الفلسطيني بأن العملية السلمية قد أكدت بأن الآخر، فوق القانون، فيما هو بلا حقوق أو قانون، وكل هذه الظروف كَوَّنَ إجمالها الشروط العملية للأسباب المحددة للانتفاضة والأكثر أساسية من السبب الكامل ؟

هل كانت محاولة الاقتحام وبتلك الإجراءات الأمنية الإسرائيلية المرافقة مجرد سبب مباشر لاندلاعها وحسب؟ هل أجبنا على هذه الأسئلة المعلقة على أعمدة الكهرباء في شوارع القدس وبيت لحم ومدن الضفة والقطاع في انتظار المعرفة كي نترجل .؟
إلى متى يمكن أن تستمر الانتفاضة؟

إلى أي مدى تستطيع القوى السياسية الفلسطينية العلمانية أو قوى الإسلام السياسي التأثير في استمرارها طالما أعربت عن ذلك بوضوح في بياناتها، وهل تستطيع انتفاضة

الشعب الفلسطيني القائمة احتمال الأهداف التي يَحْمَلونها إياها من الجانبين العلماني (قوى منظمة التحرير) والإسلام السياسي (الجهاد الإسلامي وحماس)!؟

سيداتى وسادتى :

أيجوز لمتلى وفي هذا الجو الممتلئ غيما وبرقا ورعدا أن يجاهر بمثل هذه الأسئلة في هذا الجو الذي يسمونه في لغتنا الصحفية بالجو المشحون؟ المشحون بماذا؟!

بعضهم يقول بأنه مشحون بالتوتر والحذر أو المشحون بعوامل الانفجار حسب آخرين، وفريق ثالث يختبئ وراء النقاط لأنه لا يعرف ماذا يقول!.

اعذروني سيداتى وسادتى لأنى أقف أمامكم في هذا المقال حافي القدمين، عاري الرأس، وقميصي مشطور من الخلف، لكن أزراره الأمامية مغلقة، هل سمعتم بحال كهذا من قبل؟.

نعم، نعم، هذا هو حالي وتجدونى هكذا حين يريد البعض منا أن نصدقهم بأن الانتفاضة، انتفاضة الأقصى هدفنا منها إعادة الوضع لما كان عليه الحال قبل بدئها أو بأنها قادرة على حمل هذه الأطنان من أكياس الملح وأكياس الرصاص التي وضعناها على كتفيها.

هذا البعض الذي يريد من الانتفاضة أن تحقق له الاستقلال، وذلك يريد أن تحقق له تحرير القدس، وبعضهم يريدونها أن تزيل لهم المستوطنات وتعيد أشجار العنب والزيتون التي اقتلعتها الطرق الانتفاضية، وتفتح الطرق القديمة والجديدة والطرق الآمنة وغير الآمنة نحو إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة!.

سيداتى وسادتى:

أنا الذي أتحدث إليكم مثقلٌ بالهموم، وانتمى إلى الجيل الذي ارتكب آلاف الأخطاء وهو يحارب في جميع معارك الثورة والمعارك الدونكشوتية أيضا، ولكنه تعلم الدرس، عرف متى كان مصيبا وكم كان ضحية، وأول الضحايا أنا ولست آخرهم، وكنت أتمنى أن أكون آخر الضحايا، لكن الذي يجري على الأرض، يكشف لي عن الجرح القديم الحديث!.

لماذا نتناسى أننا عسكريا لسنا في مستوى إسرائيل؟ فأصحاب الرايات الحمراء وأصحاب الجهاد يمكن أن يخوضوا معاركهم في البيانات أو بعيدا عن الحركة الشعبية المدنية، وعلى الأرض قد يقتلون جنديا أو مستوطنا هنا أو هناك، لكن النتيجة دمار في دمار، فسياسيا نحن الطرف الأضعف، ولكننا، وبدلا من أن نستفيد من قوة ضعفنا، ونوحد المتعاطفين معنا بالأداء الجيد وبالأخطاء القليلة جدا، فإننا ويا للهول نعيد الأخطاء في كل مرة.

أذكرون متى وكيف نجحت إسرائيل في تأليب الرأي العام علينا وجعلتنا في عيونهم قتلة ومجرمين، فقط عندما ارتكبنا الأخطاء، ولأننا لم ننجح في استثمار الانتفاضة سياسيا، لم نحدد لها عنوان واضح، ولم ننطق على شعار أو هدف واقعي واحد، فسرق رايتها بعض العرب والرئيس مبارك في مقدمتهم، والذين يحاولون اقتيادها للمربع الأول، لنقطة البداية، للوضع الذي كان سائدا قبل يوم التاسع والعشرين من أيلول الماضي، فنحن لا نزال نعتبر الانتفاضة معركة عسكرية كبرى وتتحقق النجاحات فيها يوميا بل كل لحظة حسب أوهامنا. ولا زلنا محكومين ونحن نمارس الانتفاضة بعنبرة العبس الذي قال :-

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

يسقط جرحانا وشهداؤنا ثم يقفز عننرة الموجود في داخل الكثيرين بيننا، يقفزون إلى مداخل المدن وبين الجمهور المنتفض بينادقهم التي لا تساوي شيئا، وأحيانا بأقنعتهم المخيفة كي يسترون ضعفهم وعدم ثقتهم بقوة الشعب وعدم ثقتهم بنجاعة العمل الجماهيري بشكل عام.

أو يقفز بعضهم إلى شاشات التلفزيون لفضائيات الخليج كي يعزفون الألحان ويغنون الأغاني والموشحات الطويلة ويبصقون في وجوهنا، لأنهم يدعون أنهم الأبطال، وأن الانتفاضة هي خاتم في أيديهم، وأن الجماهير حذاء في أرجلهم، وما عليهم إلا أن يصبغوا البيانات التي تحدد للجمهور متى يغضب ومتى عليه أن يبتسم!.

هل أرهقتكم أيها السادة، هل أغضببتكم؟

هل سمحتم لي أن أستمر؟

لماذا لا نتفاهم على نقطة أولية؟

في كل يوم نقول أن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، وفي كل ساعة بل في كل دقيقة، نغثال هذه العبارة حين نتهم كل من يخالفنا في الرأي بأنه جاسوس وأنه مشكك في قدرات الوطن وقدرات الشعب.

إن اختلاف الرأي في بلادنا مع الذين هم في السلطة أو خارجها، ومع المنظمات والأحزاب والقوى السياسية الفلسطينية والتي تدعي جميعها احتكار الإخلاص الثوري واحتكار المعرفة واحتكار الوطنية واحتكار طليعة الجهاد، هذا الاختلاف يعرض أصابعك للحرق.

فإذا أردت أن تَسَلَّ مَ، تذكر الوصية: " لا تلعب بالنار تحرق أصابعك "، وقد يعرضُ عينيك للالتهابات الحادة، وقد يعرض أولادك وأحفادك للعار القادم في القرن القادم. رأيتم هولَ ما نحن فيه ؟

يختبئ البعض بيننا وراء الكلمات: " شارون القاتل المجرم، وباراك السفاح، وموفاز مجرم الحرب".

صباح الخير أيها السادة.... هل تطعمنا هذه المفردات خبزاً؟.

والمصيبة إنهم يضيفون: " قاطعوا البضائع الإسرائيلية والبضائع الأميركية!!".

ألا يوجد حكيم في هذا الشعب ليقول العبارة كاملة: قاطعوا البضائع الإسرائيلية واشتروا البضائع الفلسطينية والعربية، ثم يسأل: وأين هي البضائع الفلسطينية والعربية؟!.

ذلك أيها السادة يذكرني بشعار عدم دفع الضرائب في انتفاضة العام 1987، فحين

همس صوت حكيم يومها بأن الامتناع عن دفع الضرائب يحتاج إلى جيش كامل،

ومدفعية محدثة لنحمي الذين يرفضون دفع الضرائب ونحن لسنا بهذا الحجم، أسكتوه

باللعات، ومنذ ذلك الوقت ظل صامتا ليس إلى ما بعد أوسلو، بل إلى ما بعد القرن

الثاني والعشرين، فكيف نرفع شعارات ونحن لسنا بحجمها؟.

سيداتى وساداتى :-

أنا كمواطن بسيط ولأنني لم استطع مواصلة عملي الصحفي في محطات التلفزة المحلية لعدم قبولي فكرة إلزامي بالحصول على "حسن سلوك" من وزارة الداخلية كي أعمل في مهنتي التي امتهنتها على مدى عقدين ونصف، لكن، ومع ذلك تجيز لي البقية الباقية من حقوقي في المواطنة أن اقترح تشكيل مجمع لغة فلسطيني، مجمع للغة السياسية الفلسطينية، مجمع ينادي بمحاكمة كل من يستعمل المفردات في غير موقعها، ويسجن كل من يخاطب الأوهام والأشباح وقطاع الطرق.

آه لو تسمع أمني ماذا يدور في داخلي؟

فلو سمعت أمني نبضات قلبي لبكت عليّ من الندم.

أتعرفون حرقة حبس الدمع؟.

أتعرفون كيف يتلوى المرء في المرارة وهو يرى الجهلة يسطرون لنا صفحات الحكمة، أو وهو يرى الأغبياء وهم يتصدرون منابر الخطابة، أو وهو يرى المفتاتين وهم يدافعون عن مصلحة الوطن؟!.

أرجوكم لا تلوموني إذا ما قلت لكم أن حجم القبور في بلادنا قد صار في حجم آمالنا المحطمة، قد صار في عدد خيبات الأمل، قد صار في أقدامنا المهترئة من كثرة المشي على الجور لا من كثرة المشي على النار، فلقد أصبحنا في وضع تساوى فيه الجور مع النار.

يا للهول، أما آن لصوت عاقل يرتفع ليس في السماء بل على الأرض ليقول للذين يحمّلون الانتفاضة مثل هذا الحمل الثقيل، تمهلوا أيها الفرسان في القوى الوطنية والإسلامية حسب آخر موضة في إصدار البيانات.

متى سندرك أن خطر اكتشاف الجمهور لحقيقة أن انتفاضته لا تستطيع تحقيق تلك الأهداف والأحلام التي يحمّلها له أولئك المتقلون بين بيروت ودمشق فطهران، ولا تستطيع حمل أهداف الذين انقطعت صلتهم وتنظيماتهم بالجمهور منذ زمن طويل داخل الوطن، بأنه أخطر ربما من جرم القتل الذي ينفذه العدو بشعبنا؟.

متى سيحين الوقت، لنكتشف بأننا نعمل ضد التاريخ وفي خلاف مع المنطق؟!.

فكيف سنقيم سلاما دافئا مع الاحتلال بدون الاستقلال؟

لقد فاوضت جميع شعوب الأرض محتليها من أجل نيل الاستقلال والحرية، وبعد ذلك شرعت في التأسيس لعلاقات السلام باستثنائنا نحن، إذ يفاوض مفاوضونا بشكل معكوس مخالف لكل قوانين الطبيعة وقوانين التطور الاجتماعي، فهل يتوقع أحد والحال كهذا بأن نصل إلى أهدافنا الوطنية؟! .
ألم يحن الوقت وبعد كل الذي عانيناه من نهج الارتجال بأن نتعلم شيئاً ولو قليلاً؟ .

انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

أوائل تموز 2002

السيد العميد احمد عيد - قائد منطقة بيت لحم المحترم

يتحدث كثيرون في المحافظة عن خطة كان قد تم وضعها لمواجهة التوغل والاحتلال الإسرائيلي لمدينة بيت لحم، وذلك بالتنسيق والتعاون مع مختلف قيادات الأجهزة والتنظيم، فهل تؤكد أو تنفي وجود مثل هذه الخطة خاصة وان هناك من يقول بان قيادة المنطقة لم تلتزم بالخطة المتفق عليها للمقاومة، وأنها أي قيادة المنطقة عممت قرارا للجنود من الأمن الوطني ولقادة الأجهزة الأمنية بجمع أسلحتهم قبل يومين أو ثلاثة من احتلال بيت لحم في الثاني من نيسان الماضي.

- فهل كان بمقدور أي خطة أن تصمد أمام توغل الدبابات الإسرائيلية؟

- إذا صح أن قيادة المنطقة لم تأخذ بالاعتبار ما اتفق عليه تسميته خطة، فهل كان ذلك بسبب تقديرات وحسابات عسكرية تستند لتجاربكم ومعارفكم ولعلمكم بضعف الامكانيات فلسطينيا وتشخيصكم لحقائق الأمور على الأرض، أم بسبب توجيهات عليا من القيادات المسئولة في السلطة الفلسطينية؟

ألم تكن هناك أية جدوى عسكرية من المقاومة؟ ولكن ماذا عن الجدوى السياسية؟

1- ما هو تعقيبك على كل ما سبق؟

2 - لقد عكست ظاهرة تجارة وحمل السلاح والتجارة بالسيارات المسروقة في المحافظة وكما هو الحال في جميع المحافظات أيضا فوضى كبيرة في الحياة الفلسطينية وعلى حساب المواطنين والقانون وسيادة القانون والنظام العام، ونجم عنها ازدياد الفجوة بين السلطة وشباب المقاومة مع علمنا بالطبع أن ليس كل من حمل السلاح كان حقا وفعلا ينتمي للمقاومة، فهل تقبلون التشخيص بان المحافظة والمحافظات الأخرى أيضا عانت من فشل ذريع في إدارة المحافظات والسيطرة عليها وفشلت في تطبيق القانون وحماية النظام العام، فالى أي مدى أسهمت هذه الفوضى في التسبب بما جرى؟

- 3- هناك من يقول بان قيادة المنطقة لم تولي الاهتمام الكافي بأفراد وضباط الأمن الوطني خلال المحنة ما بين 4/2 - 10 / 5 / 2001 ولم يكن هناك تواصل ما بين قيادة المنطقة وجسم القوات، كما لو كانت قوات الأمن الوطني منهاره أو غير موجودة كإطار، ما هو تعقيبك على ذلك؟
- 4- لماذا جرى الذي جرى في المحافظة؟ ما هو تقييمك العام والأولي لتجربة الاحتلال والمواجهة؟

محمد موسى مناصر
مركز الحارس للدراسات والإعلام

ملحق (رقم 3)

صرخة المهدي

2002/4/6

نحن المحاصرين في كنيسة المهدي ، مهد المسيح عليه السلام نتوجه بصرختنا لكل العالم وكل الجهات الدولية والإنسانية التدخل العاجل والفوري لإنهاء محنة حوالي (250) محاصر من سدنة الكنيسة ومدنيين ، حيث حوصرنا بعد أن اجتاحت قوات الاحتلال العسكرية ساحة كنيسة المهدي ومحيطها ومبنى بلدية بيت لحم ، اضطررنا إلى اللجوء للكنيسة لإنقاذ أرواحنا من رصاص الدبابات والأباتشي .

ومنذ ذلك الحين ، فإننا نعيش حصاراً اشتد ضراوة بعد انقطاع الكهرباء والماء ونفاذ المواد الغذائية والتموينية ، وحرماننا من تلقي العلاج والمواد الطبية ومنع الصليب الأحمر من زيارتنا وتزويدنا بأساسيات الاحتياجات الإنسانية ، ونعيش حالة إرهاب الدولة الذي يمارسه الاحتلال الإسرائيلي عبر الحصار العسكري ، وإطلاق القذائف والأعيرة النارية في محيط الكنيسة ، مما يشكل ضغطاً وترويعاً على الأطفال والشيوخ المحاصرين في الكنيسة .

إننا نطالب المجتمع الدولي التدخل لإنهاء الحصار وسياسة التجويع بحقنا محملين حكومة شارون المسؤولية عن حياتنا داخل الكنيسة ، خاصة في ظل وجود أطفال ونساء ومرضى وكبار سن محاصرين منذ خمس أيام .

بيت لحم

انتهى

ملحق (رقم 4)

نداء مهد المسيح

بيت لحم 2002/4/6

من بيت لحم ، من كنيسة مهد المسيح رسول المحبة والسلام نتوجه من مختلف الكنائس المسيحية من مطارنة ورهبان وقساوسة وخوارنة لكافة المسيحيين المؤمنين في العالم للتضامن مع مأساتنا في كنيسة المهد حيث حصار الاحتلال الإسرائيلي على المدنيين ورجال الدين المحاصرين داخل الكنيسة الذين استجاروا بالسلطة الدينية الكنسية لحمايتهم من قذائف ورصاص جيش الاحتلال الإسرائيلي، والذين يفتقرون إلى المواد الغذائية والأدوية لعلاج المرضى وإطعام الأطفال.

إننا نناشدكم بالصلاة والعمل من أجل تحقيق السلام في فلسطين الأرض المقدسة،

وذلك في صلاة الأحد 2002/4/7، ونهيب بكم التحرك الفوري والسريع على كل

المستويات الدينية والدبلوماسية والمدنية من أجل فك الحصار عن كنيسة المهد وعن

شعبنا المحاصر.

الشخصيات والمؤسسات الكنسية والدينية في محافظة بيت لحم

- 1- الأب إبراهيم عياد
- 2- الشبيبة الأرثوذكسية بيت لحم
- 3- الأب مجدي السرياني
- 4- جمعية رعاية الطفل بيت لحم
- 5- كنيسة الميلاد للروم الكاثوليك
- 6- الاتحاد النسائي العربي بيت لحم
- 7- دير ابن عبيد
- 8- بلديات بيت لحم بيت ساحور بيت جالا
- 9- الخوري جورج البندك
- 10- مركز اسكندر خوري الثقافي
- 11- دير السريا
- 12- النادي الأرثوذكسي بيت جالا
- 13- الجمعية الخيرية الأرثوذكسية

- 14- لجنة المرأة العاملة الفلسطينية
- 15- الأب جورج شهوان
- 16- اتحاد الشباب الفلسطيني
- 17- الكنيسة الإنجيلية بيت جالا
- 18- بيت القديس نيقولاوس للمسنين
- 19- كنيسة الميلاد الإنجيلية بيت لحم
- 20- راعي وعمدة الكنيسة اللوثرية
- 21- الاتحاد النسائي بيت ساحور
- 22- الجمعية العربية "الأمل"
- 23- وكلاء كنيسة القديس نيقولا
- 24- وكلاء الكنائس الأرثوذكسية
- 25- وكلاء كنيسة الآباء بيت ساحور
- 26- جمعية دار الشيوخ
- 27- جمعية أصدقاء المريض
- 28- مفوضية كشافة محافظة بيت لحم
- 29- جمعية التأهيل العربي
- 30- الجمعية الأنطونية بيت لحم
- 31- جمعية مار منصور
- 32- لجنة الطوارئ /محافظة بيت لحم
- 33- جمعية الإحسان الأرثوذكسية بيت جالا

ملحق (رقم 5)

دعوة واستغاثة المهد

السبت 2002/4/6

نحن رجال الدين المسيحي من مختلف الطوائف المسيحية في محافظة بيت لحم والمؤسسات والجمعيات والهيئات الدينية المسيحية والكنسية، نناشد جميع الخيرين وقوى المحبة والسلام أن تعمل بشكل جدي وسريع لفك الحصار عن **كنيسة مهد المسيح** والشعب الفلسطيني والمحاصرين ، حيث لجأوا إلى المهد طلباً للأمن والسلام جراء عدوان الاحتلال الذي داهمهم في ساحة المهد. إننا ندعو كل المؤمنين المسيحيين إلى محاولة الوصول إلى **كنيسة المهد** وإقامة صلاة الأحد لفك الحصار عنها، وذلك يوم غد **الأحد 2002/4/7** ، من خلال التجمع قرب **دار خمشتا** مقر وكالة الغوث ، الساعة التاسعة والنصف ، ومن ثم الانطلاق نحو **المهد**، أما في بيت ساحور فسويكون التجمع قرب دار البلدية، وبلي ذلك الانطلاق نحو **كنيسة المهد**.

عشرات التواقيع

للمؤسسات والشخصيات الداعية في محافظة بيت لحم

ملحق (رقم 6)

بسم الله الرحمن الرحيم

2002/4/12

بيان صادر عن لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية محافظة بيت لحم

يا جماهير شعبنا الصابر والمرابط

يا جماهير امتنا العربية والإسلامية... يا أحرار العالم.

لقد تمادى العدو الصهيوني في عدوانه والتهمت نيرانه الحاقدة الأخضر واليابس وداست مجزراته جثث الشهداء، ودمرت صواريخه وقذائفه وجرافاته المباني والمنشآت ، والمؤسسات وهدمت المنازل فوق رؤوس أبناء شعبنا واستباح جنود الإرهاب الصهيوني كل المحرمات الأخلاقية والإنسانية والدينية ، ليدنسوا المقدسات الإسلامية والمسيحية بالحرق والتدمير والقصف بالأسلحة الأميركية ، ومواصلة أعمال التنكيل والقمع الوحشي، في محاولات صهيونية للنيل من عزيمة شعبنا وقيادتنا التاريخية والأخ الرمز أبو عمار.

إن المجازر والمذابح والتهجير والتدمير والحرق والنهب والتخريب الصهيوني المتعمد بحق شعبنا ومؤسساتنا وسلطتنا ومقومات وجودنا الوطني والحضاري والإنساني ، والتي بلغت قمة الوحشية والعنصرية في مخيم جنين ونابلس ومهد المسيح ، ونحذر من مجازر جديدة قد ترتكب في مخيم بلاطة وغيره ، وان تلك الهجمة الإحتلالية لن تنتهي شعبنا المعطاء عن مواصلة طرق الحرية والاستقلال والقدس والعودة.

إننا في لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية نؤكد على:-

- ١- نحمل حكومة الإرهاب الصهيوني المسؤولية الكاملة لكل أشكال المجازر والمذابح والدمار والتخريب الذي أصاب الوطن والإنسان الفلسطيني جراء العدوان وإرهاب الدولة، ونطالب بتقديم المجرمين للمحاكم الدولية المختصة.
- ٢- نهيب بالمجتمع الدولي والأمم المتحدة لتحمل المسؤوليات التاريخية والسياسية والقانونية، اتجاه معاناة الشعب الفلسطيني وجرائم الاحتلال ونطالبهم بالعمل الجاد والحقيقي بوقف الاعتداءات وتوفير الحماية الدولية لشعبنا وإنهاء الاحتلال.

٣- نناشد الهيئات الدولية والأمم المتحدة والصليب الأحمر ووكالة الغوث، ومنظمات حقوق الإنسان وهيئة الدفاع المدني للتحرك الفوري لمعالجة الأوضاع المأساوية في المدن والقرى والمخيمات والبلدان الفلسطينية.

٤- نطلب الدول الموقعة على اتفاقية جنيف الرابعة الوقوف أمام مسؤوليتها التاريخية والقانونية وذلك بعقد اجتماع خاص وطارئ لبحث الانتهاكات الخطيرة جداً وجرائم الحرب التي ارتكبتها دولة الإرهاب الصهيونية بحق شعبنا الفلسطيني.

5- في ضوء جولة وزير خارجية أمريكا نؤكد رفضنا للانحياز الأميركي المعادي لطموحات شعبنا، نؤكد رفضنا العودة للماضي والبحث في تفاهات تجاوزتها دبابات وطائرات الاحتلال، وان المطلوب تنفيذ قرارات الشرعية الدولية، وتحقيق الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي المحتلة، وتنفيذ القرار (194).

٥- نثمن عالياً دور وتحرك الجماهير الشعبية في العالم العربي والإسلامي ومختلف دول العالم على مواقفها المتضامنة مع شعبنا وقضيتنا ونهيب بكل الشرفاء والأحرار مواصلة حملات التضامن والدعم والتأييد لكفاحنا الوطني مثمين الموقف العراقي الجريء بوقف ضخ النفط، ومؤكدين رفضنا المطلق للتهديدات الأميركية بحق العراق الشقيق والاعتداءات الصهيونية على الجنوب اللبناني.

٦- نناشد قداسة البابا والمرجعيات الروحية لمختلف الكنائس المحلية والعالمية التدخل العاجل لإنهاء محنة المحاصرين في داخل كنيسة المهدي وإنقاذ حياتهم ليعيشوا بحرية وكرامة في وطنهم وبين أهلهم.

المجد والخلود للشهداء الأبرار

عاشت فلسطين حرة عربية

لجنة الطوارئ الوطنية والإسلامية/ محافظة بيت لحم.

انتهى

ملحق (رقم 7)

بسم الله الرحمن الرحيم

2002/4/26

لا مفاوضات في ظل الاحتلال والحصار والقتل والتجويع

بيان صادر عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح- إقليم بيت لحم

يا جماهير شعبنا المرابط والصامد في محافظة بيت لحم
أيها الأبطال المحاصرون داخل كنيسة مهد المسيح عليه السلام

نوجه التحية والإجلال والإكبار إلى أبطالنا ومناضلينا الصامدين للأسبوع الثالث على التوالي داخل كنيسة مهد المسيح عليه السلام الذين يدافعون عن كرامة بيت لحم من البطش والاحتلال الظالم.

إن جيش الإرهابي شارون يصبوب بنادق قناصته إلى صدور إخوتنا المحاصرين داخل الكنيسة، ليسقط الشهداء والجرحى...

انه قرار القتل اليومي المستمر، قرار القناصة القادمون من ظلام التاريخ لصلب مسيح السلام من جديد ، أعداء الأنبياء الذين يوجهون القذائف والرصاص إلى الكنيسة ومبانيها لإحراق وتدمير المعنى الروحي والديني والإنساني الذي يمثله هذا المكان الأقدس في العالم.

إنهم يقتلون السلام ويدوسون ببساطيرهم وبنادقهم على الرسالة العالمية التي انطلقت من بيت لحم التاريخ والميلاد والمحبة.

وأمام الحصار العسكري المتواصل لمحافظة بيت لحم وأمام صمت العالم الذي يقف عاجزاً عن إدخال رغيف الخبز وحبّة الدواء إلى المحاصرين، تحولت كنيسة المهد ، كنيسة الميلاد والبعث والحياة إلى قبر جماعي، لتكون شاهداً على جريمة حرب ترتكب بدم بارد عبر سياسة القنص والحصار والتجويع والإنهاك النفسي.

إن حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح تعلن ما يلي:

أولاً: تحميل حكومة شارون المسؤولية الكاملة عن حياة ومصير أكثر من (250) مواطن فلسطيني محاصرين داخل الكنيسة ، وما يجري من انتهاك متواصل لحرمة الكنيسة ومكانتها الدينية والتاريخية.

ثانياً: تطالب الحركة الأمين العام للأمم المتحدة التدخل العاجل لإنقاذ الكنيسة والمحاصرين من البطش الشاروني ، داعية الحركة لجنة تقصي الحقائق الدولية زيارة المحاصرين والتحقيق في الجرائم التي ترتكب بحقهم.

ثالثاً: تدعو الحركة إلى وقف المفاوضات الجارية حالية بشأن المحاصرين ، فهذه المفاوضات تحولت إلى كمين وهدفها المناورة واست نزاف المحاصرين سواءً بالقتل أو التجويع والتدمير النفسي ، رافضة الحركة الإملاءات والشروط الإسرائيلية ، وأن قاعدة المفاوضات يجب أن تستند إلى رحيل جيش الاحتلال عن مدننا الفلسطينية وفك الحصار التام عن مقر الأخ القائد أبو عمار.

رابعاً: ما حدث خلال الأيام الماضية من مفاوضات ، تبين أنها لعبة إسرائيلية هدفها إلقاء القبض على أكبر عدد ممكن من المحاصرين ، واستجوابهم ومن أجل امتصاص الضغط العالمي، إضافة إلى محاولات تفرغ الكنيسة والاستفراد بالمقاتلين وقتلهم سواءً بالإنهاء النفسي أو التجويع أو اصطيادهم عبر القنّاصة المتحصنون حول الكنيسة.

خامساً: إن أية مفاوضات لإيجاد حل سلمي حول المحاصرين يجب أن تكون في الإطار السياسي وعبر القيادة السياسية الفلسطينية ، وليس مع الجنرالات العسكريين المجرمين الذين يحاصرون الكنيسة، وينتهكون كل اتفاق.

وتطالب الحركة الصليب الأحمر الدولي بالتدخل للإشراف على أوضاع المحاصرين وضمان أي اتفاق ، وإن أية مفاوضات في ظل الحصار والتجويع ما هي إلا منارة وخدعة إسرائيلية نحذر من الوقوع فيها.

سادساً: تطالب حركة فتح هيئة الأمم المتحدة التدخل الفوري للكشف عن مصير الجرحى الذين ألقى القبض عليهم إحياء واعدموا على يد الجيش الإسرائيلي ، وهما الشهيدان عصام جوابرة ورائد الخطيب.

المجد والخلود للشهداء
التحية والإكبار للأبطال الصامدين في كنيسة المهدي
وإنها لثورة حتى النصر

حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح
إقليم بيت لحم

انتهى

ملحق (رقم 8)

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صادر عن حركة التحرير الوطني فتح - إقليم بيت لحم

2002/5/3

يتواصل الحصار العسكري الإسرائيلي وسياسة التجويع والحرمان من العلاج الطبي المفروضة على كنيسة مهد السيد المسيح عليه السلام، وعلى محافظة بيت لحم منذ ما يزيد عن الشهر، في ابعث عملية إرهاب تحاصر من خلالها كنيسة المهد في سابقة لم تحدث في التاريخ، ويجري تدميرها وحرق مبانيها والاعتداء على حرمتها الدينية ومكانتها العالمية المقدسة. إضافة إلى تحويل كنيسة المهد إلى مقبرة أُعدم وجرح فيها مواطنون ورجال دين محاصرون التجأوا إلى حماية الكنيسة من البطش الإسرائيلي. إن حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح، توضح إن ما يجري في كنيسة مهد المسيح هو جريمة حرب واعتداء سافر على كل القوانين والشرائع الدولية الإنسانية والأخلاقية، مما يستدعي تدخلاً عاجلاً وفورياً لوضع حد لهذه المجزرة الرسمية وإرهاب الدولة الذي يمارس بحق أبنائنا ومناضلينا داخل الكنيسة. لقد سقط سبع شهداء داخل كنيسة المهد برصاص القناصة الإسرائيليين الذين يحيطون بها، ويحتلون كافة المباني المشرفة عليها، حيث ترك معظمهم ينزفون لعدة ساعات دون السماح لأحد بتقديم العلاج لهم، وهم:

١. الشهيد سمير سلمان، قارع أجراس الكنيسة.

٢. الشهيد خالد إبراهيم أبو صيام.

٣. الشهيد حسن عبد الله النسمان.

٤. الشهيد نضال عويضة عبيات.

٥. الشهيد عصام نافذ الجوابرة.

٦. الشهيد محمد عابدة.

٧. الشهيد رائد الخطيب.

ومن جانب آخر سقط داخل كنيسة المهد حوالي (27) جريحاً برصاص القناصة الإسرائيليين وبسبب الحرائق والغيغاء النفسي، ولم يسمح بإدخال المواد الطبية للمصابين، مما أدى إلى تدهور أوضاعهم الصحية، وتم اعتقال عدد من هؤلاء المصابين بجروح خطيرة جداً اثناء نقلهم لتلقي العلاج، وهم:

- ١ . باسم محمد إبراهيم حمود.
- ٢ . رامي حسن الخطيب.
- ٣ . ثائر محمد عبد الله مناصرة.
- ٤ . سامر سلامة محمود كوازبة.
- ٥ . رأفت موسى عبيات.
- ٦ . ايمن درويش علي صالح.
- ٧ . احمد العزة.
- ٨ . رأفت صالح طقاطقة.

ولم يسمح حتى الآن للمؤسسات الحقوقية والإنسانية بزيارتهم في المستشفيات الإسرائيلية، حيث الحراسة مشددة عليهم.

وعلى صعيد آخر قامت قوات الجيش الإسرائيلي بإحراق حوالي (6) غرف تابعة للكنيسة، من بينها مساكن للرهبان والراهبات، وغرف للصلاة والتعميد وقاعات للطعام، كما أتت النيران على عدد من الشبابيك والفسيفساء والآثار الدينية والتاريخية، وتضررت الأجراس وتحطم تمثال السيدة العذراء بسبب إطلاق الرصاص والقنابل الصوتية، والحارقة التي يلقيها الجيش الإسرائيلي على المحاصرين داخل الكنيسة.

المجد لكل الشهداء ... والشفاء العاجل للجرحى.

حركة التحرير الوطني فتح - إقليم بيت لحم

انتهى

ملحق (رقم 9)

بسم الله الرحمن الرحيم

2002/5/7

بيان صادر عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح - أقاليم الضفة الفلسطينية

ها هي فصول المجزرة تكتمل حول المحاصرين في كنيسة المهدي، ليفرض منطق الدبابة والقناص قراره على مناضلينا، ومن خلال اتفاق هو الأسوأ في التاريخ الفلسطيني، وفي سابقة لم تحدث إطلاقاً.

إنها صفقة تمنح الشرعية والقانونية لمنطق الاحتلال في سياسة الإبعاد والنفى ألقصري مما يتناقض مع كل المواثيق والأعراف والقوانين الدولية والإنسانية ، ومع كل الاتفاقيات التي وقعت مع الجانب الإسرائيلي.

إنها صفقة جاءت بعد أن استشهد ثمانية مناضلين داخل الكنيسة وجرح 30 مواطناً آخرون، وبعد احتلال وحصار إرهابي على محافظة بيت لحم استمر خمسة وثلاثون يوماً مورس خلاله كل أشكال القمع والتدمير لكافة مظاهر الحياة.

إننا نطالب الأخ الرئيس أبو عمار، عدم المصادقة على هذه الصفقة ، مطالبين بمحاكمة مجرمي الحرب الإسرائيليين على ما اقترفوه من جرائم بحق أبناء شعبنا الفلسطيني، ووقف مخطط إبعاد مناضلينا والأبطال إلى خارج الوطن.

إن حركة فتح تحمل المسؤولية لكل من ساهم في هذه الجريمة الإنسانية الخطيرة ، ونطالب بمحاسبتهم وعدم السماح لهم باستمرار التلاعب بمصير أبنائنا وكوادرننا.

وإنها لثورة حتى النصر

المجد والخلود للشهداء

حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح

أقاليم الضفة الفلسطينية - فلسطين

انتهى

ملحق (رقم 10)

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صادر عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح - إقليم بيت لحم

2002/5/15

يا جماهير شعبنا الفلسطيني البطل...

يا شعب الشهداء والمناضلين ... شعب الثوار والأحرار ... يا من تقشرون
المؤامرة تلو المؤامرة بإرادة صلبة وعزيمة لا تلين، هكذا كانت معركة الصمود والإرادة
في محافظة بيت لحم، وفي كنيسة المهد ... هذا الصمود الذي اسقط أوراق التوت عن
عورات المتآمرين والحاقدين على شعبنا وقضيتنا الوطنية.

لقد قدم شعبنا وحركتنا الرائدة ثمناً كبيراً جراء العدوان الصهيوني الغاشم، لكن ذلك لم
يطفىء فينا بذرة الأمل وإشعاع النور ... وإذا كنا نقدر عالياً كافة الجهودات
للمؤسسات والأفراد والهيئات والأطر ورجال الصحافة والإعلام الفلسطيني والعربي على
ما بذلوه من جهد لفصح ممارسات الاحتلال، فإننا في حركة فتح وفي ضوء
المستجدات والتطورات المختلفة التي يشهدها وطننا الفلسطيني نشير إلى:

١. في الذكرى الـ (54) للنكبة، واحتلال فلسطين عام 1948، نؤكد بان حركتنا
وشعبنا سيواصل مسيرة الحرية، والاستقلال، والعودة، وفقاً لقرارات الشرعية الدولية بما
فيها القرار (194)، فسنوات القهر والتشرد والنكبة لن تمحي من ذاكرتنا حقوقنا الوطنية
والتاريخية.
٢. نؤكد بأن استمرار الأعمال العدوانية الاحتلالية على شعبنا ومؤسساتنا الوطنية
والتكرار لحقنا في إقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس، لن يجلب السلام والأمن
والاستقرار للمنطقة وان قرارات مركز الليكود ستقود المنطقة نحو المزيد من التدهور
والصدام.
٣. ندعو إلى تفعيل وإعادة الحياة لمؤسسات وهيكل منظمة التحرير الفلسطينية بكافة
تفرعاتها بشكل وطني يتلاءم مع كافة التطورات التي شهدتها الساحة الفلسطينية.
٤. نؤكد على أهمية إجراء تغييرات وإصلاحات شاملة في العمل السياسي الفلسطيني
وكافة هيكل ومؤسسات السلطة الوطنية بما يخدم المستقبل والمصير الوطني
الفلسطيني، ويعزز الصمود والوحدة الوطنية.
٥. نؤكد على أهمية تعميق وتعزيز الحوار الوطني وسيادة النظام والقانون ومبدأ
الشفافية والمحاسبة والتخلص من ارث ورواسب عهد الاحتلال والإدارة المدنية المتنفذين
في بعض الدوائر الرسمية مع تأكيدنا بعدم التعامل المباشر معها.

٦. نؤكد على أهمية إجراء الانتخابات للهيئات المحلية والمؤسساتية والنقابية والعامّة، بما يعزز الديمقراطية والتعددية السياسية، ويصون الحريات العامة في التعبير والصحافة، واحترام حقوق الإنسان.
٧. نؤكد على أهمية ترتيب البيت الداخلي الفتاوي، وفق هياكل الحركة بما يخدم استمرارية القضية الوطنية، ومكانة الحركة وطلبتها في ساحة العمل السياسي والكفاحي الفلسطيني، ويفسح المجال لإبداعات وتطور الكادر الفتاوي على قاعدة المقاومة والتصدي للاحتلال وإنجاز المشروع الوطني.
٨. نؤكد على ضرورة تعزيز بنية المجتمع المدني الفلسطيني، وضبط كافة السلوكيات والمظاهر السلبية، ومحاسبة كافة المتجاوزين والخرقين للأنظمة والقوانين الفلسطينية.
٩. ندعو إلى تعزيز مبدأ الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية في الحياة العامة الفلسطينية.
١٠. نهيب بالمؤسسات والهيئات المحلية والوزارات المختصة لمضاعفة جهودها ودورها في خدمة المواطن الفلسطيني وتحسين الأداء بما يرتقي لتعزيز الصمود على الأرض وتطوير المجتمع وإصلاح وإعادة إعمار وبناء ما دمرته دبابات وطائرات العدو الإسرائيلي.
١١. على ضوء ما تردد من إشاعات وإشكاليات حول سوء تصرف البعض في توزيع المساعدات العينية خلال فترة الاجتياح فإننا ندعو إلى تشكيل لجنة تحقيق مستقلة برئاسة قاضي على مستوى المحافظة للبحث في أي تلاعب، أو إساءات، أو تجاوزات وطنية ارتكبت خلال الاجتياح الإسرائيلي للمحافظة.
١٢. نشد على يدي الأخ الرئيس أبو عمار في إجراءات التغيير ومحاسبة كل المتقاعسين والمتخاذلين، والذين تهربوا من تأدية واجبهم الوطني، وتحمل مسؤولياتهم في مواجهة الاحتلال.

حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح - إقليم بيت لحم

انتهى

ملحق (رقم 11)

بيان صحفي عاجل
بشأن المبعدين ال (13) من كنيسة المهدي

2002/5/19

إن الحركة الوطنية والإسلامية ، إذ تثمن عالياً الدور الأوروبي الإنساني الذي
تمثل في التدخل الدبلوماسي والتفاوضي لحل أزمة كنيسة المهدي، وفك الحصار عن
المكان المقدس وضمان سلامة المحاصرين ، فإنها تطلب من الاتحاد الأوروبي

الثبات على موقفه الإنساني، وعدم الخضوع للضغوطات الصهيونية والدسائس التي يعمل على نسجها وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس.
وإننا نناشد الاتحاد الأوروبي بالإيفاء بما وعد به ممثل الاتحاد الأوروبي خافيير سولانا للرئيس عرفات ، بضمان حرية الحركة والتنقل للمبعدين أينما أرادوا والحفاظ على سلامتهم...
كما أننا نعتبر الإخوة المبعدين يجب أن يكونوا آمنين في أماكن تواجدهم ، لأنهم مناضلين أبطال من اجل الحرية والقيم الإنسانية ونطالب بعدم عزلهم عن بعضهم البعض في دول مختلفة لغاية عودتهم لأرض الوطن.

القوى الوطنية والإسلامية - محافظة بيت لحم

انتهى

ملحق (رقم 12)

شهداء محافظة بيت لحم خلال التوغل الرابع

2002/5/10 _ 4/2

الرقم	اسم الشهيد	تاريخ الاستشهاد
1	عبودة محمد مصطفى العمري	4/2
2	سمية موسى محمد عابده	4/2

4/2	خالد يعقوب عيسى عابده	3
4/2	عزات يوسف ياسين	4
4/2	عبد الخالق أبو عمرة	5
4/2	عيسى محمد أحمد المسالمة	6
4/2	عواد موسى محمد عواد	7
4/2	عمر شحادة محمد صلاحات	8
4/4	سمير إبراهيم ذيب سلمان	9
4/9	خالد صيام	10
4/12	عطا الله ميخائيل عطا الله الحايك	11
4/12	عندليب خليل محمد طقاطقة	12
4/12	علي محمد خليل فرج	13
4/13	حسن عبد الله حسن الزسمان	14
4/15	محمد أحمد علي أبو محارب	15
4/15	رنا سعد أحمد كرجة	16
4/23	حسين زياد أحمد الثابت	17
4/24	عصام نافذ راشد الجوابرة	18
4/24	رائد عمران أحمد الخطيب	19
4/25	محمد عبد عبد ربه عليان	20
4/29	نضال إسماعيل عوض عبيات	21
5/2	محمد حمدان أبو عابد	22
5/1	عبد خالد محمد إسماعيل	23
5/4	نضال خالد محمد إسماعيل	24
5/4	خلف أحمد سليمان نجاجرة	25

ملحق (رقم 13)
قائمة بأسماء الجرحى (الأسرى)
الذين أصيبوا خلال حصار الكنيسة المهدي
2002 / 5 / 10 - 2002/4/ 2

الأرقام	الاسم	تاريخ الإصابة
1	احمد صلاح احمد صلاح	2002/5/3
2	ايمن درويش على صلاح	2002/4/28

2002/4/25	باسم محمد إبراهيم محمود	3
2002/4/4	حافظ إبراهيم محمد شرايعة	4
2002/4/1	حسن جبر عبدا لله أبو شحادة	5
2002/4/25	رأفت موسى علي عبيات	6
2002/4/12	سامر سلامة محمد كوازبه	7
2002/4/22	محمد علي محمود أبو لبن	8

انتهى

ملحق (رقم 14)

قائمة بأسماء شباب المقاومة
الذين حوصروا وابتعدوا إلى غزة

- | | |
|------------------------------|----------------------------|
| 1 - عيسى عزات جودة أبو عاهور | 2 - رامي حسن محمد شحادة |
| 3 - خالد سليمان محمد صلاح | 4 - مؤيد فتحي احمد الجنازة |
| 5 - رائد سمير جورج شطارة | 6 - محمد نصري زايد خليفة |

- 7- سامي عبد الفتاح عبد الغفور سلهب
9- ناجي محمد سالم عبيات
11- جهاد عبد المعطي دعنا
13- موسى احمد عيسى شعيبات
15- صامد مصطفى محمد خليل
17- ياسين محمد سليمان الهريمي
19- إياد عبدالله مصطفى عدوي
21- زيد محمود عطاءالله سالم عودة
23- فهمي محمد صالح كنعان
25- مازن ظاهر حسن حسين
- 8- رائد موسى سالم عبيات
10- جمال احمد حسين أبو خليل
12- فراس محمد عبد عودة
14- جواد احمد عبد نواورة
16- نادر محمد عبد العزيز جميل
18- سلطان محمود احمد هريمي
20- حسن عيسى علي علقم
22- حاتم محمد إبراهيم محمود
24- سليمان محمد عبدالله نواورة
26- خالد عبد الرحمن مناصرة

انتهى

ملحق (رقم 15)

قائمة بأسماء المحاصرين المبعدين إلى خارج الوطن

١. عبد الله داود.
٢. إبراهيم موسى عبيات.
٣. جهاد جعارة.
٤. محمد سعيد عطا الله سالم.

- ٥ . خالد أبو نجمة.
- ٦ . رامي الكامل.
- ٧ . محمد مهنا.
- ٨ . عنان خميس.
- ٩ . خليل عبد الله.
- ١٠ . احمد حمامرة.
- ١١ . إبراهيم محمد سالم عبيات
- ١٢ . عزيز جبران.
- ١٣ . ممدوح الوردیان.

انتهى